

مُعْجَزَاتُ الْقُرْآنِ (تَوْحِيدًا)

فِي التَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ

المجلد الأول
دراسة في المنهج والمصادر

تأليف الدكتور
منير جمعة

بلنسية للنشر والتوزيع

منتدی سور الازبکیہ

WWW.BOOKS4ALL.NET

مُعْجَزَاتُ الْقُرْآنِ

فِي التَّرَاتُّبِ الْعَرَبِيِّ

الدراسة الصوتية

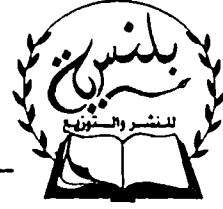
تأليف الدكتور

مُنِيرُ جَمْعَةَ أَحْمَدَ

مدرس العلوم اللغوية بأداب المنوفية



١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م



حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

بطاقة الفهرسة

جمعة ، منير .

معاني القرآن في التراث العربي / منير جمعة .

ط١ - القاهرة : بلنسية للنشر والتوزيع / ٢٠٠٦ .

٢٢٠ ص ١٧١ × ٢٤ سم

تدملك : ٥ - ٢ - ٦١٩٢ - ٩٧٧

١ - اللغة العربية - النحو

٢ - التراث العربي

٣ - فقه اللغة

١ - العنوان

ديوي ١، ٤١٥

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية 2006 / 2462
التقييم الدولي : I.S.B.N 977-6192-02-5

حقوق الطبع محفوظة © ٢٠٠٦ م. لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه. ولا يسمح باقتباس أي جزء من الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر .

١٨ش مصطفى كامل - البر
الشرقي - بجوار بزار الجمهورية
ومكتب بريد البر الشرقي -
شين الكوم - المنوفية

تليفون: ٠٤٨٢٥٢٧٩٩٥ (٠٠٢)

فاكس: ٠٤٨٢٥٨١٠٢٢ (٠٠٢)

محمول: ٠١٢٤٢٩١٧٤٢ (٠٠٢)

٠١٢٦٩٩٤٧٠٧ (٠٠٢)

BALANCIA
PUBLISHERS

Egypt

Tel-Fax : 0020482581023

Mob : 0124391742

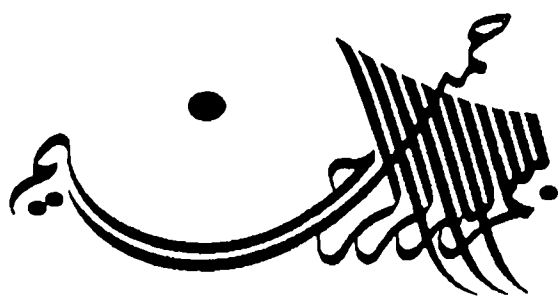
0126994707

E-Mail :

anagmyy@yahoo.com

Web Location :

http://www.balancia.com



المفردات

اللغة - كما عرفها ابن جني: (اصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم).
ولذلك عني علماء العربية بالدراسات الصوتية، واستطاعوا الوصول إلى نتائج لا تبعد - في كثير من الأحوال - عما توصل إليه علماء اللغة المحدثون، على الرغم من غياب الأجهزة الصوتية المتطورة، وفقدان أجهزة التصوير الدقيقة، إذ كان قوام بحثهم التدقيق الفردي، والملاحظة الشخصية بواسطة الأذن، وهو أمر لم يستغن عنه المحدثون أيضاً، باعتبار خطوة أولى وأساسية للبحث ولست بحاجة إلى التذكير بأن الدراسة الصوتية عند العرب انطلقت من كونها ضرورة شرعية لإتقان تلاوة القرآن الكريم، وفهم تراكيبه وأسلوبه، فكانت البداية: إتقان نطق الفاظه عن حفاظه، ثم أخذ معانيه عن يعانيه!

وقد كانت بواكير الدراسات العربية في مجال الأصوات وصفية خالصة تعتمد على فطنة الدارس وثقافته وأمانته العلمية.

وكان في طليعة هؤلاء الباحثين أبو الأسود الدؤلي (المتوفى سنة ٦٩هـ) الذي اعتمد الرؤية البصرية المرتكزة على وصف كلمات القرآن الكريم وصفاً صوتياً اخذه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ودرس الخليل بن أحمد (المتوفى ١٧٥ هـ) في مقدمة معجمه الرائد (العين) الصوت اللغوي المفرد، المجرد عن السياق، فأنتهى به ذلك إلى ترتيب معجم ترتيباً صوتياً بحسب مخارج الأصوات التي قسمها إلى صحيحة وصائفة مبتدأ من الحلق ومنتهياً بالشفيتين، وهذا الصنيع أدق من صنيع المعاصرين الذين جعلوا البداية من الشفتين ولم يفته - وهو اللغوي المتفرد - أن يدرس التأثيرات التي يحدثها وجود الصوت داخل سياق معين، وكيف يتغير معنى الكلمة بتغير الصوت فيها.

وحمل الراجحة من بعده تلميذه العبقري سيبويه، الذي لم يخلف وراءه سوى كتاب واحد لا يزال يشغل أذهان المتخصصين في علوم العربية إلى يوم الناس هذا وعلى الرغم من كون (كتابه) موسوعة في النحو العربي، فإنه - إلى جنب هذا -

لا يخلو من دراسة عميقة للأصوات المفردة، والمركبة على حد سواء، بالإضافة لبعض مباحث الدلالة والبلاغة.

ويأتي بعد جيل الرواد الأوائل هذا جيل (اهل المعاني) الأخفش والضرأ والزجاج وغيرهم الذين كانت لهم إسهاماتهم المبدعة مما سيتناوله هذا الباب بالتفصيل بإذن الله.

وخلف من بعدهم رجال فتحوا آفاقاً بعيدة في الدرس الصوتي، يأتي على رأسهم ابن جني (المتوفى سنة ٣٩٢ هـ) الذي خصص كتاباً كاملاً تتجلى فيه معرفته بجهاز النطق ووظائفه، وهو كتاب (سر صناعة الإعراب)، ولك ان تتأمل معي في هذا النص الذي يشبه فيه ابن جني جهاز النطق بالنأي ويوتر العود، يقول: "ولأجل ما ذكرنا من اختلاف الأجراس في حروف المعجم باختلاف مقاطعها، التي هي أسباب تبين أصداؤها، م شبه بعضهم الحلق والضم بالنأي، فإن الصوت يخرج فيه مستطيلاً أملس ساذجاً، كما يجري الصوت في الألف غفلاً بغير صنعه، فإذا وضع الزامر أنامله على خروق النأي المنسوفة، وراح بين أنامله اختلفت الأصوات، وسمع لكل خرق منها صوت لا يشبه صاحبه، فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والضم، باعتماد على جهات مختلفة، كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة..... ونظير ذلك، أيضاً وتر العود فإن الضارب إذا ضربه وهو مرسل سمعته له صوتاً، فإن حصر آخر الوتر ببعض أصابع يسراه أذي صوتاً آخر، فإن أدناها قليلاً سمعت غير الاثنين، ثم كذلك كلما أدنى إصبعه من أول الوتر تشكلت لك أصدااء مختلفة....." (١)

وامتدت مسيرة الإبداع في دراسة الأصوات، ولم تقتصر على علماء التجويد، بل تصدّى لها كثير من الجهابذة من اللغويين الذين جمعوا ثقافة شاملة، ضربت بسهم من مجالات المعرفة المختلفة، ومنهم ابن سينا (توفى سنة ٤٢٨ هـ) الذي استغل براعته النادرة في مجال الطب ليكتب رسالته القيمة (أسباب حدوث الحروف) والذي تحدث فيه بدقة لا مثيل لها عن مخارج الأصوات، وذكر الحنجرة

(١) سر صناعة الإعراب (تحقيق حسن هنداري)

- للمرة الأولى على الراجح - على أنها من مخارج الأصوات، وسمى بعض غضاريفها بأسماء لا يزال بعضها مستعملاً إلى الآن^(١).

ولعل ابن سينا واحد من قلة قليلة في تاريخنا كله تمكنوا من وصف صوت الضاد وصفا دقيقا يقترب من وصف لمحدثين إذ يقول: "وأما الضاد فإنها تحدث عن حبس تام عندما يتقدم موضع الجيم وتقع في الجزء الأملس..."^(٢)

ولعل تفرد ابن سينا هذا راجع إلى استمساكه بالمنهج الوصفي استمساكاً صارماً جعله يلتفت إلى ما ينطق في بيئته (بخارى وهمدان واصفهان)^(٣) لا إلى ما ورد في كتب سابقين من العلماء حيث ذكر أنه يصف "حدوث الحروف باختلافها في المسموع"^(٤)

وبهذا يظهر جلياً أن نطق الضاد حدث تطور تاريخي في القرن الرابع الهجري بحيث صار ينطق شديداً مجهوراً من بين طريفي اللسان وأصول الثنايا العليا، بعد ما كان - كما وصفته كتب التراث - رخواً مجهوراً من بين أول حافة اللسان ما يليها من الأضراس.

وهكذا استمرت سيرة الدراسات الصوتية العميقة عند الباحثين العرب سلفاً وخلفاً واستحقت الثناء من المنصفين في هذا العصر من أكابر اللغويين.

شهادة المستشرقين

قد يظن بعض المتعجلين أن جهود العرب التي أشرنا لبعضها في دراسة الأصوات جهود غير ذات بال لكن ظنه سيتبدد دون شك حين يقرأ مجموعة من الشهادات النصفة لعدد من كبار اللغويين في العالم.

لقد شهد هؤلاء بأنه لم يسبق العرب - زمنياً - في هذه الدراسة الصوتية المدهشة سوى الهنود القدماء الذين درسوا لغتهم (السنسكريتية) لغة كتابهم

(١) النظر الأصوات اللغوية للدكتور أنيس: ١٤٢ والقانون في الطب لابن سينا ١ / ٤٤

وأسباب حدوث الحروف: ٦

(٢) أسباب حدوث الحروف: ١٠-١١

(٣) الأعلام للزركلي ٢٤١/٢

(٤) النظر مقدمة رسالة أسباب حدوث الحروف ٢

المقدس (الفيذا) وسطع اسم علامتهم الشهير (بانبي) الذي لا يعدله عند العرب إلا سيويه^(١).

وقد قرر هذه الحقيقة الألماني الشهير (برجشتراسر) الذي يقول: "لم يسبق الأوروبيين في هذا العلم إلا قومان: العرب والهنود"^(٢).

وكذلك اللغوي الإنجليزي (فيرث) حيث يقول: "إن علم الأصوات قد نما وشب في خدمة لغتين مقدستين هما: العربية والسنسكريتية"^(٣).

ونجد جانباً من الإنصاف المفتقد عند بعض العرب، أيضاً عند المستشرق (جان كنتينو) إذ يقول: "إن الدراسات الصوتية عند النحاة العرب هي دراسة نفيسة، ولورجع إليها الباحثون العصريون أكثر مما فعلوا لتمكنوا من اجتناب كثير من الهفوات التي وقعوا فيها."^(٤)

وهذا كلام يفني عن كل تعليق
أهل المعاني والدراسة الصوتية:

لا يخفى على المتابع لمسيرة الدراسة الصوتية أن البحث الصوتي قد توزع على علمين مستقلين هما:

علم الأصوات اللغوية (phonetics) الذي يدرس الأصوات مفردة.

علم وظائف الأصوات اللغوية (phonology) الذي يدرس الأصوات المركبة في

درج الكلام.

وكلا العلمين متكاملان متناغمان لا غنى لأحدهما عن الآخر.

وقد درس علماء العربية النوعين جميعاً، ومنهم أهل المعاني، الذين ساروا على نهج النحاة وأصحاب المعاجم في دراسة الأصوات اللغوية، لكن غايتهم الأولى تمثلت في الكشف عن أسرار التراكيب القرآنية، واستكناه غوامض المعاني، ولاعجب في ذلك فإن مصنفاتهم - على اختلاف مناهجهم التي مرت بنا في الباب الأول من هذه الدراسة - تحمل عنواناً ثابتاً هو (معاني القرآن) أو أحد مرادفاته كما أسلفنا من قبل؛ لذا فإن دراسة الأصوات في هذه الكتب وسيلة لا غاية!

(١) انظر علم الأصوات اللغوية للدكتور عصام نور الدين: ٦

(٢) البحث اللغوي عند العرب ٧٩.

(٣) نفسه

(٤) دروس في علم أصوات العربية (ترجمة صالح القرمادي).

وقد كان سيبويه وهو كبير النحويين يتبع المنهج نفسه إذ يقول: " وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه، وما لا يحسن فيه ذلك، ولا يجوز فيه"^(١)

وكذلك بعض أصحاب المعاجم، ومنهم دريد الذي يقول: " وإنما عرفتكم النجاري [مخارج الحروف] لتعرف ما يأتلف منها مما لا يأتلف"^(٢)

أصحاب المعاني -إذن - الذين يعالجون السياق القرآني وتراكيبه كان من البديهي أن يصرفوا جل اهتمامهم إلى النوع الثاني من أنواع البحث الصوتي. وهو دراسة الأصوات المركبة حين يجتمع بعضها مع بعض ودراسة التآثر، ونوعه، للوصول إلى الأصل الذي ينبني عليه القصيد عنهم وهو المعنى الذي كان جميعهم يدندن حوله! وإن عبروا عنها بالفاظ آخر كما سيتضح في الدراسة - ومن هنا فقد بحثوا عن المماثلة والمخالفة الصوتية وعن الإدغام والإبدال، والوقف والإمالة وغير ذلك.

وقد ارتأيت أن أقدم الدراسة هذه الظواهر بمقدمة نظرية أتبع فيها أصل الظاهرة وحديث الرواد عنها، وموقف المحدثين منها ثم أتبع حديث أهل المعاني عنها من الأقدم للأحدث، واختتم بمقارنة التحليل الصوتي عند أهل المعاني بما انتهى إليه الأصواتيون المعاصرون.

وفيما يلي بعض النماذج لتعرض أهل المعاني للأصوات المفردة من ناحية المخارج الصوتية :

١ - يقول الأخفش في معانيه في تفسيره لقوله تعالى: (أفلم يدبروا القول)

(المؤمنون ٦٨/٢٣)

"ومثله في القرآن كثير، وإنما هو (يتدبرون) فادغمت التاء في الدال لأن التاء قريبة المخرج من الدال، مخرج الدال بطرف اللسان، و أطراف الثنيتين، ومخرج التاء بطرف اللسان و أصول الثنيتين، فكل ما قرب مخرجه فافعل به هذا، ولا تقل في (يتنزلون) : ينزلون، لأن النون ليست من حروف الثنايا كالتاء"^(٣)

(١) الكتاب لسيبويه ٤ / ٤٣٦

(٢) جمهرة اللغة لابن دريد ١ / ٩٠٨

(٣) معاني الأخفش ١ / ١١٤

٢ - يقول الفراء في تفسيره لقوله تعالى (ثم اتخذتم العجل) (البقرة ٥١/٢) و في قراءة عبد الله (اتختم العجل)^(١) وكذلك قوله تعالى (واني عدت بريي وريكم) (غافر ٢٧/٤٠) فقد قراها عبد الله : (واني عتُ بريي)^(٢) فادغمت الذال أيضاً عند التاء، وذلك انهما متناسبتان في قرب المخرج، و التاء والذال مخرجهما ثقيل، فانزل الإدغام بهما لثقلهما، الا ترى ان مخرجهما من طرف اللسان، وكذلك الظاء تشاركهن في الثقل، فما آتاك من هذه الثلاثة الأحرف، فادغم وليس بترك الإدغام بخطأ، إنما هو استثقال"^(٣)

٣ - وجاء عند الزجاج في معانيه في تفسيره قوله تعالى:(إن الله اصطفاه عليكم) (البقرة ٢٤٧/٢) " اصطفاه معناها اختاره، وهو افتعل من الصفوة، والأصل اصتفاه، فالتاء إذا وقعت بعد الصاد أبدلت طاء، لأن التاء من مخارج الطاء، والطاء مطبقة، فابدلوا الطاء من التاء، ليسهل النطق بما بعد الصاد، وكذلك افتعل من الضرب: اضطرب، ومن الظلم: اظلمم "^(٤)

٤ - وجاء عند النحاس في معانيه : " و الذي عليه اكثر اهل اللغة ان تكون(بكة) و(مكة) واحد وان يجوز ان تكون الميم مبدله من الباء، يقال: لازب ولازم، وسبد شعره وسمده، إذا استأصله "^(٥)

ولا ينبغي لأحد إذن أن يسارع بالاعتقاد أن كتب المعاني تخلو من دراسة الأصوات المفردة، فهذا أمر غير صحيح.

فكتب المعاني تتعرض لوصف الصوت أحياناً، و للحديث عن مخرجه أحياناً أخرى، و تتعرض لسائر مباحث علم الأصوات اللغوية، لكن ذلك في إطار البحث عن تفسير صوتي لظاهرة ما، ولعل هذا النص الذي ننقله عن معاني القراءات (للأزهري يبين ما نرمي إليه، حيث يقول في تفسير القراءات الواردة في لفظ (الصراط) " من قرأ بالسین فهو الأصل؛ لأن العرب تقول: سرطت اللقمة سرطاً

(٢) قرأ بها أيضاً كثير من القراء السبعة النظر السبعة ١١٤ والنشر ١٥/٢

(٣) معاني القراءات ١١١/١

(٤) معاني الفراء ١٧٢/١

(١) معاني الزجاج ٣٢٨/١

(٢) معاني القرآن للنحاس ٤٤٣/١

..... و من قرأ بالصاد فلأن مخرج السين و الصاد من طرف اللسان فيما بينه وبين الثنايا، و السين والصاد يتقابلان ويتعاقبان في كل حرف فيه غين أو قاف أو طاء أو خاء روى ذلك الثقات عن العرب ، والسين فالذي يعني الأزهري هنا ليس الإبدال كما قد يبدو من البنية السطحية للكلام وإنما بيان أصل الكلمة ليتوصل إلى المعنى؛ ولذا يأتي تحليله الصوتي محكوماً بهذه الفكرة، وإن كان قوله هنا : " و الصاد حرف مجهور " (١) كلاماً لم يقله أحد قط، و لم يقله هو نفسه في كتابه (تهذيب اللغة) (٢)

ويبدو أنه سهو منه أو من أحد الناسخين (علي أية حال فإن كتب المعاني فيها حديث عن الأصوات المفردة ، في سياق حديثها عن الظواهر الصوتية؛ ولذا فسوف اتعرض لحديثهم هذا حيثما عرض في ثنايا هذه الدراسة، من غير أن اصنع لها بحثاً مستقلاً لأنهم لم يفعلوا ذلك.

و جدير بالذكر أن منهج هذه الدراسة منهج وصفي يرصد الظاهرة الصوتية ويحللها ويحاول أن يتلمس لها تفسيراً صوتياً مقبولاً عند القدماء والمحدثين ، ولا يعنى بإصدار الأحكام المطلقة ، أو إعطاء قيمة ما لسلوك صوتي معين .

وَاللَّيْسُ نِيَامُ وَالْقَصْدُ فِي مَهْدِي كَيْسَبِيكَ

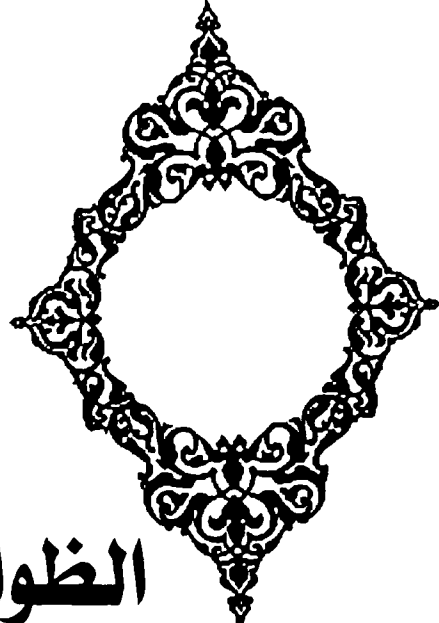
كتبه

منير جمعة أحمد

مدرس العلوم اللغوية بقسم اللغة العربية
بأداب المنوفية

(٣) معاني القرآن للنحاس ١/٤٣١

(٤) انظر تهذيب اللغة ١٢/٣٣٠



الظواهر الصوتية عند أهل المعاني

ويتضمن فصلاً ثلاثة :

- | | |
|-----------------------------|--------------|
| المخالفة الصوتية والإبدال . | الفصل الأول |
| المماثلة الصوتية والإدغام . | الفصل الثاني |
| السمات التحيرية . | الفصل الثالث |

إِفْصِيكَ الْأَوَّلَ

المخالفة الصوتية والإبدال



❁ ❁ المخالفة الصوتية ❁ ❁

تعريف المخالفة الصوتية :

مصطلح المخالفة أحد المصطلحات اللغوية التي دخلت إلى الدراسات اللغوية الحديثة ترجمة للمصطلح الغربي Dissimilation ، أي سلب المماثلة Assimilation وقد شاع مصطلح المخالفة شيوعاً كبيراً عند اللغويين المعاصرين .

وإن كان علماء العربية قد فطنوا له منذ عهد بعيد ، فقد جاء في معجم العين : "... واما (مهما) فإن أصلها (ماما) ، ولكن أبدلوا من الألف الأولى (هاء) ليختلف اللفظ " ^(١) .

ويمكن القول إن المخالفة تعني " تغير أحد الصوتين المثليين في كلمة من الكلمات إلى صوت آخر مخالف " ^(٢)

ويبدو الفرق بين المخالفة والإبدال في أن المخالفة تتم بين الأصوات المتماثلة ، أما الإبدال فيمكن أن يحدث بين المتجانسين والمتقاربين وربما المتباعدين - كما يرى بعض العلماء - إلى جانب التماثلين ، كما أن المخالفة يمكن أن تتم بالحذف ، على خلاف الإبدال .

(١) العين (السامرائي) ٣٥٨/٣ .

(٢) انظر : A Dictionary of Linguistics and phonetics , pp 708-709

وظاهرة المخالفة الصوتية للدكتور أحمد هريدي ١٥ .

أنواع المخالفة :

يرى بعض اللغويين أن التخالف نوعان :

١ - تخالف بالتغيير .

٢ - تخالف بالحذف .

أما التخالف بالتغيير ، فهو قسمان : متصل و منفصل .^(١)

فالم متصل : ما تتابع فيه الحرفان المثلان بلا فاصل بينهما بصامت آخر . مثل :

(الْبَيْتُ) : القَطْعُ : فقد خولف الساكن الأول : فصارت الكلمة :

البرت والبلت ، وهو ما حدث أيضا عند إسناد الماضي منه إلى ضمير

المتكلم أو المتكلمين ، فقد صارت (بَيْتٌ) : بتلت ، (وَبَيْتُنَا) : بتلنا^(٢)

والمنفصل : ما كان بين حرفيه فارق ، نحو كلمة : اخضوضر ، أصلها

اخضرضر ، من اخضر ، فأبدلت الراء الأولى واوا لجوار مثلها ، وهذا

النوع في اللغة العربية والساميات يتوافر في الأفعال الشائبة المضاعفة

، مثل ككبك ، ودبدب ، وقهقهه ، ويلاحظ في هذه الأفعال أنها حكاية

لأصوات ، وعددها قليل قياسا على الثلاثي المكون من ثلاثة صوامت

مختلفة ، كما يلاحظ فيها أيضاً أن الصوتين الأول والثالث مثلان ،

كما أن الثاني والرابع مثلان .

أما التخالف بالحذف ، فيحدث في حالة توالي بعض الأصوات المتماثلة

في مقاطع قصيرة مفتوحة ، بأن يتم حذف أحد الصوتين المتماثلين ، وغالباً

ما يكون أحد المورفيمين الصرفيين ، كما في كلمة (تتذكرون) التي تحولت

(١) انظر اللغة لفندريس ٩٥ والتطور النحوي لبرجستراسر ٣٣-٣٤

(٢) انظر ظاهرة المخالفة الصوتية ٤٠-٤١



إلى (تذكرون) ، فصي الكلمة في الأصل تاءان : الأولى مورفيم الخطاب والمضارعة ، والثانية مورفيم المطاوعة ، ثم حذف أحد التاءين للتخلص من توالي المقاطع المتماثلة^(١) .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ فَبِمَ تَبَشِّرُونَ ﴾ (الحجر: ١٥/ ٥٤) فاصلها :

تبشرونني .

اتجاه التخالف :^(٢)

يرى كثير من اللغويين المعاصرين أن أنماط التخالف أربعة ، وهي :

- ١ - مخالفة تقدمية و متماسة : Progressive and contiguous
- ٢ - مخالفة تقدمية و متباعدة : Progressive and distance
- ٣ - مخالفة راجعة و متماسة : Regressive and contiguous
- ٤ - مخالفة راجعة و متباعدة : Regressive and distance

والمقصود بتقسيم المخالفة إلى تقدمية و راجعة : النظر إلى الصوت المؤثر لا المتأثر (المتغير) ، فإذا تغير اللاحق كان ذلك بتأثير السابق ، و عدت المخالفة تقدمية ، وإذا حدث العكس ، وتغير السابق بتأثير اللاحق عدت رجعية^(٣) .

أما المقصود بتقسيمها إلى متباعدة و متماسة ، فيقصد به ما أشرت إليه من قبل من تقسيم التخالف إلى منفصل و متصل .

(١) كراهة توالي الأمثال في أبنية العربية لأستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب . ضمن (بحوث ومقالات في اللغة ٢٧-٥٦)

(٢) النظر رأي كنت في : Assimilation and dissimilation , pp.251, 252 , 258
ورأي موسكاتي ورفالاه في : Comparative grammar of the Semitic languages, p.59

ورأي هارتمان وستوك في : Dictionary of language and linguistics, p.69

(٣) النظر : ظاهرة المخالفة الصوتية ٢٨ .

يبدو لي ، أن المتتبع لما كتبه المحدثون عن أسباب حدوث المخالفة لا يكاد يجد جديداً يختلف عما كتبه الأقدمون من علمائنا ، فهم جميعاً يرجعون هذه الظاهرة لسبب واحد : هو التخلص من الثقل الناشئ عن إصدار الجهاز النطقي صوتين متماثلين متتابعين ، وإن تعددت عباراتهم في ذلك : فسيبويه - ذلك الرائد المبدع - لم يضته ذكر ذلك في كتابه ، إذ يقول :

" اعلم أن التضعيف يثقل على السننهم ، وإن اختلاف الحروف أخف عليهم من أن يكون من موضع واحد " ^(١) ، وكذلك أبو عكرمة الضبي الذي قال - وهو يتحدث عن لفظ (تقنى) - : " وكان الأصل : تقنن ، فأبدلت النون الأخيرة ياءً ؛ كراهة لاجتماع حرفين من جنس واحد " ^(٢) ، ويقول ابن جني أيضاً : " ... ومن ذلك استثقالهم المثلين حتى قلبوا أحدهما " ^(٣) .

ورجع المحدثون ظاهرة المخالفة إلى السبب الذي أشار إليه القدماء ، ومنهم برجشتراسر ، الذي أرجع علة المخالفة إلى الحاجة إلى تيسير الجهد العضلي المبذول في النطق ، وإن رأى أيضاً أن التخالف له علة نفسية ؛ لأن المتكلم يريد زيادة التأثير بزيادة حرف ، وذلك في حالة المخالفة التي تقع بين صوتين متصلين ، أما إن كان الصوتان المتماثلان منفصلين ؛ فإنه يرى أن العلة نفسية محضة بسبب الخطأ في النطق ، حين يسرع الإنسان في نطق جملة محتوية على كلمات تتكرر وتتابع فيها حروف متشابهة ^(٤) .

(١) الكتاب ٣٩٧/٢ .

(٢) الأمثال لأبي عكرمة ٨٤ .

(٣) الخصائص ٢٣١/٢ .

(٤) انظر : التطور النحوي ٣٤-٣٥ .



ولم يخالف اللغويون العرب من المعاصرين في أن سبب المخالفة تيسير الجهد العضلي^(١) أيضاً، وإن رأى بعضهم أن برجستراسريكاد ينضرد بمسألة العلة النفسية^(٢).

ولكن احدا منهم لم يجب عن سؤال مُلحّ، وهو: لماذا يخالف صوت ما في كلمة ما، ولا يخالف في سائر الكلمات الأخرى؟، وبتعبير آخر: هل المخالفة ملزمة؟ ولماذا؟.

أما الإجابة عن السؤال الأول، فالحق أنه لم يغب عن إدراك هؤلاء العلماء أن المخالفة أمر ليس ملزماً، لورود الفاظ اجتمعت فيها ثلاثة أمثال - وليس مثلاً فقط - ومع ذلك لم يُبدل أحدها، مثل (تعلل)، و(تصبّب)، و(تحدّد)، ولذا قال ابن جني: "لم يكن واجبا... وإنما غير استحسانا... ولم يكن موجبا لتغيير كل ما اجتمعت فيه أمثال"^(٣).

أما السؤال الثاني فامر معضل! إذ لا اظن أن الإجابة المقتضية بأن المخالفة الصوتية نوع من الاتجاهات أو الميول وليست قانوناً، يمكن أن تفسر لنا شيئاً، إذ تبقى اللغة في اختياراتها ومسالكها لغزاً يصعب حله.

أصوات المخالفة:

تعرض بعض المحدثين لرصد الأصوات المبدلة والمبدلة منها، ومنهم المستشرق (هرتز) الذي يرى أن الحروف المائعة تعد وسيلة مخالفة للتضعيف في الصيغ المضعفة القديمة^(٤).

(١) انظر الأصوات اللغوية ٢١١، والتطور اللغوي لأستالا المذكور رمضان عبد الثواب ٤١ - ٤٧.

(٢) انظر دراسات لغوية في تراننا القديم ٧٥.

(٣) الخصائص ٢/٢٣٣.

(٤) انظر دراسة الصوت اللغوي ٣٣٠.

ويبدو انه بنى رايه على ما توصل إليه المحدثون من أن اللغات تستخدم السواكن الأنفية والترددية بشكل أكثر من غيرها ، لتحقيق عنصر المخالفة ، واقتران هذا عندهم بورود الفاظ تمت فيها ظاهرة التخالف بإحلال الأصوات المائعة (م ، ل ، ن ، ر) بدل أحد الصوتين المتماثلين ، لكنه لم يتعرض بالذكر للصيغ التي استعمل فيها صوت الياء لتحقيق المخالفة ، مثل : (دئار) و(دينار) ، و(تظننت) و(تظنيت) وهي تفوق في عددها الأضعاف من الصيغ التي استعملت فيها الأصوات المائعة^(١) .

وهو ما عبر عنه الدكتور إبراهيم أنيس بقوله : " إننا نلاحظ أن كثيراً من الكلمات التي تشتمل على صوتين متماثلين كل المماثلة ، يتغير أحد الصوتين إلى صوت لين طويل - وهو الغالب - أو إلى أحد الأصوات الشبيهة بأصوات اللين في بعض الأحيان "^(٢) .

وقد أشار الدكتور أنيس أيضاً إلى استثناء نادر وهو : استخدام صوت (العين) لتحقيق عنصر المخالفة أحياناً^(٣) .

أما عن الأصوات التي يدخلها التخالف فقد تعرض لها الدكتور إبراهيم أنيس أيضاً فقال : " إذا علمنا ... أن أشق الأصوات هي المطبقة ، والرخوة بوجه عام ، أدركنا أن المخالفة لا تكاد تتم إلا حين يتجاوز صوتان

(١) انظر دراسات لغوية في تراننا القديم ٧٦ .

(٢) الأصوات اللغوية ٢١٤ ، وهو ما ذهب إليه أوليري أيضاً في كتابه :

Comparative grammar of the Semitic languages, pp.81-87

ووافق الدكتور أنيس والدكتور رمضان عبد التواب ، انظر الأصوات اللغوية ١٥٣ ،

والنطور اللغوي ٣٧ .

(٣) وضرب أمثلة لذلك بالفعل (كَيْل) ، فقد استخدم صوت العين لفكّ تضعيف (الباء) فيه ،

لتحول إلى (كميل) في لهجتنا العامية ، انظر : في اللهجات العربية ٢٢٢ ، وظاهرة المخالفة

الصوتية ٣١ .



مثلان من أصوات الإطباق أو الأصوات الرخوة ، ولا تكون بين الأصوات الشديدة إلا نادراً " (١) .

ولعل الأمثلة التي جمعتها هنا - في هذه الدراسة - لا ينطبق عليها رأي الدكتور انيس ، لأن أكثر الأصوات التي استبدلت ليست مطبقة ولا رخوة ، بل من الأصوات المتوسطة ، وتلتها في النسبة الأصوات الشديدة (الباء، والدادال) ثم الرخوة ، فالمطبقة ، مع معرفتنا بأن الأصوات المتوسطة تتميز بالخفة في النطق ، لكن يبدو أن النطق العربي لا يميل إلى تضعيفها ميله إليها بصورة منفردة (٢)

ولذا يرى أكثر علماء اللغة المعاصرين أن جميع الأصوات تقبل التخالف (٣) وإن كان بعضها تعلقو نسبة قبوله لها عن غيره لاعتبارات تتعلق بنظام اللغة الذي يسمح أولاً يسمح بتتابعات صوتية معينة كثيرة أو قلة (٤) .

أما عن العلاقة بين الأصوات المخالف بها والأصوات المتخالفة ، فإن بلومفيلد (٥) في دراسته عن اللغات الهندوأوربية يرى أن الصوت المخالف به يكون في الغالب من داخل المجموعة الصوتية للأصوات مجال التخالف ، ولكن هل ينطبق ذلك على الساميات بصفة عامة والعربية بوجه خاص ؟ الشواهد - عندي - تؤيد ذلك ، وإن كنت أرى أن الأمر لا يزال - إلى الآن - يحتاج لبحث ودراسة قبل الإجابة القاطعة عن هذا السؤال .

(١) انظر : الأصوات اللغوية ١٥٥ .

(٢) وانظر أيضاً : دراسات لغوية في تراثا القديم ٧٦ .

(٣) انظر : فقه اللغات السامية لبروكلمان ٧٤-٧٦ . وكذلك رأي رودولف روتسيكا في

كتابه : *Konsonantische dissimilation in den semitischen sprachen*, p 268 .

(٤) ظاهرة المخالفة الصوتية ٢٥ .

(٥) في كتابه : *Language* , p.390 .

أمثلة المخالفة الصوتية في كتب معاني القرآن :

شغل كثير من أهل المعاني بإبراز نماذج للمخالفة الصوتية في كتبهم ، وإن لم يستخدموا هذا المصطلح ، وهم معذورون في ذلك بطبيعة الحال ، وقد استخدم بعضهم مصطلح الإبدال للدلالة على هذه الظاهرة ، اقتفاءً لأثر سيويه الذي عبر عنها بقوله (هذا باب ما شذَّ فأبدل مكان اللام الياء لكراهية التضعيف ، وليس بمطرَد " ^(١) . وهو عنوان لا يشمل إلا صورة واحدة من صور المخالفة الصوتية. ذلك أن المتأمل في كتب المعاني يستطيع أن يحصر النماذج التي ذكرها تحت الصور التالية :

١- مخالفة بإبدال أحد جزئي المضعف ياءً أو واواً (وهو ما ذكره سيويه ، وإن لم يشر إلى الواو).

٢- مخالفة بالإبدال الموطئ للإدغام.

٣- المخالفة بإبدال الهمزة الثانية الفأً أو واواً أو ياءً.

٤- المخالفة بالحجز أو الفصل بين الهمزتين.

٥- المخالفة بالحذف ، وهي أقسام :

أ - حذف تاء تتفاعل وتتفاعل.

ب - حذف العين في الفعل المضعف عند إسناده إلى تاء الفاعل.

ج - صور أخرى للحذف.

وسأقوم بإذن الله بعرض الأمثلة التي ذكرها أهل المعاني في إطار تلك الصور.

(١) الكتاب ٤/٤٢٤ ، وقد علق الدكتور صبحي عبد الحميد علي كلام سيويه هذا بقوله :

" نكاد نجزم بأن الشذوذ الذي أراده سيويه شذوذ قياس ، وليس شذوذ استعمال ؛ لأن

الدافع إليه كراهية اجتماع الأمثال " النظر اللهجات العربية في معاني القراء ٩٤ .

أولاً : المخالفة بإبدال أحد جزئي المضعف ياءً أو ألفاً أو واوًا :

وقد ذكر الفراء من ذلك أحد عشر مثلاً ، جمعها في موضع واحد ، في تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا ﴾ (الشمس ٩١ / ١٠) حيث قال ^(١) :
 .. ونرى - والله أعلم - ان دساها من : (دستت) بدلت بعض سيناتها ياء ، كما قالوا : تظنيت ، من : الظن ، وتقضيت يريدون : تقضضت ، من تقضض البازي ، وخرجت أتلعى : التمس اللعاع ارعاه ^(٢) ، والعرب تبدل في المشدد ، الحرف منه بالياء والواو ، من ذلك ما ذكرت لك ، وسمعت بعض بني عقيل ينشد : [الرجزا

يشبو بها نشجانه من النشج ^(٣)

هذا أخربيت ، يريد : يشب : يظهر ، يقال : الخمار الأسود يشب لون البيضاء ^(٤) ، فجعلها واوًا ، وقد سمعته في غير ذلك ، ويقال : دوية ودأوية ^(٥) ، ويقال : أما فلان فصالح ، وإيما ، ومن ذلك قولهم : دينار ، أصله دَنَار ، يدل على ذلك جمعهم إياه دنانير ، ولم يقولوا : ديانير ، وديوان كان أصله : دوان ،

(١) معاني الفراء ٢٦٧/٣ .

(٢) اللعاع : أول النبت ، قال ابن منظور : " خرجنا لتلعى ، أي ناكل اللعاع ، كان في الأصل : تلنع مكرر العينات ، فقلبت إحداها ياء ، كما قالوا تظنيت من الظن " اللسان (لع) ٣٢٠/٨ وانظر المقاميس (لع) ٢٠٦/٥ .

(٣) البيت مجهول النسبة ، انظر شرح أبيات معاني الفراء ٧٧ .

(٤) جاء في اللسان (شيب) : " شب لون المرأة حمار أسود لبيسته ، أي زاد في بياضها ولونها ، فحسنها " ٤٨٢/١ دار صادر .

(٥) قال ابن الأباري في شرح القوائد السبع الطوال الجاهليات ٤٤٢ : " دوية : منسوبة إلى الدر ، والدر : الأرض الواسعة البعيدة الأطراف "

لجمعهم إياه : دواوين ، وديباج : ديباج ، وقيراط : قراريط ، كانه كان قرأط ، ونري أن دساها : دسها ؛ لأن البخيل يخفي منزله وماله ... "

وهذا النص المفصل يتميز بإيراد أصل الكلمة ، ثم ما حدث لها من تطور صوتي عن طريق الإبدال وهذه هي الكلمات العشر وما أصابها من تطور ، بخلاف (دستت دسيت)

تقضيّت	٢ - تقضّضت	تظنيت	١ - تظنّنت
يشبو	٤ - يشبّ	أتلّعى	٣ - أتلعع
ايما	٦ - أمّا	داوية	٥ - دويّة
ديوان	٨ - دوان	دينار	٧ - دنّار
	١٠ - قرأط	ديباج	٩ - دبّاج
		قيراط	

وقد ذكر الضراء أمثلة للإبدال بالواو (يشبو) ، وهو امر لم يشر إليه من جاء بعده ، كما لم يشر إليه سيبويه كما مر بنا ، كما ذكر مثالا شعريا الى جوار المثال القراني ، وجاءت بقية امثله من كلام العرب .

ويعد الزجاج - مع قلة ما أورد من الأمثلة - واحداً من القلائل الذين احتفوا بمثل هذا النوع من المخالفة فقد ذكر القاعدة التي أرساها سيبويه ، ومثل لها ، واستشهد عليها ببيت شعري ، حيث يقول ^(١) في (دساها) : " والأصل : دسها ، ولكن الحروف إذا اجتمعت من لفظ واحد أبدل من أحدها ياء ، قال الشاعر : [الرجز]

تَقْضِيّ الْبَازِي إِذَا الْبَازِي كَسْرُ (٢)

(١) معاني الزجاج ٣٣٢/٥ .

(٢) البيت للعجاج في ديوانه ق ٧٥/١ ص ٨٣ وإبدال ابن السكيت ١٣٣ والمخصص ٢٨٩/١٣ والأمامي ١٩١/٢ ، والتهديب (عقي) ٢٩/٣ .



قالوا معناه : تقصّض " .

كما ذكر جامع العلوم النحوي مثلاً آخر إلى جوار (دساها) حيث يقول : " اي : دسها بالفجور ، فأبدل من السين الأخيرة ياء ، كما قالوا : تظنيت ، والأصل تظننت " (١)

أما بيان الحق النيسابوري ، فقد اكتفى بذكر أصل (دساها) مع القاعدة ، فقال : " دسها والعرب تقلب المضعف إلى الياء تحسناً للفظ " .
ويلاحظ هنا أن الفراء انفرد من بين علماء المعاني بأمرين : الأول : جواز إبدال أحد حروف المضعف بالواو بينما اقتصر الباقون على الياء ، والثاني : نسبه هذه الظاهرة لبني عقيل .

وقد تحدث بعض علماء المعاني عن هذا النوع من المخالفة أيضاً عند تعرضهم لتفسير قوله تعالى : ﴿ لَمْ يَتَسَنَّهٗ ﴾ (البقرة ٢ / ٢٥٩) ، وعلى رأسهم الفراء ، الذي كان أكثرهم احتفاءً بهذه الظاهرة كما أسلفت ، إذ يقول : " ... ومن قال في تصغير (السنة) سنيئة - وإن كان ذلك قليلاً - جاز أن يكون تسنيت : تفلعت ، أبدلت النون بالياء ، لما كثرت النونات ، كما قالوا : تظنيت وأصله الظن ، وقد قالوا هو ماخوذ من قوله : ﴿ مِّنْ حَمَلٍ مُّسْتَوِرٍ ﴾ (الحجر ١٥ / ٣٣) يريد متغير ، فإن يكن كذلك فهو أيضاً مما أبدلت نونه ياء " (٣) .

وكما أكد الفراء كلامه السابق ، فقد صنع الزجاج الصنيع نفسه إذ يقول : " وقد قال بعض النحويين إنه جائز أن يكون من التصغير ، من قولك :

(١) الكشف ٤١٨/٢ .

(٢) إيجاز البيان ٨٨٠/٢ .

(٣) معاني الفراء ١٧٢/١ ، وانظر حديث الفراء عن هذه الظاهرة أيضاً في معانيه ٢١٧/١ .

(من حما مسنون) ، وكان الأصل عنده (لم يتسنن) ولكن أبدل من النون ياء
كما قال : [الرجز]

تقضي البازي إذا البازي كسر

يريد تقضض " (١) . وجاء في الكشف : " قيل أصله : لم يتسنن ، الفعل
فيه تسننت ، من قوله : ﴿ مِنْ صَلَّصَلٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّتَّسُونَ ﴾ (الحجر ١٥ / ٢٦) :
فأبدلت من النون الأخيرة ياء ، فقيل : تسنيت ، كما تقول : تظنيت ، وأصله :
تظننت " (٢)

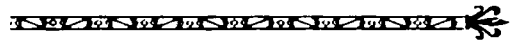
وهكذا نجد أهل المعاني يرددون آراء سابقهم في أكثر من موضع ، بما
يعني إدراكهم لأهمية لفت الأنظار لتلك الظاهرة ، لأنها تفسر - أو تسهم
في تفسير - ما يطرأ علي بعض الألفاظ من تطور صوتي ، وقد التفت ابن
السكيت وأبو الطيب اللغوي ، من أصحاب كتب الإبدال ، إلى هذه الظاهرة ،
وعالجوها كل بطريقته ، فابن السكيت متأثر بسبويه ، ولذا فقد عقد بابا
اسماه (باب حروف المضاعف التي تقلب إلى ياء) (٣) ، بينما تناول أبو الطيب
القضية في أكثر من موضع ، ولم يجعلها تحت باب واحد ، فضي ﴿ دَسَّنَهَا ﴾
علي سبيل المثال ، يقول (٤) : " إنما هو من دسست ، كأنه أراد (من دسستها)
فأبدل من إحدى السينات ياء " وشبيه بهذا ما فعله في باب (النون والياء)

(١) معاني الزجاج ٣٤٣/١ .

(٢) الكشف ٢٩٨/١ - ٢٩٩ .

(٣) إبدال ابن السكيت ١٣٣ .

(٤) إبدال أبي الطيب ٢/٢١٥ .



حيث يقول : تظننت وتظنيت من الظن " (١) وهكذا عند أصحاب المعاجم (٢) وعلماء العربية (٣) وقد ساد في اللهجة العامية المصرية هذا الإبدال (٤).

ثانياً : المخالفة بقلب الهمزة الثانية ألفاً أو واواً أو ياء :

الهمزة صوت ثقيل ، ولذا فإن نطقه تعثره احوال كثيرة ، اسهب العلماء في الحديث عنها (٥) ، وإذا اجتمعت همزتان فإن الصعوبة تزداد . لأن ذلك يتطلب جهداً عضلياً ، ولذلك لم يبق هذا الصوت علي حاله ، وكان الأخفش من اوائل من التفت لهذه الظاهرة ، فعالجها علاجاً مفصلاً طويلاً في كتابه ، عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ أَنْزَلْنَا مِنْكُمْ لِقَوْلِ اللَّهِ الْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ وَالْحَقَّ الْمُبِينُ ﴾ (البقرة ١٣/٢) إذ يقول : " قراهما قوم مهموزتين جميعاً ، وقالوا : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ ﴾ (البقرة ٦/٢) ، ﴿ وَلَا تَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ (فاطر ٤٣/٣٥) ، وقالوا ﴿ وَقَالُوا أَءِذَا ﴿ (الاسراء : ٤٩/١٧) ﴾ و﴿ أَيْنَا ﴾

(١) إبدال أبي الطيب ٤٥٩/٢ .

(٢) انظر علي سبيل المثال : قذيب اللغة (عتي) ٢٩/٣ والمقاييس (لع) ٢٠٦/٥ واللسان (لع) ٣٢٠/٨ والمخصص لابن سيده ٢٨٨/١٣ (باب المحول من المضاعف) والصاح (ظنن) ٢١٦٠/٦ .

(٣) انظر علي سبيل المثال : الأصمعي في شرحه لديوان العجاج ٨٣ ، وابن قتيبة في أدب الكاتب (الدالي) ٤٨٧ والقالي في الأمالي ١٩١/٢

(٤) إذ يقال في العامية المصرية : شبيت في محل شبيت ، ومديت في محل مددت ، وقصبت في محل قصصت وهكذا ، ويرى الدكتور السامرائي أن هذا الإبدال موجود في الفصحى المعاصرة ، أيضاً ولكن بقله ، انظر التطور اللفظي التاريخي ٧٥ .

(٥) انظر موقف العرب من نطق الهمزة في كتاب (مشكلة الهمزة العربية) ٢٤-٣٥ وكتاب (في اللهجات العربية) ٧٥-٨٠ .

(المؤمنون ٢٣/٨٢): كل هذا يهمزون فيه بهمزتين ، وكل هذا ليس من كلام العرب إلا شاذاً ، ولكن إذا اجتمعت همزتان من كلمتين شتى ؛ ليس بينهما شيء ؛ فإن إحداهما تخفف في جميع كلام العرب .. وذلك أنه إذا اجتمعت همزتان في كلمة واحدة أبدلوا الأخرى منهما أبداً ؛ فجعلوها ؛ إن كان ما قبلها مفتوحاً ألفاً ساكنة ؛ نحو : آدم ، وآخر ، وأمن ، وإن كان ما قبلها مضموماً جعلت واواً ، نحو : أوزز ، إذا أمرته أن يؤز ، وإن كان ما قبلها مكسوراً جعلت ياء ، نحو إيت ، وكذلك إن كانت الأخرى متحركة ؛ بأي حركة كانت ؛ والأولى مضمومة ، أو مكسورة ؛ فالأخرى تتبع الأولى ^(١) . وقد استرسل الأخصش في تفصيلاته الدقيقة ، مفرقاً بين أحوال الهمزتين إذا كانتا في كلمة واحدة ، أو كانتا في كلمتين مختلفتين ، ومبيناً إمكان تخفيف الهمزة الأولى في قوله : (كما أمن السفهاء إلا) حيث يقول : " ومن خفف الأولى جعل (الألف) التي في السفهاء كالواو ، وهمز الف (الا) " ^(٢) .

ومعروف أن الألف في اصطلاح القدماء قد تعني الهمزة ^(٣) .

وكلام الأخصش هذا يعني أنه لا يشترط إبدال الهمزة الثانية أو تخفيفها ، فقد يقع ذلك في الهمزة الأولى ، إلا إذا كانت في بداية الكلام ، يقول الأخصش في هذا : " واما (اندرتهم) فإن الأولى لا تخفف ؛ لأنها أول الكلام ، والهمزة إذا كانت أول الكلام لم تخفف ؛ لأن المخففة ضعفت حتى صارت كالساكن فلا يبتدا بها " ^(٤) .

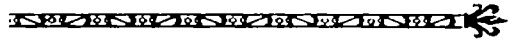
(١) معاني القرآن للأخصش (د. هدى قراعة) ٤٤/١ - ٤٥ ، وتجدر الإشارة إلى أني اعتمدت

هذه الطبعة في سائر دراساتي ؛ لأنها ضبطت نص الأخصش ضبطاً دقيقاً في الغالب .

(٢) معاني القرآن للأخصش ٤٦/١ .

(٣) انظر الألفات لابن خالويه ٣٥ .

(٤) معاني الأخصش ٤٦/١ .



ولم يكن الأخصش وحده الذي التفت لضرورة التخلص من تماثل الهمزتين المتتاليتين عن طريق تخفيف إحداهما، أو تسهيلها، أو قلبها ألفاً أو واواً أو ياءً؛ فإن الزجاج أيضاً قد فصل القول في هذا - تائراً فيما يبدو بالأخصش - إذ ذكر في تفسيره للآية السابقة كثيراً من الآراء التي ذكرها الأخصش، ولكنه خالفه في جواز قلب الهمزة الثانية ألفاً خالصة، إذ يقول: " ... ومن جعلها ألفاً خالصة فقد أخطأ من جهتين: إحداهما أنه جمع بين ساكنين، والأخرى أنه أبدل من همزة متحركة قبلها حركة ألفاً، والحركة الفتح، وإنما حق الهمزة إذا حركت وانفتح ما قبلها أن تجعل بين بين، أعني بين الهمزة وبين الحرف الذي منه حركتها، فتقول في (سال): سال، وفي (رعوف): رووف، وفي (بئس): بئس، بين بين، وهذا في الحكم واحد، وإنما تحكمه المشافهة " (١).

وعبارة الزجاج الأخيرة تعني أن الخط والكتابة لا يفرقان بين نطق الهمزة بين بين، ونطقها ألفاً خالصة وأن ذلك لا يعرف إلا بالنطق.

وفي مسألة وقوع التخفيف على الأولي أو على الثانية، يقول الزجاج (٢): " وزعم سيبويه أن جماعة من العرب يقرؤون: (فقد جاء أشراطها) (٣)، يحققون الثانية ويخففون الأولي، وهذا مذهب أبي عمرو بن العلاء، وأما الخليل فيقول بتحقيق الأولي، فيقول: فقد جاء أشراطها (قال الخليل: وإنما اخترت تخفيف الثانية لإجماع الناس علي بدل الثانية في قولك: آدم، وآخر؛

(١) معاني الزجاج ٧٨/١.

(٢) معاني الزجاج ٨١/١.

(٣) قراءة لقوله تعالى (فقد جاء أشراطها) (محمد ١٨/٤٧) انظر معجم القراءات ١٥/٨.

لأن الأصل في آدم : آدم ، وفي آخر : آخر ، وقول الخليل اقيس ، وقول ابي عمرو جيد ايضاً " .

غير ان الزجاج يرفض ان يكون تسهيل إحدى الهمزتين قانوناً مطرداً ، ويجعل لذلك اسباباً ، منها وضوح المعنى حيث يقول : " وقد ذكر ابو عبيد ان بعضهم روى عن ابي عمرو انه كان إذا اجتمعت همزتان طُرحت إحداهما ، وهذا ليس بثبت لأن القياس لا يوجبه .. فإن كان هذا صحيحاً عنه ، فهو يجوز في نحو ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ ﴾ (البقرة ٢ / ٦) ، وفي مثل قوله : ﴿ ءَالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ ﴾ (الأنعام ٦ / ١٤٣) فيطرح همزة الاستفهام ؛ لأن ام تدل عليها ، قال الشاعر^(١) : [الطويل]

لعمرك ما أدري وإن كنت دارياً شُعَيْثُ بْنُ سُهَيْمٍ أَمْ شُعَيْثُ بْنُ مَنْقَرٍ (٢)

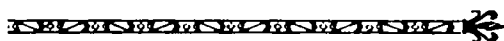
وهكذا يتضح وعي هذين العالمين الكبيرين بصعوبة الجمع بين الهمزتين ، وإن اختلفا في الطريقة التي يتخلص بها من هذه الصعوبة ، فعلي حين يجيز الأخفش تسهيل إحدى الهمزتين أو قلبها ألفاً خالصة ، لا يجيز الزجاج إلا التسهيل وجعل الهمزة بين بين .

علي حين اختلف القراء في ذلك ، كما ذكر الأزهري في قوله تعالى : ﴿ ءَأَنْذَرْتَهُمْ ﴾ حيث قال^(٣) : " الأصل فيه همزتان : إحداهما الألف ، والأخرى

(١) هو الأسود بن يعفر التميمي ، شاعر جاهلي من الفحول كان أعمى مغموراً ، انظر ترجمته في طبقات فحول الشعراء ١ / ١٤٧ .

(٢) البيت في ديوان الأعشى والأعشى الآخرين (صنعة جابر) في شعر الأسود بن يعفر (أعشى فُشِل) ق ٢٧ / ٢٩٩ .

(٣) معاني القراءات ١ / ١٣٠ .



الف الاستفهام ، واختلف القراء فيه ، فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب (أنذرتهم) بهمزة مطولة ، وكذلك جميع ما أشبه هذا... وقرأ الباقون بهمزتين في كل هذا ، وكل ذلك عربي فصيح ، فمن همز همزة مطولة فر من الجمع بين الهمزتين ، ومن جمع بينهما فهو الأصل ، وكان أبو عمرو يخفف الهمزة الأولى ، ويحقق الثانية ، وكان الخليل يحقق الأولى ويخفف الثانية ، ونحويو البصرة مالوا إلى قول الخليل ، وكلهم أجاز ما اختاره أبو عمرو " .

التفسير الصوتي :

لو نظرنا إلى مخرج الهمزة وهو الحنجرة ، ومخرج كل من الياء والواو وهما : وسط الحنك مع الياء ، وأقصاه مع الواو نجدهما متباعدين ، مما يحول دون التبادل بين الهمزة وإحدهما " ^(١)

وأما تفسير قلب الهمزة إلى هذين الصوتين ، فهو ميل العربية إلى التخلص من توالي الأمثال ، ولذا حذفت الهمزة الثانية وبقيت حركتها : فإن كانت كسرة ، اجتمعت حركتان حركة الهمزة الأولى وحركة الصوت المحذوف ، فتولد بينهما صوت يسمى (الانزلاقي) وهو الياء هنا ، وقد ضرب استاذنا الدكتور رمضان عبد التواب مثلاً لذلك بكلمة (أئمة) ، فقد تطورت علي النحو التالي :

أئمة ← أئمة aimmah بسقوط الهمزة الثانية وبقاء حركتها ، وهذه الحالة هي التي تعرف بهمزة (بين بين) أو التخفيف ← أئمة ayimmah بحلول الصوت الانزلاقي الياء بدل كسرة الهمزة المحذوفة " ^(١)

(١) لغة تميم ٣/٥ .

وكذلك إذا كانت الهمزة الثانية مفتوحة ، أو مضمومة ، وكانت الأولى السابقة لها مكسورة ، تتغلب الكسرة على الفتحة والضمة ، ويحدث مثل ما حدث في (أئمة) .

وأما إذا كانت حركة الهمزة الثانية ضمة كان ما قبلها ضمة أو فتحة ، فيحدث لها ما حدث مع الياء ؛ بيد أن الذي ينتج في هذه الحالة هو الصوت الانزلاقي الواو ، كما ينتج هذا الصوت أيضاً إذا كانت الهمزة الثانية مفتوحة والأولى مضمومة. (٣) .

ثالثاً : المخالفة بالحجز بين الهمزتين :

ذكر الأخفش هذه الصورة من المخالفة ، في معرض حديثه عن الهمزة ؛ فقال : " وقد قال بعض العرب : (إذا) ، و(آاندرتهم) و(آانا قلت لك كذا وكذا؟) ؛ فجعل الف الاستفهام إذا ضمت إلى همزة يفصل بينها وبينها بالفاء ؛ لئلا تجتمع الهمزتان ، كل ذا قد قيل ، وكل ذا قد قرأه الناس " (٣)

وقد أضاف الفراء أن وضع الألف بين الهمزتين مطرد ، وأنه لغة بني تميم ؛ فقال (٤) : " وقوله : (آانتم) يجوز أن تجعل بين الألفين الفأ غير مهموزة ، كما يقال : آانتم ، إذا متنا ، كذلك فافعل بكل همزتين تحركتا فزد بينهما مدة ، وهي من لغة بني تميم " (٥)

(١) كان هذا في محادثة شخصية له رحمه الله مع الدكتور ضاحي ، راجعها في لغة تميم ٣١٦ .

(٢) لغة تميم ٣١٦ بتصرف .

(٣) معاني الأحفش ٤٦/١ ، وانظر الخلاف في لطق الهمزة في هذه المواضع في البحر ٤٧/١ ،

والإنحاف ١٢٨ ، والنشر ٣٦٣/١ ، ومعجم القراءات ٣٥/١ - ٣٧ .

(٤) معاني الفراء ١٧١/٣ .

(٥) قال عنها النحاس في إعراب القرآن ٩٥/٢ : " وهذه لغة معروفة يجعل بين الهمزتين ألفاً



كما تحدث الأزهري عن هذا الفصل بين الهمزتين للمخالفة بينهما كراهة توالي الأمثال ، فقال : " ومن القراءة القدماء من أدخل بين الهمزتين ألفاً ساكنة فراراً من الجمع بينهما ، فقرا: (أنذرتهم) و (أألد) قال أبو حاتم: أخبرني الأصمعي انه سمع نافعاً يقرأ : (أننكم لتشهدون)^(١) (الأنعام ١٩ / ٦) أدخل بين الهمزتين ألفاً ، قال الأصمعي: أنشدني أبو عمرو ، لمزرد^(٢): [الطويل] تطاللت فاستشرفته فرأيته فقلت له أنت زيد الأرانب^(٣)

ومثله قول ذي الرمة^(٤): [الطويل]

فيا ظبية الوعساء بين حلاحلي وبين النقا أنت أم أم سالم^(٥)

.... قال أبو حاتم : ونحن نكره الجمع بين الهمزتين ، قال : ومما يدل ذلك

على كراهية العرب اجتماع الهمزتين قول الله تبارك وتعالى : ﴿ هَتَاتَتْ ﴾

كراهة لالتقائهما " وانظر اللهجات العربية في التراث ١-٣٣٣-٣٣٥ ومعجم القراءات ٤٠٢/٢ ، ولغة تميم ١٦٧ و ٣١٨ .

(١) وقرأ ما - مع نافع - أبو عمرو ، برواية الأصمعي ، وأبو جعفر... وآخرون ، كما في النشر ٣٧٠/١ والبحر ٩٢/٤ وانظر معجم القراءات ٤٠٢/٢ .

(٢) هو مزرد الغطفاني ، واسمه يزيد بن ضرار ، ولقب مزرداً ببيت قاله ، وهو أخو الشماخ ، وكان هجاء ، انظر ترجمته في معجم الشعراء للمزباني ٤٨٣ و الشعر والشعراء ٣١٥/١ .

(٣) البيت في زيادات شعر ذي الرمة في ديوانه (د. عبد القدوس) ق ١٦ / ١ ص ١٨٤٩ ، وهو له أيضاً في اللسان (حرف الهمزة) ١٨/١ دار صادر .

(٤) هو غيلان بن عقبة بن هميش ، عد من فحول شعراء الإسلام ، وكان من أعظمهم تشبيها عاش في زمن جرير والفرزدق ، انظر ترجمته في طبقات فحول الشعراء ٥٣٤/٢ ، و ٥٤٩/٢

(٥) البيت في ديوان ذي الرمة ق ٤٤/٢٤ ص ٧٦٧ وله أيضا في الكتاب ١٦٨/٢ .

(النساء ٤/ ١٠٩) قال أبو حاتم: قال الأخفش: إنما هو (ءانتتم)، أدخلوا بين الهمزتين الفأ استثقلاً لهما، وأبدلوا من الهمزة الأولى هاء، كما قالوا: (هرقت الماء) و(أرقت)، وقالوا: (هياك) بمعنى: إياك" (١)

وقد تحدث بعض القراء عن ألف الحجز هذه في أثناء حديثهم عن أنواع المدود، ومنهم ابن مهران، حيث يقول فيما يرويه عنه ابن الجزري: ".... إنما سمي مد الحجز؛ لأنه أدخل بين الهمزتين حاجزاً؛ وذلك أن العرب تستثقل الجمع بين الهمزتين، فتدخل بينهما مدة تكون حاجزة بينهما، ومبعدة لإحادهما عن الأخرى، قال: ومقداره ألف تامة بالإجمال" (٢)

ولو نظرنا إلى هذا التغيير لوجدنا أنه لا يكاد يختلف عن الأصل إلا في تحويل المقطع الأول، من مقطع قصير مفتوح (أ) إلى مقطع طويل مفتوح (أا)، وشكله كالتالي:

الأصل: أ أن ذر ت هم = ه مقاطع

بعد التغيير: أا أن ذر ت هم = ه مقاطع

رابعاً: المخالفة بالإبدال الموطئ للإدغام.

فرارا من التماثلين فإن بعض العرب كان يسكن الثانى منهما فى صيغة (تتفعل) و(تتفاعل) ثم يدغمه فى الحرف الذى يليه، وقد جاء من

(١) معاني القراءات ١/ ١٣٠-١٣١. وسأيت الحديث عن الإبدال بين الهمزة والهاء في مبحث الإبدال بإذن الله.

(٢) النشر ١/ ٣٦٤، وانظر أيضا الكتاب ٢/ ١٦٨.

(٣) الظر: حذف تاء تفعل وتفاعل في القرآن الكريم للدكتور أحمد هريدى ١٧، ونجدد الإشارة إلى أنى استفدت من هذا الكتاب في هذا المبحث كثيراً.



ذلك قول الفراء ^(١) : " وقرأ بعضهم : (تَسَاء لُون به) ^(٢) يريد : تتساءلون به ، فادغم التاء عند السين " .

وأشار الفراء إلى هذا النوع من التخالف مرة أخرى ، عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّمِ ﴾ (الفرقان ٢٥/٢٥) حيث قال ^(٣) : ويصرا : (تشقق بالتشديد ^(٤) .. اراد تشقق .. فادغم ، كما قال : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى آلَمِلَ الْأَعْلَى ﴾ (الصافات ٨/٣٧) ، ولم يكن الفراء رائداً في حديثه عن هذه الظاهرة ، بل كان مسبوقاً بالأخفش الذي تحدث عنها في مواضع متفرقة من كتابه ، منها قوله ^(٥) : " وقال : ﴿ تَظْهَرُونَ ﴾ (البقرة ٨٥/٢) فجعلها من (تتظاهرون) ، وادغم التاء في الظاء ، وبها نقرأ ^(٦) : " وقوله : "ومن انث البقر ، فقال : (تشابه) ؛ فادغم ^(٧) .

(١) معاني الفراء ٢٥٣/١ .

(٢) القراءة بتشديد السين قراءة سبعة ، انظر السبعة ٢٢٦ وحجة القراءات لابن زنجلة ١٨٨ .

(٣) معاني الفراء ٢٦٧/٢ .

(٤) القراءة بتشديد الشين قرأها ابن كثير ونافع وابن عامر من السبعة كما في السبعة ٤٦٤ وحجة القراءات لابن زنجلة ٥١٠ .

(٥) معاني الأخفش ١٣٥/١ . وقد تعرض الزجاج أيضاً لهذه الآية بكلام قريب من هذا ، انظر معاني الزجاج ١٦٦/١ .

(٦) قرأ بتخفيف الظاء عاصم وحزرة والكسائي ، وقرأ الباقون بتشديدها ، انظر السبعة ١٦٣ ومعجم القراءات ١٤٢/١ .

(٧) هذه قراءة الأعرج والحسن ويحيى بن يعمر وابن مسعود وعباس عن أبي عمرو ، انظر البحر ٢٥٤ ومعجم القراءات ١٢٣/١ ، وهذا النص في معاني الأخفش ١٩٢/١ .

وقد استوقفت هذه الظاهرة من جاء بعد الفراء ، كما استوقفت من كان قبله ، فها هو ذا الزجاج يقول^(١) : " قليلاً (ما تذكرون) بالتشديد في الذال والمعني : قليلاً ما تتذكرون ، إلا ان التاء تدغم في الذال لقرب مكان هذه من مكان هذه " .

وقريب من هذا ما ذكره أبو منصور الأزهري في قوله تعالى : " قليلاً ما تذكرون) ايضاً حيث قال : " ... من قرأ (ما تذكرون) بتشديد الذال والكاف ، فالأصل : تتذكرون ، وادغمت التاء الثانية في الذال ، وشدت " (٢) .

وذكر الكرمانى بعض الأمثلة ، منها قوله في ﴿ وَيَوْمَ تَشَقُّ السَّمَاءُ ﴾ (الفرقان ٢٥/٢٥) : " وفي (تشقق) قراءتان : تشديد الشين وتخفيفها ، فمن شدد ادغم التاء في الشين ، والأصل تتشقق " (٣) .

وهذا النوع من التخالف في حقيقته تغيير في عدد المقاطع وكم المقطع الثاني من المثليين ولذا فإن هذه المخالفة تسمى المخالفة المقطعية او الصوت مقطعية ، وكان شكل التغيير فيها في (تشقق) علي النحو التالي :

تَشَّقُّ شَقُّ قُ قُ قُ = ٤ مقاطع
 تَ تَ شَقُّ قُ قُ قُ = ٥ مقاطع

وذلك بالخطوات الآتية^(٤) :

١ - حذفت حركة تاء المقطع الثاني من المثليين ، فسكنت : (تشقق)
 وأصبح المقطع الأول تت ، فنقص عدد المقاطع إلى أربعة مقاطع .

(١) معاني الزجاج ٣١٦/٢ .

(٢) معاني الفراءات ٤٠٠/١ .

(٣) مفاتيح الأغاني ٣٠٤ ، والنظر القراءات في (تشقق) في معجم القراءات ٣٤٠/٦ .

(٤) انظر : حذف تاء تفاعل وتفاعل في القرآن الكريم ٢١ .



٢ - حدث للتاء الساكنة إبدال ، فتحولت إلى شين وهو تأثر مدبر كلي في حالة اتصال لأنهما حرفان متقاربان : (تشقق) .

٣ - تدغم الشين الساكنة في المتحركة التي تليها (تشقق) .

تَشَقَّقُ ← تَشَقَّقُ ← تَشَقَّقُ ← تَشَقَّقُ

وهكذا كان التخالف بإبدال التاء شيناً توطنه لإدغامها في الشين التي تليها .

خامساً : المخالفة بالإدغام :

قد يكون التخلص من المتحركين بتسكين أحدهما وإدغامه في الآخر ، كما يري الأخفش في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَمْكُرْ ﴾ (النساء : ٣٢/٤) ، حيث يقول ^(١) : " إن شئت ادغمت التاء الأولى في الأخيرة ، فإن قيل : كيف يجوز إدغامها وأنت إذا ادغمتها سكنت وقبلها الألف الساكنة التي في لا فتجمع ما بين ساكنين ؟ قلت : إن هذه الألف حرف لين ، وقد يدغم بعد مثلها في الاتصال ، وفي غيره ، نحو : يضرباني ^(٢) و ﴿ فَلَا تَنَاجُوا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ ^(٣)

(١) معاني الأخفش ٢٤٥/١ .

(٢) كتبت في نص الأخفش (د.هدي) : يضرباني ، بغير تشديد وهو خطأ لا يستقيم مع مراد الأخفش .

(٣) كتبت في نص معاني الأخفش بتاءين ، وعلقت الدكتورة هدى قراعة في الهامش بقولها : " بالأصل : (ولا تناجوا) سهو ناسخ " والحق أن ما رآته سهواً هو الصواب ، وأن صوابها هو السهو ، بدليل السياق قبله وبعده ، والعجيب أنها نفتت لمراد الأخفش في الآية التي تليها ، ولذا ألبتها بنون واحدة (أحاجوناً)!

(المجادلة ٥٨ / ٩)^(١) وتدغم ايضاً ، ومثله : ﴿ قُلْ أَتَحَاجُونَ فِي اللَّهِ ﴾^(٢) (البقرة ١٣٩ / ٢) ادغمت وقبلها واو ساكنة ، وإن شئت لم تدغم هذا كله .

وفي تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَتَنَجَّوْا بِالْإِنْمِرِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ ذكر الزجاج القراءات الواردة في الآية ، ومنها " ويتاء واحدة مدغمة مشددة : ﴿ فَلَا تُنَاجُوا ﴾ ، وإنما ادغمت التاء ان لأنهما حرفان من مخرج واحد متحركان ، وقبلهما الف ، والألف قد يكون بعدها الدغم ، نحو : دابة ، وراد"^(٣) وهذه القراءة قرأ بها ابن محيصة^(٤) ، ويلزمه علي هذا المد قبل الإدغام ، كما قال ابن الجزري^(٥) : " وإذا وقع قبل التاء المشددة حرف مد ولين الف او واو نحو (ولا تيمموا) و (عنه تلهى) وشبههما ، اثبت في اللفظ ، لكون التشديد عارصاً ، فلم يعتد به في حذفه ، وزيد في تمكينه ليتميز بذلك الساكنان احدهما من الآخر ولا يلتقيا "

وهذا التخالف ايضاً يتم عن طريق التغيير في عدد المقاطع ، وكم المقطع الأول من المثليين ، وليس الثاني ، كالنوع السابق ، فإن شكل التغيير كالآتي :

لَات	تَ	نَا	جَوَا = ٤ مقاطع
لاصلها : لَأ	تَ	نَا	جَوَا = ٥ مقاطع

(١) هي قراءة ابن محيصة كما في الإتحاف ٤١٢ .

(٢) القراءة بتشديد النون قراءة زيد بن ثابت وابن محيصة والحسن والأعمش كما في البحر ٤١٢/١ والنظر مختصر ابن خالويه ١٠ .

(٣) معاني الزجاج ١٣٨/٥ .

(٤) النظر معجم القراءات ٣٧١/٩ ، وأشار ابن الجزري إلى أن البزي - راوي قراءة ابن كثير - كان يقرأها ايضاً ، النظر النشر ٢٣٢/٢ .

(٥) النشر ٣٣٨/١ .

وقد مرّ هذا التغيير بالمراحل التالية :

- ١ - حذف حركة التاء الأولى ، التي كانت تمثل مع التاء المقطع الثاني في (لا تتناجوا) ، فسكنت التاء الأولى .
- ٢ - ضم صوت التاء الساكنة إلى المقطع الذي يسبقها (لا) ، فتكون منها مقطع مخالف كميّاً (لات) وهو مقطع مغلق مخرجه في الطول ^(١) ، ويتكون من (صامت + حركة طويلة + صامت) وهذا المقطع من النوع الرابع ، وقد ذكر أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب أن " المقطع الرابع لا يجوز في اللغة العربية الفصحى إلا في آخر الكلمة في حالة الوقف عليها أو وسطها " ^(٢) ، وأضاف الدكتور أحمد هريدي بعض المواقع الأخرى فقال : " وقد يقع في أول الكلمة في الفعل الماضي الثلاثي واسم الفاعل منه من الثنائي المضعف في حال الإدغام ، كما في قولهم : (غارت السوق تغار غراراً : كسدت) ... وقد يقع أيضاً في أول ما هو كالكلمة ، كما في قراءة من قرأ (ولا تيمموا) وأمثالها ، وكنطق بعض أبناء الكويت لعبارة : (لا تتأخر) ؛ فإنهم ينطقونها : لا تأخر " ^(٣) ويرى الدكتور سعد مصلوح أن العربية المعاصرة تتجه " إلى التقليل من استعمال هذا النوع من المقاطع ، وقد لاحظ علماء السلف : كالمبرد أن هذا الضرب لا يقع في عروض الشعر ، إلا ما كان من قول القائل : [المتقارب]

فذاك القصاص وكان التقاصُّ فرضاً وحتماً على المسلمين^(٤)

(١) انظر : حذف تاء تفاعل وتفاعل ١٩-٢٠ .

(٢) التطور اللغوي للدكتور رمضان عبد التواب ٩٦ .

(٣) حذف تاء تفاعل وتفاعل ٢٠ (هامش) .

(٤) البيت بلا نسبة في اللسان (قصص) ٦٧/٧ ، وروايته : (فرمنا القصاص ... حكماً

وعدلاً) وانظر تخريجه كاملاً في هامش الكامل للمبرد (تحقيق د. محمد الدالي) ٣٩/١ .

ويعلق المبرد بقوله ^(١) : ولو قال : وكان القصاص ، كان أجود وأحسن " ^(٢)

وهكذا نجد أن التخالف في هذا النوع لجأ إلى مقطع صعب ، ولكنه - فيما يبدو - كان أيسر علي العربي من توالي الأمثال .

سادساً : المخالفة بالحذف

المخالفة بالحذف نوع من المخالفة المقطعية ، أو الصوت مقطعية ، ذلك أن اللغة تميل إلى التخلص من توالي المقاطع المتماثلة ، فتحذف واحداً منها ، وهو ما تنبه له اللغويون العرب ، وأطلقوا عليه : كراهة توالي الأمثال ^(٣) ، ودرسه المحدثون أيضاً ، إذ يقول بروكلمان : " إذا توالي مقطعان ، أصواتهما الصامتة متماثلة ، أو متشابهة جداً والواحد بعد الآخر ، في أول الكلمة : فإنه يكتفى بواحد منهما ، بسبب الارتباط الذهني بينهما " ^(٤)

وتحدث برجشتراسر عن هذه الظاهرة في إطار حديثه عن الترخيم ، وراي أنها من أنواع المخالفة ، إذ يقول : " ومن الترخيم ما هو جنس من التخالف ، وهو حذف أحد مقطعين متتالين ، أولهما حرفان مثلان أو شبهان " ^(٥) وهذا النوع من المخالفة يندرج تحته بعض الصور ، ومنها :

(١) الكامل (د. الدالي) ٣٩/١ بتصرف يسير .

(٢) دراسة السمع والكلام ٢٣٧ .

(٣) يقول السيوطي في الأشباه والنظائر ١٨/١ : " اجتماع الأمثال مكروه ، ولذلك يفر منه إلى القلب أو الحذف أو الفصل " وللتوسع في بحث هذه الظاهرة ، انظر مبحث (كراهة توالي الأمثال في أبنية العربية) ضمن كتاب : بحوث ومقالات في اللغة ٢٧ وما بعدها .

(٤) فقه اللغات السامية ٧٩ .

(٥) التطور النحوي ٧٠ .

(أ) حذف إحدى التاءين في صيغتي تتفعل وتتفاعل :

وهو كثير جداً في القرآن الكريم ، فقد " بلغ عدد الآيات التي وردت فيها كلمات من بناء تتفعل وتتفاعل تمت فيها المخالفة ٣٥ آية في إطار ٣٠ جذراً لغوياً ، كان نصيب بناء تتفعل ٢٠ جذراً في ٢٢ آية ، وكان نصيب بناء تتفاعل ١٠ جذور في ١٢ آية " ^(١)

وبصرف النظر عن الخلاف حول أي التاءين هي المحذوفة ، فإن " المقطع المحذوف هنا هو مقطع مورفيمي تصريفي ، يتمثل في التاء المفتوحة ، سواء كان تاء المضارعة أم تاء المطاوعة في الماضي " ^(٢)

وقد أكثر أهل المعاني الحديث عن هذا النوع من المخالفة بالحذف ، وكان من أكثرهم في ذلك تفصيلاً الضراء ، غير أنه يجدرُ بي أن أذكر إشارة الأخفش لهذه الظاهرة أولاً لأن السابق ليس كاللاحق! يقول الأخفش في قوله تعالى : ﴿ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ﴾ (النساء ١/٤) : خفيفة : لأنها من تساؤلهم ؛ فإنهم يتساءلون ؛ فحذف التاء الأخيرة ، وذلك كثير في كلام العرب ؛ نحو (تَكَلِّمُونَ) ^(٣) . ويلاحظ هنا أن الأخفش أشار إلى أن التاء المحذوفة من (تساءلون) هي التاء الأخيرة ، وهو رأي أكثر البصريين ، بينما يرى الضراء أن الاحتمالين قائمان ، إذ يقول في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمْ ﴾ (النساء ٩٧/٤) : إن شئت جعلت (توفاهم) في موضع نصب ولم تضمم تاء مع التاء ، فيكون مثل قوله : ﴿ إِنَّ الْبَقْرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا ﴾

(١) حذف تاء تتفعل وتتفاعل في القرآن الكريم للدكتور أحمد هريدي ٢٦ .

(٢) السابق ١٦ .

(٣) معاني الأخفش ١/٢٤٣ .

(البقرة: ٧٠/٢) وإن شئت جعلتها رفعا: تريد إن الذين تتوفاهم الملائكة ، وكل موضع اجتمع فيه تاء ان جاز فيه إضمار أحدهما ، مثل قوله : ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الأنعام ١٥٢/٦) ، ومثل قوله : ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبَلَّغْتُمْ﴾ (هود ٥٧/١١)^(١)

ومعنى قول الضراء : (في موضع نصب) : اي مبنياً علي الفتح لأنه سيكون فعلاً ماضياً ، وقوله : (جعلتها رفعا) اي جعلته فعلاً مضارعاً مرفوعاً بضممة مقدره. وقول الضراء : جاز إضمار أحدهما ، معناه أنه يجيز احتمال أن تكون المحذوفة الأولى ، وهو رأي الكوفيين ، حيث نُسب إليهم إجازة الوجهين وإن وافق بعضهم البصريين^(٢).

وقد تحدث عن هذه الظاهرة مرة أخرى عند تفسيره لقوله تعالى ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ (الليل ١٤/٩٢) حيث قال^(٣) : معناه : تلتظي؛ فهي في موضع رفع ، ولو كانت علي معنى فعل ماضٍ لكانت : فأندرتكم ناراً تلتظت... حدثني سفيان... قال : فانت عبيد بن عمير ركعة من المغرب ، فقام يقضيها ،

(١) معاني الفراء ٢٨٤/١.

(٢) انظر الخلاف في هذه المسألة ، ووجه كل فريق من الفريقين عند الأنباريين : أبي بكر ابن الأنباري في شرح القوائد السبع الطوال الجاهليات ١٤٢-١٤٢ ، وأبي البركات ابن الأنباري في الإنصاف (د. جودة) فقد خصص لها المسألة السادسة والتسعين ص ٨١٥ وما بعدها ، وانظر أيضاً : حذف تاء تفعل وتفاعل ٦-٨.

(٣) معاني الفراء ٢٧١/٣-٢٧٢.



فسمعه يقرأ : (فأذرتكم ناراً تلتظي) ... ورايتها في مصحف عبد الله : (تلتظي)
بتاءين " (١)

وقال الزجاج في ﴿ تَطَهَّرُونَ عَلَيْهِمْ ﴾ (البقرة ٢ / ٨٥) : " ومن قرأ
بالتخفيف ، فالأصل فيه أيضاً تتظاهرون ، فحذفت التاء الثانية لاجتماع
تاءين " (٢). وعاد الزجاج ليفصل رأيه في حذف التاء الثانية عند تفسيره لقوله
تعالى : ﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف ٧ / ٣) حيث يقول " : " ... ومن قرأ
(تذكرون) (٣) فالأصل أيضاً تتذكرون ، إلا أنه حذف إحدى التاءين ، وهي
التاء الثانية ؛ لأنها زائدتان ، إلا أن الأولى تدل علي معنى الاستقبال فلا
يجوز حذفها ... وإنما المحذوف من (تتفعلون) الثانية ، لأن الباقي في الكلمة
من تشديد العين من (تفعل) يدل علي معنى الكلمة ولو حذف تاء
(استقبال) لبطل معنى الاستقبال " .

وهكذا نرى الزجاج مهموماً بالقضية ، يبحث لها عن أدلة منطقية مقنعة
، وكذلك كان الأزهري عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾
أيضاً حيث قال : " ... والتاء المحذوفة هي الثانية ؛ لأنها زائدتان ، إلا أن
الأولى تدل علي معنى الاستقبال ، فلا يجوز حذفها ، والثانية إنما دخلت علي

(١) القراءة بتاءين (تلتظي) قرأها ابن الزبير وزيد بن علي وطلحة إلى جوار ابن مسعود
وعبيد بن عمر ، انظر البحر ٨ / ٤٨٣ وإعراب ثلاثين سورة ١١٢ .

(٢) معاني الزجاج ١ / ١٦٦ .

(٣) معاني الزجاج ٢ / ٣١٦ .

(٤) هي قراءة حفص عن عاصم وحمزة والكسائي كما في السبعة ٢٧٨ وحجة القراءات لابن
زنجلة ٢٧٩ .

معني فعل الشيء علي مهل ، نحو قولك : تفهمت وتعلمت . أي : اخذت الشيء علي مهل" (١)

وقد اشار الكرمانلي لهذه الظاهرة ببيجاز فقال في ﴿ فَأَنْتَ لَهُ نُصَدَى ﴾

(عبس ٨٠/٦): "وفيه قراءتان، التشديد علي الإدغام، والتخفيف علي الحذف" (١)

ومن خلال هذه الأمثلة يتضح شيوع الظاهرة عند علماء المعاني من ناحية ، والتفاتهم إلى أن هذا الحذف هدفه تسهيل النطق وتيسيره من ناحية اخري (٢).

ولو نظرنا إلى كلمة (تتذكرون) لوجدنا أنها مكونة من المقاطع التالية :

تَ تَ ذُكُ كُ رُ وُ نَ = ٦ مقاطع

وتصير بعد حذف المقطع تَ ذُكُ كُ رُ وُ نَ = ٥ مقاطع

وهذا إذن من قبيل الاختصار ، كما يقول برتيل : " ولو حدث - في

السلسلة المتكلمة - أن اكتفى المتكلم بنطق مجموعة الوحدات الأصواتية

المكررة مرة واحدة ، وقد كان لازماً أن ينطقها مرتين متواليتين ، فهذه ظاهرة

الاختصار أو الترخيم " (١)

ولكن الملاحظ أن هناك كلمات من هذا البناء لم تتم فيها المخالفة

بحذف التاء (مثل : تتفكرون) ، وأن هناك كلمات تمت فيها هذه المخالفة في

بعض السياقات دون بعض ، مثل : تذكرون ، فقد جاءت كلتا الصيغتين :

تذكرون ، وتذكرون في القرآن الكريم.

(١) معاني القراءات ٤٠٠/١ .

(٢) مفاتيح الأغاني ٤٢٧ .

(٣) وهو ما يطلق عليه المعاصرون أيضاً (الحذف التسهيلي) أو (الاختزالي)

(٤) علم الأصوات ١٥٢ .



وهذا يوحي بأن توالي التاءين ليس وحده مسوغاً للحذف ؛ وإلاً لحذفت إحدى التاءين في كل صيغة ، وفي كل سياق ، وفي كل كلمة ، وهو ما لم يحدث !

ولذا فقد قام الدكتور أحمد هريدي - في محاولة لتفسير سبب حدوث الحذف في بعض الكلمات دون بعض - ببحث الظاهرة في ضوء فحص علاقات الأصوات المحيطة بالكلمة في إطار الجملة أو العبارة ، ومخارج تلك الأصوات في السلسلة الكلامية ، وقد اتضح له أن حذف التاء قد تم - في الأغلب - بتأثير عدد من الأصوات التي يشارك اللسان في إصدارها بصورة أساسية ومنها التاء ، والتي تُسمى (الأصوات اللسانية)^(١) وهي أقسام ثلاثة: الأصوات الأسنانية اللثوية، والأصوات اللثوية، والأصوات الأسنانية .

وهذه الأصوات المؤثرة قد تكون تالية للتاءين في داخل الكلمة فتكون المخالفة راجعة (أو مدبرة) وقد تكون سابقة للكلمة فتكون المخالفة مقدمة أو مقبلة، وقد تكون الأصوات سابقة وتالية أيضاً للكلمة فتكون المخالفة مزدوجة .

وفي المخالفة الراجعة قد يكون الصوت المؤثر في تحقيق التخالف متصلاً أي تالياً للتاءين ، فتكون المخالفة راجعة متصلة ، وقد يكون مفصلاً عن التاءين بمقطع صوتي واحد ؛ فتكون المخالفة راجعة منفصلة^(٢) ، ويمكن أن اضرب لذلك أمثلة مما ذكره علماء المعاني فيما يلي :

-
- (١) لأنه نادرًا ما تقابل اللغات بين صامت ينتج بطرف اللسان وآخر ينتج بنصله ، وإنما تعدّهما معيارين لوحدة صوتية واحدة ، انظر دراسات صوتية للدكتورة تغريد عنبر ٣١٣ .
(٢) انظر حذف تاء تفاعل وتفاعل في القرآن الكريم ٤٦ - ٤٩ .



جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ (النساء: ١/٤) وهو المثال الذي ذكره الأخفش^(١) كما مر بنا .

ونلاحظ في هذا المثال وجود صوت واحد من أصوات طرف اللسان (الأسنان اللثوية) تالٍ للتاء مباشرة دون فاصل وهو صوت السين ، ولذلك فالمخالفة هنا مدبرة متصلة .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ﴾ (عبس ٨٠ / ٦) ، وهو المثال الذي ذكره الكرمانى^(٢) كما مر .

ونلاحظ في هذا المثال وجود صوت الصاد وهو (اسناني لثوي) تالٍ للتاء مباشرة فالمخالفة مدبرة متصلة كسابققتها . ويمكن ان نكرر القول ذاته في : ﴿ تَظْهَرُونَ عَلَيْهِمْ ﴾ (البقرة ٨٥/٢) وهو المثال الذي ذكره الزجاج كما مر .

وأما المخالفة المدبرة المنفصلة ؛ فنستطيع ان نضرب مثلاً لها بقوله تعالى: ﴿ فَأَنْذَرْتُمْ كُرّاً تَارّاً تَطْطَى ﴾ (الليل ٩٢ / ١٤) وهو المثال الذي ذكره الفراء^(٣) حيث تم حذف التاء في حال وجود صوتين مثلين مكررين في الكلمة من أصوات طرف اللسان (الظاء المشددة) وقد فصل بينهما وبين التاء فاصل، وهو اللام .

ثانياً : المخالفة المقبلية

وذلك كما في قوله تعالى : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ (آل عمران ١٠٣/٣) والذي يقول عنه الزجاج : " واصل تفرقوا : تفرقوا ، إلا ان

(١) معاني الأخفش ١ / ٢٤٣ .

(٢) مفاتيح الأغاني ٤٢٧ .

(٣) معاني الفراء ٣ / ٢٧١ - ٢٧٢ .





التاء حذفت لاجتماع حرفين من جنس واحد في كلمة ... " (١) ، ونلاحظ في هذا المثال ان كلمة ﴿ تَفَرَّقُوا ﴾ قد سبقت في الجملة بالأصوات التالية :

١ - (ت) و (ص) وهما اسنان لثويان .

٢ - (ل) وهي لثوية من مخرج الراء المكررة (عين الكلمة)

٣ - (ب) ، و (و) ، و (م) وهي شفوية ، تجاور مخرج فاء الكلمة (وهو صوت الفاء) الشفوي الأسنانني .

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا

تَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف ٣ / ٧) ، وهو المثال الذي ذكره الزجاج والأزهري فيما مضى .

ونلاحظ ان التجمع التكراري هنا ليس للأصوات فقط ، بل في صورة

كلمات كذلك ، فقد تكررت كلمة (اتبعوا) و(اتبعوا) / كما تكررت (ما) مرتين ، وتكرر الضمير (كم) مرتين ، فضلاً عن تكرار الأصوات التالية :

١ - (ه ت) و (٢ ك) - فضلاً عن كاف الكلمة ذاتها - و (٢ ع) ، و (٥ ه) .

٢ - (ل) ، و (٥ ن) ، و (٦ م) ، و (٤ ب) .

ثالثاً : المخالفة المزدوجة

ومن امثلتها ما ذكره الفراء - وقد مر - من قوله تعالى :

﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هِيَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا

غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ (هود ٥٦ ، ٥٧)

(١) معاني الزجاج ١ / ٤٥٠ .

البصائر الأذن

وقد ذكرت الأيتين كاملتين لنتمكن من النظر في سياق ما قبل الكلمة التي تم فيها المخالفة (تولوا) وسياق ما بعدها . وسنجد تكرار الجذر (رباً) خمس مرات ، و(إن ربي) مرتين ، و(وربي) مرتين ، وكذلك تكرر (إن) ثلاث مرات ، فضلاً عن وجود (فإن) سابقة للكلمة (تولوا) ، وكان مجموع التكررات الصوتية على النحو التالي :

١ - اللام: ١٦ مرة (٦ + ٢ + ٨) ، والنون: ١١ (٣ + ٠ + ٨) ، والراء: ١٠ (٦ + ٠ + ٤) .

٢ - التاء : ٩ (٤ + ٠ + ٥) ، والصاد : ٢ (٠ + ٠ + ٢) ، والسين: ٣ (٢ + ٠ + ١) .

٣ - الواو : ٨ (٤ + ١ + ٣) ، والباء : ١٥ (٦ + ٠ + ٩) ، والميم: ١٠ (٥ + ٠ + ٥) والفاء : ٤ (٣ + ٠ + ١)

٤ - الكاف : ٧ (٤ + ٠ + ٣) ، والقاف : ٣ (٢ + ٠ + ١)

مع ملاحظة أن العدد الذي في منتصف الأعداد بين القوسين يمثل الأصوات في الكلمة التي حدثت المخالفة بها .

(ب) حذف أحد صوتي المضعف عند إسناده لتاء الفاعل :

وهذا كثير عند العرب ، وقد أورد الأخفش منه بعض الأمثلة ، ومنها :

" ما أَحَسَّتْ مِنْهُمْ أَحَدًا ، فَالْقُوا إِحْدَى السَّنِينِ اسْتِثْقَالًا ... واما قوله

﴿ فَظَلَّتْ تَفَكَّهُونَ ﴾ (الواقعة ٥٦ / ٦٥) فإنها إنما كُسِرَ أوَّلُها ؛ لأنه يقول

(ظَلَلْتُ) ، فلما ذهب أحد الحرفين استثقلاً ؛ حُوِّلَتْ حركته على

الطاء ، قال أوس بن مغراء ^(١) [البسيط]

مَسْنَا السَّمَاءَ فَنَلْنَاهَا وَطَاءَ لَهُمْ حَتَّى رَأَوْا أَحَدًا يَهُوِي وَنُهَلْنَا ^(٢)

لأنها من (مسست) ، وقال بعضهم : (فَطَلَّمْ) ؛ ترك الطاء على فتحها ، وحذف إحدى اللامين ، ومن قال هذا : قال : مَسْنَا السَّمَاءَ ، وهذا الحرف ليس بمطرد ، إنما حُذِفَ من هذه الحروف التي ذكرت لك خاصة ، ولا يُحذف إلا في موضع لا تُحَرِّك فيه لام الفعل ، فاما الموضع الذي تُحَرِّك فيه لام الفعل فلا حذف فيه ^(٣)

وعلى الرغم من ان الأخفش يتحدث عن (حذف إحدى اللامين) من ظلمت ؛ فإنه أشار إشارة واضحة إلى ان اللام المحذوفة هي الأولى ، حين قال : " فلما ذهب أحد الحرفين حَوَّلَت حركته على الطاء " فمعنى ذلك ان اللام الأولى هي التي حذفت وحَوَّلَت حركتها على الطاء ، لأنها اقرب لها من الأخرى ، وهو ما صرح به الفراء ، ولم يتركنا للحدس والتخمين حيث قال ^(٤) " والعرب تقول : من أين حَسَيْتَ هذا الخبر ؟ يريدون من أين تخبَّرته ؟ وربما

(١) هو أوس بن مغراء ، من قُرَيع بن عوف بن كعب بن سعد ، عدّه ابن سلام الجُمحي من الطبقة الثالثة من لحول الشعراء الإسلاميين ، انظر ترجمته في الطبقات ٥٧١/٢ - ٥٧٢ .

(٢) البيت في اللسان (مسس) ٦ / ٢١٧ دار صادر ، منسوبًا لابن مغراء .

(٣) معاني الأخفش ١ / ٢٥٥ - ٢٥٦ ؛ وكلام الأخفش هنا يرد على من ذهب أن (عين) الكلمة هي المخدوفة ومنهم الدكتور أحمد عفيفي في كتابه : ظاهرة التخفيف في النحو العربي ٢٢٣ .

(٤) معاني الفراء ١ / ٢١٧ وقد صرح الفارسي أيضًا بأن المخدوف الحرف الأول واستدل على ذلك بكلام يشبه كلام الأخفش السابق ، انظر الإغفال ١ / ٦٦ .

قالوا : حَسِيت بالخبر وأحسيت به ، يبدلون من السين ياء ، كقول أبي زيد
[الوافر] :

حَسِينٌ بِهِ فَهَنْ إِلَيْهِ شَوْسٌ^(١)

وقد تقول العرب : ما احست بهم احداً ، فيحذفون السين الأولى ،
وكذلك في وددت ، ومسست ، وهممت ، قال : انشدني بعضهم : [الرجز]

هَلْ يَنْفَعُنَاكَ الْيَوْمَ إِنْ هَمَّتَ بِهِمْ

كثيرةً ما أتاني وتعقأذ للرمم^(٢)

وتحدث بيان الحق النيسابوري عن هذه الظاهرة ايضاً ، في تفسيره
لقوله تعالى : ﴿ الَّذِي ظَلَّتْ عَلَيْهِ عَاكِفًا ﴾ (طه ٢٠ / ٩٧) حيث قال^(٣) : " ظَلَّتْ
، فحذف ، كقولهم : مست في مسست ، واحست في احسست ، قال الراجز :

ظَلُّوا يَحْجَبُونَ وَظَلَّنَا نَحْجَبُهُ

(١) هو حرملة بن المنذر بن حرملة بن معد يكرب الطائي ، شاعر مشهور أدرك الإسلام ،
واختلف في إسلامه ، له ترجمة في الإصابة ٤ / ٨٠ .

(٢) هذا عجز بيت لأبي زيد الطائي في ديوانه ٩٦ (برواية حسن) المحتب ١ / ١٢٣ وأما
ابن الشجري (د . الطناحي) ٢ / ١٧٢ والقرطبي ١١ / ٢٤٢ ومجاز القرآن ١ / ٨
ومجالس ثعلب ٢ / ٤١٨ برواية (حسين) وصدرة : خلا أن العناق من المطايا .

(٣) البيتان بلا نسبة في سر صناعة الإعراب ١ / ١٢٥ واللسان (رتم) ١٢ / ٢٢٥ ،
وروايتهما : هَمَّتْ هَمٌّ ، بتشديد الميم ، وشرح شواهد الشافية ٤ / ٤٦١ ، وروايته
هَمْتَيْهِمْ . والرتم أصله من الريمة ، وهو خيط يشد في الإصبع لتذكر به الحاجة ، وكان
الرجل إذا أراد سفراً عمداً إلى شجرة فشد غصنين منها ، فإن رجع ووجدهما على حالهما
قال : إن أهله لم تخنه ، وإلا فقد خانت . انظر الموضوع السابق .

(٤) باهر البرهان ٢ / ٩١٦ - ٩١٧ .

وظلَّ يُرمى بالحصى مَبُوبًا ه (١)

وواضح أن هذا التغيير - بصرف النظر عن الحرف المحذوف - من قبيل المخالفة المقطعية أيضاً لأنه يتم عن طريق حذف مقطع وإحداث تغيير في كم المقطع الأول ، فالكلمة قبل التغيير :

أصلها : م س س ت = ٣ مقاطع

ويعد التغيير : م س ت = مقطعان

وهكذا أصبح المقطع الأول طويلاً مغلقاً (صامت + حركة قصيرة + صامت) بعد أن كان قصيراً مفتوحاً : صامت + حركة قصيرة .

(ج) حذف نون الأفعال الخمسة ونون النسوة :

وغالباً ما يكون ذلك بالحذف عند إسناد الفعل إلى (نا) المتكلمين أو ياء المتكلم ، أو ياء المخاطبة حيث تجتمع نونان ، فاستثقلت العربية اجتماعهما ، فحذفت إحداهما - على خلاف لا يؤثر - تخلصاً من توالي الأمثال (نون الفعل ونون الوقاية) .

وقد ذكر علماء المعاني بعض الأمثلة لهذا النوع من المخالفة بالحذف ، ومنهم الأخفش حيث يقول^(٢) : " وقد قرأ بعض القراء : ﴿ فِيمَ تَبْشِرُونَ ﴾

(١) البيتان في اللسان (حجج) ٢ / ٢٢٧ برواية (ظلَّ يَجَّجٌ وظللتنا) وعلى هذا فلا شاهد فيهما ، وهما لدكين فيه ، وقد عرف من الرُّجَاز الثاني هذا الاسم ، فلا أدري أيهما المقصود ، انظر ترجمتهما في معجم الأدباء ٤ / ١٩٨ - ٢٠٠ ، وتعليق أحمد شاكر على خلط ابن قتيبة بينهما في الشعر والشعراء ٢ / ٦١٠ .

(٢) معاني الأخفش ١ / ٢٥٤ - ٢٥٥ .

(الحجر ١٥/٥٤)^(١) أراد تبشرونني : فأذهب إحدى النونين استثقلاً
لاجتماعهما ، كما قال : ما أَحَسْتُ ... فهذا أجدر أن يستثقل : لأنهما جميعاً
متحركتان ، قال الشاعر : [الوافر]

تراه كالثغام يُعَلِّ مِسْكَاً يَسُوءُ الغاليات إذا فَلَيْنِي^(١)

فحذف النون الأخيرة : لأنها النون التي تزداد لِيَتْرَكَ ما قبلها على حاله ،
وليست باسم : فأما الأولى فلا يجوز طرحها : فإنها الاسم المضمرة .

وقال أبو حية النُميري^(٢) : [الوافر]

أبالموت الذي لا يبد أتني مُلاقٍ لا أباك تخوِّفيني^(١)

فحذف النون " .

وقد تحدث الضراء أيضاً عن هذه القراءة، وقدّم لها تفسيراً من وجهة
نظره، حيث يقول^(٥) : " وقد كسر أهل المدينة ، يريدون أن يجعلوا النون مفعولاً
بها ، وكانهم شدّوا النون فقالوا : (فبم تبشرون قالوا) ثم خفضوها ، والنية على

(١) هي قراءة نافع وشيبة، فهي قراءة سبعة، انظر السبعة ٣٦٨ وحجة القراءات لابن زنجلة
٣٨٣، والنشر ٢/٣٠٦ .

(٢) سيأتي تخرجه مع بيت يليه قريباً .

(٣) هو الهيثم بن الربيع ، وكان يروي عن الفرزدق ، وهو شاعر محسن على لؤلة كانت فيه ،
انظر أخباره في الشعر والشعراء ٧٧٤ - ٧٧٥ وسمط اللآلئ ١ / ٢٤٤ .

(٤) البيت في ديوانه ق ٦٧ / ١ ص ١٧٧ ، وهو من شواهد النحو المعروفة ، انظره في
المقتضب ٤ / ٣٧٥ والاصول ١ / ٣٩٠ والخصائص ١ / ٣٤٦ والكامل للمبرد
(٥ د الدالي) ٢ / ٦٧٠ .

(٥) معاني الفراء ٢ / ٩٠ .

تثقيلا ، كقول عمرو بن معد يكرب ^(١) : [الوافر]

رَأْتُهُ كَالثَغَامِ يُعَلِّ مِسْكَاً يَسُوءُ الْغَايَاتِ إِذَا فَلَيْنِي
فَأَقْسَمَ لَوْ جَعَلْتَ عَلَيَّ نَذْرًا بطعنة فارسٍ لَقَضَيْتُ دَيْنِي ^(٢)

وفصل الزجاج القول في بعض امثلة هذه الظاهرة ومنها قراءة :
(اتحاجونا) ^(٣) ، حيث قال ^(٤) : " وإن شئت حذفته إحدى النونين ، فقلت :
(اتحاجونا) فحذف لاجتماع النونين ، قال الشاعر : [الوافر]

تراه كالثغام يعمل مسكاً يسوء الغايات إذا فليني

يريد فليني ، ورأيت مذهب المازني وغيره رد هذه القراءة ، وكذلك
ردوا قراءة (فبم تبشرون) ... والإقدام على رد هذه القراءة غلط ، لأن نافعاً
رضي الله عنه قرأ بها ^(٥) ... وله وجه في العربية : فلا ينبغي أن يرد "

(١) هو أبو ثور عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، فارس من فرسان العرب المشهورين ، أدرك
الإسلام فأسلم ، ثم ارتد ثم أسلم وحسن إسلامه ، وأُقتل في فتح نهاوند ، له ترجمة في معجم
الشعراء للمرزباني ١٥ - ١٧ ، ومن اسمه عمرو من الشعراء ١٤٠ والشعر والشعراء
٣٧٢ وما بعدها .

(٢) البيتان في ديوانه ق ٦٦ / ٢ و ٥ ص ١٨٠ ، ورواية الديوان : (رأته كالثغام ... إذا ما
قلت إن عليّ نذراً) والأوّل في الكتاب ٣ / ٥٢٠ ، وابن يعيش ٣ / ٩١ والجمع ١ / ٩٥
والخزانة ٢ / ٤٤٥ ، وهو من الشواهد المعروفة أيضاً .

(٣) لم يصرح أبو حيان في البحر المحيط ١ / ٤١٢ أنها قراءة ، وإنما قال : " ويجوز حذف
النون (اتحاجونا) وكذلك في إعراب النحاس ١ / ٢٦٧ ، وانظر معجم القراءات
٢٠٣ / ١ .

(٤) معاني الزجاج ١ / ٢١٦ .

(٥) يقصد آية (فبم تبشرون) كما مر .

وقد ذكر الأزهري القراءات الواردة في قوله تعالى : (فيم تبشرون)
 وذكر قراءة التخفيف على حذف النون ، واستشهد بببيت عمرو بن معد يكرب
 السابق^(١) .

وأشار أبو العلاء الكرمانى أيضاً إلى هذه الظاهرة بإيجاز : فقال : " ...
 وقرا نافع : (فيم تبشرون) بكسر النون ، أراد : تبشروني ، فحذف النون الثانية
 ، وأبقى الكسرة التي تدل على الياء "^(٢) .

ولو نظرنا في هذه الأمثلة لوجدنا أن الذي حذف مقطع واحد ، قصير ،
 أو طويل ، فمثلاً كلمة :

تبشرون : أصلها : تَبَشُّ شِ رُو نَ نِي = ٦ مقاطع

صارت بعد الحذف : تَبَشُّ شِ رُو نِ = ٥ مقاطع

وأُقيت كسرة النون المحذوفة على النون التي قبلها ، فصارت هذه النون
 المتبقية مكسورة .

وعلى هذا فقد تم حذف مقطع طويل مفتوح (ني) صامت + حركة
 طويلة .

وأما كلمة (اتحاجونا) ، فأصلها : ا تَحَاجُ جُو نَا = ٦ مقاطع

وصارت بعد الحذف : ا تَحَاجُ جُو نَا = ٥ مقاطع

وهذا يعني أن الحذف شمل مقطعاً واحداً قصيراً (ن) ، ولم يحدث
 تغييرات أخرى في الكلمة .

(١) انظر معاني القراءات ٢ / ٧٠ .

(٢) مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني ٢٣٥ .



ولو نظرنا إلى الأمثلة غير القرآنية ، التي ذكرها علماء المعاني :
لوجدنا كلمتين وردتا في الشعر :

الأولى : (تخوفيني) ، وأصلها :

تُ خُوِّ وِ فِي نِ نِي = ٦ مقاطع

وصارت بعد الحذف : تُ خُوِّ وِ فِي نِي = ٥ مقاطع

أي : حُذِفَ مَقْطَعٌ وَاحِدٌ قَصِيرٌ (نِ) بِلا تَغْيِيرَاتٍ أُخْرَى .

والثانية : كلمة (هَلَيْنِي) ، وأصلها :

هَلِي نِي نِي = ٤ مقاطع

وصارت بعد الحذف : هَلِي نِي = ٣ مقاطع

(د) حذف تاء (الاستفعال) من الفعل (استطاع) ومضارعه :

وقد تحدث الأخص عن هذا في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فَمَا اسْتَطَعُوا ﴾

(الكهف ١٨ / ٩٧) ، فقال ^(١) : " لأن لغة للعرب تقول : (استطاع يستطيع) ،

يريدون به : (استطاع يستطيع) ولكن حذفوا التاء إذا جمعت الطاء : لأن

مخرجهما واحد ، وقال بعضهم : (استطاع) فحذف الطاء لذلك ، وقال

بعضهم : (استطاع يُسْطِيعُ) فجعلها من القَطْعِ " .

وكذلك فعل الزجاج في تفسير هذه الآية ، حيث قال ^(٢) : " وقوله :

﴿ فَمَا اسْتَطَعُوا ﴾ بغير تاء ، أصلها استطاعوا ، بالتاء ، ولكن التاء والطاء من

مخرج واحد ، فحذفت التاء لاجتماعهما ، وليخف ^(٣) اللفظ ، ومن العرب من

(١) معاني الأخص ٢ / ٤٣٣ - ٤٣٤ .

(٢) معاني الزجاج ٣ / ٣١٢ .

(٣) في الأصل يخف ، بلا لام ، والتصحيح من معاني القراءات للأزهري ٢ / ١٢٦ .

يقول : فما استاعوا بغير طاء ، ولا تجوز القراءة بها ، ومنهم من يقول : فما اسطاعوا ، بقطع الألف "

وقد تحدث الأزهري أيضاً عن هذا الحذف ، ولكنّه نقل كلام الزجاج كاملاً ، ولم يضيف عليه شيئاً ^(١) .

أما أبو علي الفارسيّ فقد رأى أيضاً أن هذا " الحذف من اللفظ للتخفيف لاجتماع الأمثال ، وتقدير الثبات في اللفظ ، نحو ... (يسطيع) وما أشبه ذلك " ^(٢)

وذكر هذا الحذف أيضاً في أثناء حديثه عن حذف الحرف الزائد ، فقال : " فالحذف في هذا الحرف الزائد ، كالحذف في الحروف الأصلية .. وكحذفهم التاء من (استطاع) " ^(٣) .

وأما سبب هذه المخالفة فكما ذكر هؤلاء العلماء ، فالتاء والطاء من مخرج واحد ، والمخالفة كما تكون بين المتماثلين فإنها تكون بين المتجانسين والمتقاربين ، وها هو برجشتراسر في حديثه الذي نقلته عن الترخيم سابقاً يقول : " ومن الترخيم ما هو جنسٌ من التخالف ، وهو حذف أحد مقطعين متتالين ، أو لهما حرفان مثلان ، أو شبهان ... وأمثال ذلك في القرآن عديدة ... (و) اسطاع (بدل : استطاع) ... " ^(٤)

(١) النظر معاني القراءات ٢ / ١٢٦ .

(٢) الإغفال ١ / ٦٠ .

(٣) الإغفال ١ / ٦٥ .

(٤) التطور النحوي للغة العربية ٧٠ .



كما أن الفارسيّ ضرب مثلاً على جواز التخفيف لاجتماع الأمثال بالفعل (يسطيع) ، وكأنه يرى أن التاء والطاء المتقاربان ، كالأمثال^(١) ، فهما في هذا الحكم سواء .

وهو ما فعله استاذنا الدكتور رمضان عبد التواب ، في بحثه عن كراهة توالي الأمثال ، حيث ذكر في أمثلته (المثال الثامن) : (الفعل استطاع ومضارعه)^(٢) ولو نظرنا في صور الحذف لهذا الفعل في ماضيه ومضارعه لوجدنا أن لدينا في الماضي :

استطاع المتطورة عن استطاع

واستاع المتطورة أيضاً عن استطاع

فيكون الحذف مقطعيّاً في الصورتين ، فصي الأولى :

الأصل : اس ت طا ع = ٤ مقاطع

وبعد الحذف : اس طا ع = ٣ مقاطع

أي حذف مقطع قصير مفتوح (ت)

وكذلك كلمة (استاع)

فالأصل : اس ت طا ع = ٤ مقاطع

وبعد الحذف : اس تا ع = ٣ مقاطع

لكن الواضح هنا أنه إلى جوار حذف المقطع (ت) حدث تأثير جزئي / من قبل الطاء المضخمة بالسین المرفقة السابقة عليها ، فتحوّلت إلى نظيرها المرفق وهو التاء . أي أن هذه الكلمة حدث بها مخالفة ثم مماثلة .

(١) حيث إنه لا يفرق بين التاء والطاء إلا التفخيم والترقيق فقط ، كما في (اللغة العربية

معناها ومباها) للدكتور تمام حسا ٥٦ .

(٢) بحوث ومقالات في اللغة العربية ٤٧ .

وكذلك الحال في صورتَي المضارع ، فصي (يسطيع)

الأصل : يَسُنْ تَ طي عُ = ٤ مقاطع

وبعد الحذف : يَسُنْ طي عُ = ٣ مقاطع

وفي كلمة (يستيع)

الأصل : يَسُنْ تَ طي عُ = ٤ مقاطع

وبعد الحذف : يَسُنْ تي عُ = ٣ مقاطع

وظاهر أن ما حدث فيهما هو ما حدث في صيغتي الماضي سواء بسواء .

(هـ) حذف تاء : (وعبد الطاغوت) :

ذكر المفسرون وجوهاً عديدة لتفسير قوله تعالى : ﴿ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾

(المائدة ٦٠/٥) ومنها القول بأن الأصل (عبدة) على اعتبار أنها جمع عبد ، وقد

تحدث بعض أهل المعاني عن هذا وأولهم الفراء حيث قال^(١) : "وكان أصحاب

عبد الله يقرأون : (وعبد الطاغوت)^(٢) على فعل ، ويضيفونها إلى الطاغوت ،

ويفسرونها : (خدمة الطاغوت) ... ولو قرأ قارئ (وعبد الطاغوت) كان

صواباً جيداً ، يريد عبدة الطاغوت ، فيحذف الهاء لكان الإضافة " .

"والحقيقة أن التاء لم تحذف للإضافة ، وإنما حذفت لكرهية توالي

المقاطع المتقاربة في المخارج والصفات"^(٣) ، ومع ذلك ، فقد ردد نفر من

العلماء ممن جاءوا بعد الفراء مقولته هذه ، ومنهم النحاس حيث يقول : "

(١) معاني الفراء ١ / ٣١٤ .

(٢) النظر هذه القراءة في المختص ١ / ٢١٤ ومعجم القراءات ٢ / ٣١٠ .

(٣) بحوث ومقالات في اللغة ٥٤ بتصرف .



وأجاز بعض العلماء : (وعبد الطاغوت) بالخفض على معنى: عبدة، مثل :
كاتب وكتبة والهاء تحذف من مثل هذا في الإضافة " (١).

ولعل النحاس يقصد الفراء بقوله : (وأجاز بعض العلماء) .

وأوجز بيان الحق النيسابوري في المسألة، فقال : " (و عبد الطاغوت) أي
: عبدة، فحذف التاء " (٢). ولم يبين سبب الحذف)

وقد سبق أن ذكرت أن التاء والطاء شبه مثلين، فالتخلص من توالي
شبه الأمثال مسلك معروف من مسالك اللغة وقد كان ذلك - في هذا
الموضع - بالحذف، فحذف جزء من مقطع وهو التاء مع حركتها، ولعل ما
ساعد على وقوع هذه المخالفة وجود صوت الدال قبل التاء المحذوفة مباشرة،
ومجيء صوت التاء في آخر الكلمة (الطاغوت) .

فالمخالفة هنا إذن مزدوجة لأنها تمت بتأثير أصوات قبل الصوت
المحذوف وبعده، وهذه الأصوات من مخرج التاء نفسه (أسنانة لثوية) .

وعلى ذلك فإن الكلمتين قبل الحذف، كانتا تحتويان على خمسة

أصوات من مخرج واحد: ع ب د ت ط طا غ و ت

وصارت بعد الحذف: ع ب د ط طا غ و ت

أي إنه حذف جزء من المقطع (ت ط)، وضم ما بقي منه إلى المقطع

السابق عليه .

(١) معاني القرآن الكريم ٢ / ٣٣٢ .

(٢) باهر البرهان ١ / ٤٢٦ .

(و) حذف إحدى نوني بعض الحروف مثل (إِنْ وَأَنْ وَكَانَ) :

وغالباً ما يكون ذلك مع نون الوقاية قبل ياء المتكلم ، أو ضمير المتكلم المنصوب^(١) ، ولا يمنع أن تحذف النون في غير هذه المواضع ، يقول الفراء^(٢) : " وقد خفضت العرب النون من أن الناصبة ، ثم انفذوا لها نصبها ...

قال الشاعر : [الطويل]

فلو أنك في يوم الرِّخَاءِ سَأَلْتَنِي فِرَاقَكَ لِمَ أَبْخُلُ وَأَنْتِ صَدِيقُ
فَمَا رَدَّتْ زُوبِجٌ عَلَيْهِ شَهَادَةٌ وَمَا رَدَّ مِنْ بَعْدِ الْحَرَارِ عَتِيقُ^(٣)

وقال آخر : [المتقارب]

لقد علم الضيف والمرملون (م) إذا غَبَرَ أَفُقٌّ وَهَبَّتْ شَمَالاً
بأنك الربيعُ وغيبٌ مَرِيحٌ وقد ما هناك تكون الثَّمَالَا^(٤)

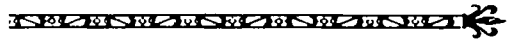
وكان الأخفش قد سبق إلى تقرير هذه الظاهرة ، عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَتُودُوا أَنْ تَلَکُمُ الْجَنَّةُ ﴾ (الأعراف ٤٣/٧) حيث قال^(٥) : " ﴿ أَنْ لَعْنَةُ

(١) انظر بحوث ومقالات في اللغة ٣٦ .

(٢) معاني الفراء ٢ / ٩٠ .

(٣) البيتان بلا نسبة في اللسان (حرر) دار صادر ٤ / ١٨١ - ١٨٢ ، والخزاعة ٥ / ٤٢٧ والأول - وهو موطن الشاهد- في الإنصاف (د. جودة) ١٦٩ ، (محيي الدين) ١ / ٢٠٥ ، والخزاعة ٥ / ٤٢٦ و ١٠ / ٣٨١ .

(٤) البيتان لجنوب بنت عجلان في الخزاعة ١٠ / ٣٨٤ وقد ذكر للبيت الثاني روايتين ، وذكر الخلاف في نسبة البيتين وانظر البيت الثاني في ابن يعش ٨ / ٧٥ ، والبيتان بلا نسبة في الإنصاف (د. جودة) ١٦٩ ، (محيي الدين) ١ / ٢٠٦ ولكعب بن زهير في الأزهية ٦٢ ، وليس في ديوانه .



اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿الأعراف ٧/٤٤﴾، وقال في موضع آخر: ﴿أَنْ أَحْمَدُ لِلَّهِ﴾
 (يونس ١٠/١٠)، ﴿أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ (الأعراف ٧/٤٤)، فهذه
 أن الثقبلة خففت؛ واضمر فيها، ولا يستقيم أن تجعلها الخفيفة؛ لأن بعدها
 اسمًا، والخفيفة لا تليها الأسماء، وقال الشاعر: [البيسط]

فِي فِتْيَةٍ كَسِيوْفِ الْهِنْدِ قَدْ عَلِمُوا أَنْ هَالِكٌ كُلٌّ مَنْ يَخْفَى وَيَنْتَعِلُ^(١)

وقال الشاعر: [الوافر]

أَكَاثِيْرُهُ وَأَعْلَمُ أَنْ كِلَانَا عَلَى مَا سَاءَ صَاحِبُهُ حَرِيصُ^(٢)

فمعناه: انه كلانا "

(١) معاني الأخفش ١ / ٣٢٥ - ٣٢٦ .

(٢) البيت للأعشى هذه الرواية في ذيل شرح المعلقات السبع للتبريزي ١٨٢ وشرح
 المعلقات العشر للشنقيطي ١٣٣ ، ويرى بعض النحويين أن العجز في هذه الرواية مصنوع
 ، ليكون شاهدًا على ما ذكره الأخفش هنا ، وهو هذه الرواية أيضًا في الكتاب ١٣٧ / ٢ ،
 أما الرواية في ديوان الأعشى ، فالعجز فيها : أن ليس يدفع عن ذي الحيلة الخيل ، النظر
 : الصبح المنير في شعر أبي بصير ق ٦ / ٣٨ ص ٤٥ والبيت في أكثر كتب النحو
 بالرواية الأولى ، النظر على سبيل المثال ابن يعين ٨ / ٧١ والخزانة ٥ / ٤٢٦ .

(٣) البيت لعدي بن زيد العبادي التميمي في كتاب سيبويه ٣ / ٧٣ ، وليس في ديوانه ولا
 ملحقاته ، والبيت منسوب لعمر بن جابر الحنفي في حماسة البحري ١٨ ، ودلنا عليه
 العلامة الطناحي محقق أمالي ابن الشجري ١ / ٢٩١ ، والدكتور كاظم بحر المرجان محقق
 المقتصد في شرح الإيضاح ١ / ١٠٤ . وأكاشره : أضحكه .

البعضلُ الأَوَّلُ

وقد أشار الفارسي لهذا النوع من الحذف أيضاً في بعض المواضع من الإغفال، ومنها: "... وكذلك حذفت النون التي تكون مع علامة المتكلم المنصوب من (كَأَنِّي) لما وقعت بعد النون الثقيلة " (١)

وقوله في موطن آخر: " وقد حذف الحرف الزائد كما حذف الأصل ، نحو :
إِنِّي وَلَعَلِّي " (٢)

وفصل الفارسي القول في موطن آخر ، فقال : " وأما ما ذكره من قولهم : (كَأَنِّي) فقد حذف غير الآخر من الأمثال إذا اجتمعت ... إلا ترى أَنَّ النون الثانية قد حذفت من (اَنَّ) في نحو ﴿ اَلَمْ اَنْ سَيَكُونُ ﴾ (المزمل ٧٣/٢٠) ... وعملت المخففة في المضمر على حد ما عملت في المظهر ، في نحو : إن زيدا منطلقاً ومنطلقاً ، وقد اجازه سيبويه ، وزعم أنها قراءة (٣) ، وقد يجيء على قياس ما اجازه في الظاهر هذا البيت الذي أنشده البغداديون : [الطويل]

فَلَوْ اَنَّكَ فِي يَوْمِ الرَّخَاءِ سَأَلْتَنِي فِرَاقَكَ لَمْ اَبْخُلْ وَاَنْتَ صَدِيقُ

... ويذهب سيبويه إلى أَنَّ (اَنَّ) المفتوحة إذا خففت اضمر معها القصة والحديث ، ولم يظهر في موضع ... "

والمتأمل في هذه الأمثلة التي تم فيها هذا الحذف يجد أن المحذوف مقطوع واحد ، ففي (اَنَّ) مثلاً :

(١) الإغفال ١ / ٦٢ .

(٢) الإغفال ١ / ٦٥ .

(٣) الذي في كتاب سيبويه ٣ / ١٦٦ : " وزعموا أنها في مصحف أبي : (ألهم لا يقدر) وذلك في قوله تعالى : (أن لا يقدر) وقد ضبطت أهم بتشديد النون في الكتاب ، وهو خطأ ، انظر معجم القراءات ٣٥٥/٩ .



نجد أصلها : إ نَ نَ = مقطعان ، وبعد الحذف : إن = مقطع واحد .

وكذلك : كاني ، الأصل : كَ أنَ نَ ني = ٤ مقاطع

وبعد الحذف : ك أنَ ني = ٣ مقاطع ... وهكذا .

ولعل سبب حذف هذا المقطع من هذه الحروف ما ذكره الجوهري ، حيث يقول ^(١) : " وإني وإني بمعنى ، وكذلك : كاني وكاني ، ولكني ولكنني ؛ لأنه كثر استعمالهم لهذه الحروف ، وهم يستثقلون التضعيف ، فحذفوا النون التي تلي الياء ، وكذلك لعلني ولعلني ؛ لأن اللام قريبة من النون " .

مخالفة الحركات بالإسكان :

تكره العربية توالي الحركات (الصوائت) كما تكره توالي الأمثال من الصوامت ؛ لأن الحركة - بصرف النظر عن نوعها - هي نقيض الساكن ، فتوالي عدد من المتحركات صعباً في النطق ، ولذا كان " من النظام المقطعي في العربية : الابتعاد عن توالي أربعة مقاطع من النوع الأول ، وهذا هو السري في تغيير نظام المقاطع في الفعل الماضي الثلاثي المتصل بضمير الرفع المتحرك ، إلى مقطعين من النوع الأول في : (ضَرَبْتُ) " ^(٢) .

وقد التفت علماء معاني القرآن إلى هذا الذي أشار إليه المحدثون ، يقول الأخفش ^(٣) : " وقال بعضهم ﴿ أَحَدَ عَشَرَ ﴾ (يوسف ٤/١٢) ، واسكن العين ، وكذلك : ﴿ تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ (المدثر ٣٠/٧٤) ، إلى العشرين ، لما طال الاسم ،

(١) الصحاح (أن) ٥ / ٢٠٧٣ .

(٢) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ٩٥ - ٩٦ .

(٣) معاني الأخفش ١ ٣٩٤ .

وكثر متحركاته أسكنوا ، ولم يسكنوا في قولهم : ﴿ اثنَى عَشَرَ ﴾ (المائدة ١٢/٥) و ﴿ اثننا عشر ﴾ (البقرة ٦٠/٢) للحرف الساكن الذي قبل العين ، وحركة العين في هذا كله هو الأصل "

وقد تحدث الضراء أيضاً عن هذه الظاهرة في عدة مواطن من كتابه ، منها قوله ^(١) : " وقال بعض الشعراء : [الوافر]

فأبْلُونِي بَلَيْتِكُمْ لَعَلِي أَصَالِحِكُمْ وَأَسْتَدْرَجُ نَوِيَّا ^(٢)

فجزم (واستدرج) ، فإن شئت رددته إلى موضع الضاء المضمرة في لعلِي ، وإن شئت جعلته في موضع رفع ، فسكنت الجيم لكثرة توالي الحركات ، وقد قرأ بعض القراء : (لا يَحْرُجُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ) بالجزم ، وهم ينوون الرفع ، وقرأوا : (أَلْزَمْتِكُمْهَا وَأَتَمَّ لَهَا كَارَهُونَ) ، والرفع أحب إلى من الجزم "

وعاد الضراء إلى هذه الظاهرة في حديثه (أحد عشر) فقال : " ومن القراء من يسكن العين من (عشر) ^(٣) في هذا النوع كله ، إلا اثنا عشر ، وذلك أنهم استثقلوا كثرة الحركات ... ^(٤) "

(١) معاني الفراء ١ / ١٧٦ ، ورواية البيت فيه : أصلكم : وهو تحريف ، صوابه ما أثبتته من الخصائص وسر الصناعة ، وحجة ابن خالويه في المواضع الآتية .

(٢) البيت الأول لداود الإيادي في الخصائص ١ / ١٧٧ ، والنظر لقصته فيه أيضاً ، وسر الصناعة ٢ / ٧٠١ ، والحجة في القراءات السبع لابن خالويه ٣٤٦ .

(٣) هي قراءة الحسن وأبي جعفر وطلحة بن سليمان وابن عباس ونافع - بخلاف عنه - وعباس عن أبي عمرو وهبيرة عن حفص من طريق فارس بن أحمد ، وشيبة ، والحلواني عن طلحة ، انظر البحر ٥ / ٢٧٩ ، والإنحاف ٢٤٢ و٢٦٢ ، ومعجم القراءات ٤ / ١٧٧ .

(٤) معاني الفراء ٢ / ٣٤ .



وكلام الزجاج في هذا الموضع لا يكاد يخرج عما قاله الأخفش والفراء ،
 إذ يقول^(١): " القراءة بفتح العين ، وفتح جميع الحروف في (احد عشر) ، وقد
 روي بتسكين العين ... وهي غير منكورة ما كان قبل العين حرف متحرك لكثرة
 الحركات في قوله (احد عشر) ، فأما (اثنا عشر) مثلاً ، قد جاءت في السياق
 التالي : ﴿ أَحَدَ عَشَرَ ﴾ (يوسف ٤/١٢)

وهذا معناه أن هذه العبارة تحتوي على ثمانية مقاطع متوالية لها سمّت
 واحد ، هي :

تُ أ ح د ع ش ر ك و = ٨ مقاطع

منها ستة مقاطع متماثلة تماماً (صامت + حركة الفتح القصيرة) ،
 أي إن هذا التسكين تم كوسيلة للمخالفة الصوتية بين هذه المقاطع المتماثلة
 ، التي يصعب على المرء النطق بها غالباً ، ويتحول امر هذه المقاطع بعد هذه
 المخالفة إلى :

تُ أ ح د ع ش ر ك و = ٧ مقاطع

ليجيء السكون كاستراحة صوتية بين ثلاثة مقاطع سابقة عليه وتالية
 له .

(١) معاني الزجاج ٣ / ٩٠ .

الإبدال

تعريف الإبدال Substitution : لغة واصطلاحاً :

الإبدال لغة :

قال ابن فارس : " الباء واللام أصل واحد ، وهو قيام الشيء مقام الشيء الذاهب " ^(١) وجاء في اللسان : " ... والأصل في التبديل تغيير الشيء عن حاله ، والأصل في الإبدال جعل شيء مكان شيء آخر . كإبدالك من الواو تاء في تالله " ^(٢)

الإبدال اصطلاحاً :

هو إقامة حرف مكان حرف في كلمة واحدة ، والمعنى واحد . ^(٣)

وقد زاد بعض اللغويين المعاصرين في التعريف قليلاً ، فقال : " جعل حرف مكان حرف ، أو حركة مكان أخرى " ^(٤)

أي إنه وسع الإبدال ليشمل الصوائت (الحركات) إلى جوار الصوامت (الحروف) .

وواضح أن العلاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي هي علاقة العام بالخاص .

(١) مقاييس اللغة (بدل) ٢١٠/١

(٢) اللسان (بدل) ٤٨/١١ دار صادر .

(٣) النظر : الإبدال لابن السكيت ٤٨ .

(٤) اللهجات العربية للدكتور إبراهيم نجما ٧١ .



الخلافا حول اشتراط وجود علاقة صوتية بين المبدل والمبدل منه :

اختلف العلماء - قديماً وحديثاً - في ضرورة وجود علاقة بين المبدل والمبدل منه ، فمنهم من يرى ضرورة وجود علاقة مخرجية أو وصفية بين المبدل والمبدل منه ، وعلى رأسهم الفراء في معانيه ^(١) وأبو علي الفارسي ^(٢) وتلميذه ابن جني ^(٣) وكذلك ابن فارس في كتابه الصاحبى ^(٤) ومعهم كثير من اللغويين المحدثين ، كالدكتور أنيس ^(٥) والدكتور عبد الصبور شاهين ^(٦) ، والدكتور صبحي الصالح الذي اشترط التقارب في المخرج لا في الصفة ، حيث يقول : " فالعول في باب الإبدال على المخرج لا على الصفة ، ولو تقييد اللغويون بهذا الشرط الهام لجاءت شواهدهم على الإبدال اللغوي قليلة في العدد ثقيلة في الميزان " ^(٧)

علي حين يرى فريق من اللغويين القدامى عدم وجود ضرورة لمثل هذه العلاقة الصوتية بين المبدل والمبدل منه ، ومن هؤلاء ابن السكيت ^(٨) وأبو الطيب اللغوي ^(٩) ، وهما ممن الف في الإبدال ، حيث ذكرا في كتابيهما

(١) انظر معاني القرآن ٢٤١/٣ .

(٢) النظر : سر صناعة الإعراب ١٩٧/١ .

(٣) النظر الحاصلص ٨٢/٢ .

(٤) النظر : ص ٣٣٣ .

(٥) النظر : من أسرار اللغة ٧٥ .

(٦) النظر : أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ٢٦٩-٢٧١ .

(٧) دراسات في فقه اللغة ٢٣٥ .

(٨) النظر مثلاً الصفحات ٩٧-١٣٦ من كتابه

(٩) النظر : الإبدال لأبي الطيب ١٧/١-١٨ و ٣١٠ حيث عد التعاليف بين الحروف المتباعدة

من الإبدال (تحقيق التنوخي).

كثيراً من الأمثلة التي تدل على ذلك ، وتابعهما بعض المعاصرين كالـدكتور عبد الله أمين ، الذي عد التباعد بين الحرفين من مسوغات الإبدال ، كالتجانس والتقارب على حد سواء ^(١) واتي بأمثلة كثيرة تقوي مذهبه .

الخلافا في منشأ الإبدال :

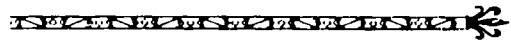
اختلف علماء اللغة في منشأ الإبدال ، فمنهم من ذهب إلى أنه ينشأ من اختلاف اللهجات ، ومنهم من فصل في ذلك .

فاما الراي الأول ، فيمثله ابن السكيت وأبو الطيب اللغوي وابن خالويه ، فقد نقل السيوطي عن ابن السكيت قوله : حضرني أعرابيان من بني كلاب ، فقال احدهما : إنضحة ، وقال الآخر : منضحة ، ثم افترقا على أن يسألا جماعة من أشياخ بني كلاب ، فاتفق جماعة على قول ذا ، وجماعة على قول ذا ، وهما لغتان ^(٢) فهذا القول الذي نسبه السيوطي لابن السكيت يدل على أنه كان يرى أن منشأ الإبدال اختلاف اللهجات ، وليس كما ظن أحد الباحثين أنه " يذهب إلى القول بوقوع الإبدال في اللهجة الواحدة " ^(٣) . فابن السكيت لا يعدو أن يكون واصفاً للاستخدام اللغوي في زمانه ، بعد أن شاعت الكلمتان ، لكنه رد ذلك الاستخدام في نهاية كلامه إلى أصله ، وهو اختلاف اللهجات حين قال : " وهما لغتان " . وكذلك نقل السيوطي عن أبي الطيب اللغوي أنه قال في كتابه عن الإبدال : " ليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف ، وإنما هي لغات مختلفة لعان متفقة ، تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنى

(١) انظر : الاشتقاق ٣٦٧-٣٧٠

(٢) المزهر ٤٧٥/١ .

(٣) الظواهر اللغوية في كتاب (معاني القرآن) للأخفش ٣٤ .



واحد ، حتى لا يختلفا إلا في حرف واحد ، قال : والدليل علي ذلك أن قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طوراً مهموزة ، وطوراً غير مهموزة ، ولا بالصاد مرة وبالسين أخرى ، وكذلك إبدال لام التعريف ميماً ، والهمزة المصدرية عيناً ، كقولهم في نحو (أن) : عن ، لا تشترك العرب في شيء من ذلك ، إنما يقول هذا قوم وذاك آخرون " (١)

كما نقل السيوطي عن ابن خالويه قوله : " أخبرنا ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال : اختلف رجلان في الصقر ، فقال أحدهما بالسين ، وقال الآخر بالصاد ، فتحاكما إلى أعرابي ثالث ، فقال : أما أنا فأقول الزفر بالزاي : قال ابن خالويه : فدل على أنها ثلاث لغات " (٢)

وفي المقابل فإن هناك بعض العلماء يجيز الوجهين ، فقد يقع الإبدال - عندهم - في اللهجة الواحدة ، كما يقع بين اللهجات المختلفة ، إذ يرى ابن جني وابن سيده وابن يعيش أن الكلمتين المتحدتين في الحروف إلا في حرف واحد ، تارة يكون هذا الخلاف في ذلك الحرف من قبيل الإبدال عندهم ، وذلك إذا أمكن الحكم بأصالة إحدى الكلمتين وفرعية الأخرى ، وهذا يستدعي أن تكون الأصلية أعم تصرفاً ، أو أدور استعمالاً ليتسنى الحكم بالأصالة والفرعية لهذه الميزة ، وحينئذ يكون الإبدال عند قبيلة واحدة ، أو عند العرب جميعاً. وأنا يكون هذا الخلاف من قبيل اختلاف اللغات ، وذلك إذا لم يتسن الحكم ... " (٣).

(١) المزهر ١/٤٦٠ . ولم أجد هذا النص المنسوب لأبي الطيب في كتابه (الإبدال) الذي طبع

بتحقيق الأستاذ الكبير عز الدين التوخي ، ويبدو أنه لما فقد من الكتاب

(٢) المزهر ١/٤٧٥ .

(٣) اللهجات العربية للدكتور إبراهيم مجا ٧٣ .

التفت أهل المعاني إلى كثرة صور الإبدال في القرآن الكريم ، فحاولوا معالجة هذه الظاهرة بكثير من الأمثلة التي فسروها ، وفق رؤيتهم ، وإدراكهم لطبيعة العلاقة الصوتية بين الحروف ، وسوف أقوم بتتبع الأمثلة التي ذكروها - ما استطعت - وبيان موقف العلماء القدامى والمحدثين منها ، مرتباً ذلك على حروف المعجم في الصوامت ، ثم أثنى بالإبدال بين الحركات .

أولاً : الإبدال بين الصوامت : (Consonants)

بين الهمزة والهاء :

ذكر الأخفش : وهو أول من وصل إلينا كتبهم في المعاني - صوراً كثيرة للإبدال بين الهمزة والهاء ، منها قوله^(١) : " ومن العرب من يقول : (هياك) بالهاء ، يجعل الألف من (ياك) هاءً ، فيقول : (هياك نعبد)^(٢) ؛ كما تقول : (إيه) و (هيه) ، وكما تقول : (هرقت) و (ارقت) " وهكذا يسوق الأخفش بعض الأمثلة غير القرآنية ، وهو أمر يكاد يكون مشتركاً عند أكثر أهل المعاني إذ هم عادة ينطلقون من النص القرآني ، ثم يتوسعون بعد ذلك بذكر أمثلة لغوية عامة .

ولم يكتف الأخفش بما ذكره من أمثلة سابقة ؛ بل عقد باباً في كتابه - كعادته - أسماء (باب أهل وآل)^(٣) جاء فيه : " وأما (آل) فإنها تحسن إذا أضيفت إلى اسم خاص نحو : (آتيت آل زيد) ، (أهل مكة) ، (وآل مكة) ، (آل

(١) معاني الأخفش ١/١٨ .

(٢) هي قراءة شاذة ، قرأ بها أبو السوار الفنوي ، كما في البحر ١-٢٣ والقرطبي ١-١٤٦ وقال : " هي لغة " والنظر مختصر ابن خالويه ٩ .

(٣) معاني الأخفش ١-٩٨ .



المدينة) ، (واهل المدينة) ، ولو قلت : آتيت آل الرجل ، وآل المرأة ، لم يحسن ..
وليس (آل) بالكثير في أسماء الأرضين ، وقد سمعنا من يقول ذلك ، وإنما هي
(همزة) أبدلت مكان (الهاء) ؛ مثل : (هيهات) ، و(أيهات) " (١)

وهكذا يقرر الأخفش جواز الإبدال بين الهمزة والهاء ، والهاء والهمزة ،
وهو ما فعله الفراء (٢) - دون أن يذكر الإبدال - حيث استشهد ببيت جرير :
(الطويل)

فَأَيْهَاتَ أَيّهَاتَ الْعَقِيقُ وَمَنْ بِهِ وَأَيْهَاتَ وَصَلَّ بِالْعَقِيقِ نَوَاصِلُهُ (٣)

بما يعني عنده أن (أيهات) لغة في (هيهات).

وأما الزجّاج فقد أكثر من ذكر أمثلة الإبدال بين الهمزة والهاء في
مواضع مختلفة من كتابه ، ومن هذه الأمثلة ما هو مسبوق فيها بالأخفش
والفراء (٤) ، ومنها ما انفرد بذكره ، كقوله (٥) : " قال أهل اللغة : أصل
كلمة (ماء) ماه ، إلا أن الهمزة أبدلت من الهاء لخفض الهاء ، والدليل علي
ذلك قولهم : أمواه في جمعه ، ومياه ، ويصغر : مويه ، قال الشاعر : (الطويل)

سَقَى اللَّهُ أَمْوَاهَا عَرَفْتُ مَكَانَهَا جِرَابًا وَمَلَكُومًا وَبَدَّرَ وَالْغُمْرَا (١)

(١) قراءة الجمهور (هيهات) ، وقرأ - شاذاً - (أيهات) - كما في التبيان للعكبري ٩٥٥/٢

والدر المصون ٣٣٨/٨ وهي من لغات العرب كما في مختصر ابن خالويه ١٠٠ .

(٢) معاني الفراء ٢-٢٣٥ .

(٣) ديوان جرير في ٣٨-٢٢ ص ٩٦٥ وروايته : تواصله .

(٤) النظر علمي سبيل المثال : معاني القرآن وإعراجه للزجاج ١٨٠/٢ .

(٥) معاني الزجاج ٢-٢٧٥ .

(٦) البيت لكثير عزة ، كما في الخزانة ٣٥٥/٢ ، ولها : فالغمرأ .

وذكر هذا النوع من الإبدال أيضاً بيان الحق النيسابوري ، وهو من أهل المعاني ، عند حديثه عن قوله تعالى : ﴿ وَمُهَيَّمْنَا عَلَيْهِ ﴾ (المائدة ٤٨ / ٥) فقال : " ... مضاعف من (الأمان) ... فانقلبت الهمزة هاءً " ^(١)

مسوغ الإبدال :

الهمزة صوت شديد مهموس مرقق عند المحدثين ، ينطق بإغلاق الأوتار الصوتية إغلاقاً تاماً ، ثم فتحهما فجأة ، لينطلق الهواء ^(٢) ، ولكنه عند القدماء صوت مجهور ^(٣) ، ولا يمكن أن يكون كذلك واقعياً إلا إذا كان مسهلاً ^(٤) ، وقد عدّه جماعة من اللغويين المحدثين صوتاً لا هو بالمهموس ولا هو بالمجهور ^(٥) ، ولكن أكثر المحدثين يردّون هذا الرأي ؛ لأن : " الأوتار الصوتية إما أن تتذبذب فيحدث الجهر ، أو لا تتذبذب فيحدث الهمس ، ولا ثالث لهاتين الإمكانيتين " ^(٦) .

(١) إجاز البيان عن معاني القرآن ٢٧٧/١ .

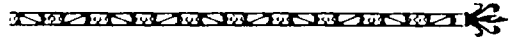
(٢) انظر : المدخل إلى علم اللغة ٥٦ ودراسات صوتية للدكتورة تغريد عنبر ٧٨ ودراسة الصوت اللغوي ٣١٩ .

(٣) انظر : الكتاب ٤/٤٣٤ وشرح المفصل ١٠-١٢٩ .

(٤) وتكون حينئذ أشبه بحروف اللين التي هي أصوات مجهورة ، انظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٢٤٢ .

(٥) وعلى رأسهم الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه (الأصوات اللغوية) ٩٠ ، ووالفه الدكتور كمال بشر في كتابه علم الأصوات ١٧٥ ، والدكتور صلاح الدين حسنين في كتابه : المدخل إلى علم الأصوات ١٥٣ (مع أنه ذكر من وصف الهمزة في العبرية بالمهموسة ، ثم خطأه) ، وعلم اللغة للدكتور محمود السعرا ١٥٧ .

(٦) أصوات اللغة للدكتور عبد الرحمن أيوب ١٨٣ (هامش). وانظر أيضاً رفض الدكتور رمضان لرأي الدكتور أنيس في المدخل إلى علم اللغة ٥٧ .



وأما مخرج الهمزة ، فمن الحنجرة ، والهاء تشترك معها في ذلك . عند المحدثين ، أما القدماء فيرون أن الهمزة والهاء يخرجان من أقصى الحلق الهمزة والهاء إذن متحدتان في المخرج ، ومتفقتان في صفتي الهمس^(١) والترقيق ، ولا يختلفان إلا في الشدة والرخاوة ، ولذلك جاز أن تبدل كل منهما بالأخرى ؛ لأن الهاء هي النظير الانفجاري للهمزة .

وكتب اللغة تخلص بأمثلة هذا الإبدال بدءاً من سيويه^(٢) ، ومروراً بابن جني^(٣) وابن يعيش^(٤) وابن السكيت^(٥) وأبي الطيب اللغوي والزجاجي^(٦) . وابن منظور^(٧) ، وانتهاءً بعلماء اللغة المعاصرين ، ومنهم أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب ، الذي كان يرى أن نطق الهمزة هاءً - وبخاصة عند قبيلة طيء - هو حال من أحوال تحقيق الهمزة في العربية ، في مقابل أحوال تسهيلها عند أكثر الحجازيين^(٨) .

(١) انظر العين (تحقيق د. درويش) ٥٨ والكتاب ٤-٤٣٣ وإن كان الدكتور حلمي خليل يرى أن الخليل كان يقصد بأقصى الحلق : الحنجرة ، انظر التفكير الصوتي عند الخليل . ٢١ .

(٢) يرى الدكتور تمام حسان أن الهاء صوت مجهور ، ويرى الدكتور أنيس أن الهاء عادة صوت مهموس يجهر به في بعض الظروف اللغوية الخاصة ، انظر مناهج البحث في اللغة ١٠٣ ، والأصوات اللغوية ٨٨-٨٩ .

(٣) انظر الكتاب ٤/٢٣٨ .

(٤) انظر سر صناعة الإعراب ١*١٠٠ .

(٥) انظر شرح المفصل ١٠/٤٢-٤٣ .

(٦) انظر إبدال ابن السكيت ٨٨ .

(٧) انظر الإبدال لأبي الطيب ٥/٥٦٩ وما بعدها . والإبدال والمعاقبة والمخالفة للزجاجي (د. يوسف الهابط) ٦٠ .

(٨) انظر اللسان (أنفي) ٣٦/١٣ دار صادر .

(٩) انظر كتابه الرائد (مشكلة الهمزة العربية) ٤٦-٥٠ .

والدكتور عبد الصبور شاهين الذي قال عن هذا الإبدال : " أما قلب الهمزة هاء ، فهو كما ذكر الكرمانلي ^(١) (لغة لبعض العرب) ولعله مشروط بموقع معين " ^(٢) والأمثلة التي ذكرها اصحاب المعاني وغيرهم من اهل اللغة قديماً وحديثاً تثبت أن هذا الإبدال بين الهمزة والهاء ليس مشروطاً بموقع معين كما يري الدكتور عبد الصبور.

بل إن إبدال الهمزة هاءً وقع في اللغات السامية الأخرى ، ففي الحبشية مثلاً تحولت همزة (إيل) بمعنى الكبش ، وكتابتها الصوتية iyyal >. كما هو في العربية ، إلى heyal ^(٣).

كما وقع الإبدال بين الهمزة والهاء في كلمة (أفك) afaka > في العربية ، لأن الكلمة في أكثر اللغات السامية الأخرى بالهاء ، ففي العبرية : Hafak ، وفي الآرامية Hafak ، وفي السريانية Hpak ^(٤) وأداة الشرط العربية (إن) يقابلها في الآرامية (Hen) ^(٥) ، وفي العبرية Hinne ^(٦)...إلخ.

وهذا كله يلقي بظلال من الشك علي ما يراه الدكتور ضاحي من أن تحول الهمزة إلى همزة في (هيات) قد " تم بطريق التغاير ، فبعد أن كانت الكلمة تشتمل علي صوتين من جنس واحد وهما الهمزة والهاء ، قلب اولهما إلى

(١) النظر البيان ٢٢/١ .

(٢) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ١٩٥ .

(٣) النظر ظاهرة الإبدال في المشترك السامي ٢٦ .

(٤) السابق ١١٩ .

(٥) التطور النحوي ٥٠ .

(٦) بحوث ومقالات في اللغة ٢٣٢ وقارن ذلك بموقف قبيلة طيء التي أثر عنها ذلك الإبدال.



صوت آخر ، وهو الهمزة " (١) . ذلك أننا رأينا كثيراً من الأمثلة حدث فيها الإبدال بين الهاء والهمزة دون أن يكون للمخالفة الصوتية (أو التغيرات) أي دور ، لمجيء الصوت - همزة كان أو هاء - منفرداً ، فلا حاجة للتخلص من توالي الأمثال ، لأنه ليس فيها أمثال أصلاً

بين الباء والميم :

ذكر الفراء هذا النوع من الإبدال بقوله (٢) : " والعرب تقول : ليس هذا بضربة لازب ولازم ، يبدلون الباء ميماً ، لتقارب المخرج " . وعبارة (لتقارب المخرج) ليست دقيقة من الفراء ، وكان يجب أن يقول : (لاتحاد المخرج) . ولم يفت الزجاج - وكتابه جامع محيط بالظواهر اللغوية - أن يتحدث عن هذا الإبدال بين الباء والميم أيضاً عند تفسيره لقوله تعالى : " إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة " : حيث قال (٣) : " فأما (مكة) بالميم ، فتصلح أن يكون اشتقاقها كاشتقاق بكة ، والميم تبدل من الباء ، يقال : ضربة لازب ولازم ، ويصلح أن يكون الاشتقاق من قولهم : (امْتَكِ الْفَصِيلُ مَا فِي ضِرْعِ النَّاقَةِ) إذا مصّ مصاً شديداً ، حتى لا يبقى فيه شيئاً . فتكون سميت بذلك لشدة الازدحام فيها ، والقول الأول ، أعني البديل ، أحسن " . وذكر الزجاج أمثلة أخرى في مواضع أخرى من كتابه . (٤) وقد سار النحاس سيرة شيخه الزجاج ، فرجّح الإبدال هنا ، وقال (٥) : " والذي عليه أكثر أهل اللغة أن (بكة) و(مكة)

(١) لغة تميم ١٦٥ .

(٢) معاني الفراء ٣٨٤/٢ .

(٣) معاني الزجاج ٤٤٥/١ .

(٤) انظر مثلاً : معاني الزجاج ٢٩٩/٤ و ٩٩/٢ .

(٥) معاني القرآن للنحاس ٤٤٣/١ . وانظر مثلاً آخر نقله النحاس عن الفراء في معانيه

واحد ، وانه يجوز ان تكون الميم مبدلة من الباء ، يقال : لازب ولازم ، وسبد شعره وسمده إذا استاصله "

وقد ساق بيان الحق النيسابوري ^(١) بيتاً للنابغة كشاهد علي أن اللازب هو اللازم ، وهو قوله : [الطويل]

وَلَا يَحْسَبُونَ الْخَيْرَ إِلَّا شَرًّا بَعْدَهُ وَلَا يَحْسَبُونَ الشَّرَّ ضَرِيَّةً لِأَرْبٍ ^(٢)

بما يعني انه يري الإبدال بين الباء والميم .

العلاقة الصوتية :

الباء والميم من حروف الذلاقة (فرمن لب ^(٣)) ، وهي حروف خفيفة في النطق ^(٤) ، يكثر وجودها في أبنية العربية ، ولا خلاف بين القدماء والمحدثين علي أن الباء والميم صوتان شفوئيان ، فهما متحدان مخرجاً ، ومتفقان في صفة الجهر - حيث تتذبذب الأوتار الصوتية عند النطق بهما - وفي كونهما مرهقين ، ويكمن الخلاف بينهما في صفة الشدة ، حيث نجد الباء صوتاً شديداً ، يتم نطقه بضم الشفتين ، ورفع الطبق ، ليغلق ما بين الحلق والتجويف الأنفي بينما يصنف صوت الميم علي انه من الأصوات اللينة

(١) النظر : باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن ١١٩٧/٢ - ١١٩٨ ، والنظر أيضاً له :

إيجاز البيان عن معاني القرآن ٦٩٧/٢ .

(٢) ديوانه ق ٢٨/٣ ص ٤٨ .

(٣) النظر ما كتبه الخليل بن أحمد عنها في كتابه (العين) ٥٨/١ (تحقيق درويش)

(٤) النظر الولفية الدليقة للدكتور كمال بشر حول التصور الصحيح لهذه الحروف في : علم

الصوتيات ٣٦٢-٣٦٧ .



(المتوسطة^(١)) ، إذ ينطق بأن تنطبق الشفتان تماماً ، فيحبس خلفهما الهواء ، ويخفض الطبق ، ليتمكن الهواء من الخروج عن طريق الأنف ، ولذا يوصف صوت الميم بأنه (انفي^(٢)) .

وبسبب هذه العلاقة ساغ الإبدال بين الميم والباء عند كثير من القبائل العربية ، وإن كان أشهرها مازن ربيعة^(٣) ، كما ذكر ابن جني في سر الصناعة كثيراً من أمثلة هذا الإبدال^(٤) ، وكذلك فعل أبو الطيب اللغوي^(٥) وابن السكيت^(٦) في كتابيهما عن الإبدال ، وابن منظور في اللسان^(٧) ، وأبو حيان في البحر والنهر^(٨) ، ولذلك فلست مع الدكتور أنيس في قوله: " وهذه الظاهرة ليست إلا نتيجة أخطاء الأطفال في البيئة المنعزلة التي لا يجد الطفل فيها فرصة كافية لإصلاح أخطائه " ^(٩)

(١) وإن كان الدكتور كمال بشر له تصور خاص يكاد ينفرد به حول هذا المصطلح ، راجعه في علم الصوتيات ٣٥٠-٣٦٠ ، وانظر مناقشة الدكتور غانم قدروري له في: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٢٦١-٢٦٣ .

(٢) انظر : المدخل إلى علم اللغة ٤٢-٤٣ ، ودراسات في علم الأصوات ٦٠-٦١ .

(٣) انظر : محاوره أبي عثمان المازني مع الخليفة الواثق - فإنها أبرز مثال تراثي على هذه الظاهرة - في طبقات النحويين واللغويين ٩١-٩٢ . واللهجات العربية في التراث ٤١١/١ .

(٤) انظر : سر صناعة الإعراب ٤٢٣/١ - ٤٢٥ .

(٥) انظر : الإبدال له ٣٨/١ و ٧٦ و ٣٢٥ .

(٦) انظر : الإبدال لابن السكيت ٧٠-٧٣ .

(٧) انظر اللسان (طين) ٦٤/١٣ ، و (طمن) ٢٦٨/١٣ .

(٨) انظر البحر المحيط (ومماشه النهر الماد من البحر) ٥/٣ - ٦ .

(٩) في اللهجات العربية ١١٩ .

إذ قد وجدت الظاهرة في اللغة المشتركة ، ثم نزل القرآن بها ، كما رأينا في (بكة) و(لازب) فلم يعد لمثل هذا القول - في رأبي - مساع وبخاصة أن إبدال الباء ميماً وقع في بعض اللغات السامية الأخرى ^(١) .

بين التاء والذال :

يحدث الإبدال - أحياناً - بين التاء والذال ، كمقدمة للإدغام في صيغة الافتعال ، وقد جاء ذلك عند الأخفش في حديثه عن قوله تعالى : ﴿وَأَذَكَّرَ﴾ (يوسف ١٢ / ٤٥) ، حيث قال ^(٢) : " وإنما هي افتعل ، من (ذكرت) ، فأصلها اذتكر ^(٣) ، ولكن اجتمعا في كلمة واحدة ، ومخرجاها متقاربان ، وارانوا أن يدغما ، والأول حرف مجهور؛ وإنما يدخل الأول في الآخر ، والآخر مهموس ، فكرهوا أن يذهب منه الجهر ، فجعلوا في موضع التاء حرفاً من موضعها مجهوراً ، وهو الذال ؛ لأن الحرف الذي قبلها مجهور " . وهذا الكلام وإن كان قد أشار إليه سيبويه في كتابه ^(٤) إلا أن نص الأخفش هذا نفيس ، إذ يعبر عن وعي كبير - مبكر - بتأثير الأصوات بعضها في بعض ، وقريب منه قول الفراء ^(٥) في : ﴿وَأَزْدَجَرَ﴾ (القمر ٩/٥٤) : "وازدجر : افتعل من زجرت ، وإذا كان الحرف أوله زاي صارت تاء الافتعال فيه دالاً ؛ من ذلك : زجر ، وازدجر ، ومزدجر ، ومن ذلك : المزدلف ، ويزداد هي من الفعل يفتعل ، فقس

(١) النظر في هذا : ظاهرة الإبدال في المشترك السامي ٢٨-٣٠ .

(٢) معاني الأخفش ١/٣٩٨ .

(٣) النظر مختصر شواذ ابن خالويه ١٤٨-١٤٩ ، والبحر المحيظ ١٧٨/٨ فيهما قراءة (ملكر) .

(٤) النظر الكتاب ٤/٤٦٧-٤٦٨ .

(٥) معاني الفراء ٣/١٠٦ .



عليه ما ورد". ويبدو أن القدماء قد امتثلوا أمر الفراء في قوله (فقس عليه ما ورد) ، وجعلوه في كتبهم من (الإبدال القياسي) أو (القلب المطرد) ^(١) ، ولعل أسرعهم في ذلك الزجاج - وكتابه في المعاني تالٍ لكتاب الفراء ، إذ لم يصل إلينا فيما بين الكتابين غيره - حيث يقول في تقريره هذه القاعدة ، بعد أن ذكر بعض الأمثلة التي لم يذكرها الفراء : " وكذلك : مزتجر ، وإنما ابدلت دالاً لأن التاء حرف مهموس ، والزاي حرف مجهور ، فأبدل من التاء من مكانها حرف مجهور ، وهو الدال ، فهذا لا يفهمه إلا من أحكم كل العربية... والذي ينبغي أن يقال للمتعلم : إذا بنيت افتعل ، أو مضتعل ، مما أوله زاي ، فأقلب التاء دالاً ، نحو : ازدجر ، ومزدجر" ^(٢) .

وقد صدق ابن يعيش حين قال : " وقد حملهم علي طلب التجانس ، وتقريب الصوت بعضه من بعض علي أن ابدلوا من التاء دالاً في غير (افتعل) ^(٣) . ومن أمثلة ذلك الإبدال أيضاً ما جاء عن الفراء ^(٤) - ونقله الزجاج بلا إشارة ^(٥) ، وقد كان به بعض الصد عنه ، مع انتفاعه بعلمه - " الفندق مثل الخان.... وسمعت أعرابياً من قضاة يقول : فنتق " .

(١) النظر علي سبيل المثال : المقتضب ٢١٣/١ ، والأصول لابن السراج ٢٧٠/٣ والنصف

٣٣٠/٢ ، والمخصص ٢٦٨/١٣ وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ٣١٢ .

(٢) معاني القرآن وإعراجه له ٨٥/٥ .

(٣) شرح المفصل ١٥/٥ .

(٤) معاني الفراء ٢٤٩/٢ .

(٥) النظر معاني الزجاج ٣٩/٤ .

التاء هو النظير المهموس لصوت الدال ، فكلا الحرفين صوت أسناني لثوي ، انفجاري ، مرقق ولا يختلفان إلا في الجهر والهمس ^(١) ، ولذلك جاز التبادل بينهما ^(٢) ، بحسب الحاجة إلى الانسجام أو المماثلة الصوتية في بنية الكلمة ، كما حدث لكلمة (فندق) ، فقد تحولت الدال فيها إلى تاء تأثراً بالهمس الذي في القاف التي بعدها .

بين التاء والطاء :

أشار الأخفش إلى ذلك النوع من الإبدال عند تعرّضه لقوله تعالي : ﴿ أَنْ يُصْلِحًا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ﴾ (النساء ١٢٨/٤) فقال ^(٣) : " وقال بعضهم : (يصطلحا) ^(٤) ، وهي الجيدة ، لما لم يقدر علي إدغام الصاد في التاء حَوْلَ في موضع التاء حرف مُطَبَّق " .

وقد ارساها الفراء قاعدة - كعادته - فقال ^(٥) : " وتاء الافتعال تصير مع الصاد والضاد طاءً ، كذلك الفصيح من الكلام ... " غير أن القدماء وسّعوها بأن جعلوا التاء تقلب طاء إذا جاورت حرفاً من أحرف الإطباق الأربعة ^(٦) . وقد ذكر الزجاج نماذج أخرى لهذا الإبدال عند تفسيره لقوله

(١) انظر : دراسات في علم الأصوات ٦٥-٦٦ .

(٢) ولذلك أورد كثير من أصحاب كتب الإبدال أمثلة لهذا الإبدال ، مثل ابن السكيت في إبداله ١٠٢ ، = = والزجاجي في إبداله ٦٨ ، وأبي الطيب اللغوي ١٠٢/١ .

(٣) معاني الأخفش ٣٩٨/١ .

(٤) وحي قراءة شاذة ، كما في البيان ٣٩٥/١ .

(٥) معاني الفراء ٢١٦/١ .

(٦) انظر حاشية الصبان على شرح الأشموني ٣٣١/٤ .



تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَنهُ عَلَيْكُمْ ﴾ (البقرة ٢/٢٤٧) حيث قال : ^(١) : " فقال : (اصطفاه) معناه اختاره ، وهو افتعل من الصفوة ، والأصل : اصتفاه ، فالتاء إذا وقعت بعد الصاد أبدلت طاءً ، لأن التاء من مخرج الطاء ، والطاء مطبقة : فأبدلوا الطاء من التاء ، ليسهل النطق بما بعد الصاد ، وكذلك افتعل من الضرب : اضطرب ، ومن الظلم : اظلمم " .

العلاقة الصوتية :

الطاء هي النظير المخم لصوت التاء ، فالتاء - كما مر - صوت أسناني لثوي انفجاري مهموس مرهق ، والطاء صوت أسناني لثوي انفجاري مهموس مخم ^(١) (مطبق) - وإن كان القدماء يصفونها بالجهر - " ويرى بعضهم انه في حالة النطق بالطاء يكون اللسان مقعراً ، أي يرتفع أقصاه وطرفه مع تقعر وسطه ، وهذا هو المقصود بالإطباق " ^(٢) ويسبب هذا الاتحاد في المخرج ، والاتفاق في أكثر الصفات ساغ الإبدال بين الصوتين ، كما رأينا في (يصطلحا) حيث تأثرت التاء بالصاد المطبقة فتحولت إلى نظيرها المطبق وهو الطاء ،

يقول الدكتور سلمان العاني : " عندما يوجد صوت مخم ساكن في مقطع ما ؛ فإن جميع المقطع يصبح مخملاً ... كذلك فإن ظاهرة التخميم ليست محصورة في حدود المقاطع ولكنها قد تؤثر أو لا تؤثر في المقطع المجاور " ^(٣) . وهذا هو التفسير الذي يتفق عليه اللغويون بدءاً من سيبويه الذي يقول : " فأبدلوا مكانها [التاء] أشبه الحروف بالصاد ، وهي الطاء ،

(١) معاني الزجاج ٣٢٨/١ .

(٢) المدخل إلى علم اللغة ٤٦ - والظر الأصوات اللغوية للدكتور أنيس ٦١ .

(٣) علم الأصوات للدكتور كمال بشر ٢٥٠ .

(٤) التشكيل الصوتي في اللغة العربية ١٨٢ .

ليستعملوا السننهم في ضرب واحد من الحروف " (١) وانتهاءً بالمحدثين الذين يقول أحدهم عن هذا الإبدال : " والعلة ، في ذلك هي تلاقي صوتين أحدهما مطبق ، والآخر منفتح ، فيبدأ السياق النطقي بإيجاد التشاكل والتناسب بينهما لجعلهما من صفة واحدة ، وهي الإطباق ليسهل النطق بها " (٢) .

غير أن السيرافي يروي عن الفراء تعليلاً آخر شذّ فيه عن اللغويين جميعاً ، إذ يرى الفراء " أن تاء (افتعل) إذا كان فاء الفعل من حروف الإطباق ، إنما قلبت طاءً ؛ لأن التاء حرف أخرس ؛ لا يخرج له صوت ، إذا بلوت ذلك وجدته ؛ فكرهوا إدغام حرف مصوّت في حرف أخرس ؛ فلما فاتهم الإدغام وجدوا الطاء معتدلة في المخرج بين التاء والصاد ؛ لتكون غير ذاهبة بواحد من الحرفين " (٣) .

فالفراء إذا لا يعتد بصفة الإطباق أو الانفتاح التي لاحظها العلماء قديماً وحديثاً ، وعدوهما علة هذا الإبدال ، بل يرى أن هذا الإبدال حدث كراهة إدغام حرف مصوّت (رخو) في حرف أخرس (شديد) ، فجاءوا بالطاء لمناسبتها للحرفين جميعاً : التاء والطاء .

وقد كفانا السيرافي نفسه مؤنة تفنيد هذا الرأي ، فرد على الفراء من وجهتين :

١ - أن الحرفين المبدل والمبدل منه (التاء والطاء) متفقان في صفة الخرس (الشدة) .

(١) الكتاب ٤/٦٧ .

(٢) التفكير اللغوي عند العرب في العراق ١٨٢ .

(٣) ما ذكره الكوفيون من الإدغام للسيرافي ٦٣ .



٢ - أن الطاء ليست معتدلة المخرج بين التاء والصاد ، حتى يوفق بها بينهما ، بل إنهما من مخرج التاء نفسه ^(١) .

وهو كلام - لشدة دقته - لا يحتاج لمزيد تعليق .

وكذلك في جميع الأمثلة التي ذكرها أهل المعاني في هذا الباب ، وإن وجد عند غيرهم أمثلة عدّ فيها الإبدال قبيحاً ^(٢) وقد جاء هذا الإبدال عند سيبويه في كتابه في مواضع متفرقة ^(٣) ، وذكره كثير من القدماء ^(٤) ، ووافقهم المحدثون ^(٥) ، ونسبوا قلب التاء طاءً إلى تميم ، ومنهم الدكتور ضاحي حيث يقول : " وأظن أننا لا نكون بعبيدين عن الصواب بعد هذا ، إذا قلنا إنه إذا وردت صيغتان لكلمة واحدة ، أحدهما بالتاء والأخرى بالطاء أن نرجح نسبة الطائنية إلى تميم ... " ^(٦)

بين التاء والسين

ذكر بعض علماء المعاني هذا الإبدال عند تعرضهم لتفسير قوله تعالى ﴿ وَقَدْ بَلَغَتْ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ (مريم ٨/١٩) وفي مقدمة أولئك المصنفين

(١) ما ذكره الكولفون من الإدغام ٦٣ .

(٢) انظر اللهجات العربية في التراث ٤٢١/٢ .

(٣) انظر مثلاً : الكتاب ٣١٤/٢ .

(٤) انظر علي سبيل المثال : المزهري ٢٢٤/١ وإبدال ابن السكيت ١٢٩ وإبدال أبي الطيب

١٢٦/١ ، وإبدال الزجاجي ٧٠ .

(٥) انظر علي سبيل المثال د. أحمد علم الدين الجندي في اللهجات العربية في التراث ٤٢١/٢ -

٤٢٤ ولغة تميم ١١٩ .

(٦) لغة تميم ١١٩ .

الضراء الذي قال ^(١): "وقرأ ابن عباس (عُسيًا) ^(٢)، وأنت قائل للشيخ، إذا كبر : قد عتا وعسا، كما يقال للعود إذا يبس".

وقد أقر الزجاج هذا الإبدال - وإن نهى عن القراءة به - في قوله: "وقد رويت (عُسيًا) بالسين ولكن لا يجوز في القراءة لأنه بخلاف المصحف، وكل شيء انتهى، فقد عتا يعتو عتيًا وعتوًا، وعسوأ، وعُسيًا" ^(٣).

وجاء بيان الحق النيسابوري - المتوفي ٥٥٣هـ - بعد أكثر من قرنين علي كلام الزجاج هذا، فردد كلامه وكلام الضراء قبله، بكلام موجز، فقال: "والعاتي والعاسي: الذي أبيضه الكبر وأعجفه السن" ^(٤).

العلاقة الصوتية:

لا يسهب تفسير هذا الإبدال بين الصوتين، فهما من مخرج واحد، فكلاهما أسناني لثوي، مهموس، مرقق، ولا يختلفان إلا في الشدة والرخاوة، فالتاء حرف شديد (انفجاري) بينما السين حرف رخو ^(٥)، وقد يكون هذا القرب في الصفات بينهما السبب في وجود ظاهرة من الظواهر اللهجية

(١) معاني الفراء ١٦٢/٢.

(٢) هي قراءة حكاها الداني عن ابن عباس كما في البحر ١٧٥/٦، وحكى عن غيره أيضًا، انظر معجم القراءات ٣٤٣/٥.

(٣) معاني الزجاج ٣٢٠/٣.

(٤) باهر البرهان ٨٨٢/٢.

(٥) انظر المدخل إلى علم اللغة ٤٧/٤٦.

المنسوبة الملقبة المعروفة (بالوتم)^(١) وهو إبدال السين تاء ، ومثلوا لها بقول
علاء بن أرقم^(٢) في لغة أهل اليمن [الرجز] :

يَا قَبَّحَ اللَّهُ بَنِي السَّغْـلَاتِ
عَمْرُو بْنُ يَرْبُوعٍ شِرَارَ النَّاتِ
غَيْـرَ أَعْتَاءٍ وَلَا
أَكْيَاتِ^(٣)

وان كان أبو زيد يصف هذا الإبدال بأنه " من قبيح الضرورة "^(٤) ولكني
لا أراه كذلك لأن العلاقة الصوتية التي ذكرناها تسوغه بلا كراهة^(٥)
ولذلك أورد ابن السكيت وغيره ممن
الفوا في الإبدال بعض الأمثلة له^(٦)، وأشارت إليه كتب اللغة^(٧).

(١) انظر في التعريف بهذه الظاهرة اللهجية وتفسيرها الصوتي : اللهجات العربية في التراث
٣٨٤/١-٣٨٥ وفصول في فقه العربية ١٥١-١٥٢ .

(٢) شاعر جاهلي له قصة مع النعمان بن المنذر ، كما في معجم الشعراء للمرزباني ١٦٩
وخزانة الأدب ٤/٣٦٤-٣٦٧ .

(٣) انظر الأبيات الثلاثة- بهذه النسبة - في الأمالي ٧٨/٢ ، ونوادر أبي زيد ٣٤٤ واللسان
(نوت) ١٠١/٢ ، وبلا نسبة في إبدال ابن السكيت ١٠٤ ومختصر ابن خالويه ١٨٣
وإبدال الزجاجي ٧٥ ، وهناك خلاف يسير في بعض الألفاظ .

(٤) نوادر أبي زيد ٣٤٥ .

(٥) انظر مثلاً آخر للإبدال بين التاء والسين المشددة في اللهجات العربية في التراث
٤٥٢/٢ .

(٦) انظر إبدال ابن السكيت ١٠٤ ، وإبدال أبي الطيب ١١٨/١ ، وإبدال الزجاجي ٧٤ .

(٧) انظر على سبيل المثال : اللسان (نوت) ١٠١/٢ ، والمختصر ١٣/٢٨٣ .

ورد الإبدال بين الشاء والفاء في قوله تعالى: ﴿وَقَوْمَهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصَلَهَا﴾

(البقرة ٦١/٢) في بعض كتب المعاني، ومنها الفراء حيث يقول^(١) : " وهي في قراءة عبد الله : (وثومها)"^(٢)

بالشاء ، فكانه اشبه المعنيين بالصواب؛ لأنه مع ما يشاكله : من العدس والبصل وشبهه ، والعرب تبدل الفاء بالشاء ، فيقولون : جدث وجدف ، ووقعوا في عاثور شر وعافور شر ، والأثائي والأثائي ، وسمعت كثيراً من بني اسد يسمي المغاير : المغاير " وقد رفض الزجاج كلام الفراء هذا بقوله^(٣) : " وهذا ما لا يعرف : ان الضوم الثوم ، وها هنا ما يقطع هذا " ومع هذا فقد ذكر الزجاج مثالا آخر لهذا الإبدال عند تعرضه لتفسير قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ (المعارج ٤٣/٧٠) فقال : " والأجداث القبور ، واحدها جدث ، ويقال : ايضاً جدف في هذا المعنى " ^(٤).

وقد ذكر بيان الحق النيسابوري في (إيجاز البيان) كلاماً قريباً من كلام الفراء السابق إذ يقول : " والضوم : الحنطة... وقيل : الثوم ، كالجدف والجدث " ^(٥)

العلاقة الصوتية :

(١) معاني الفراء ٤١/١ .

(٢) قرأ ابن مسعود وابن عباس وأبي عبد الله : (وثومها) بالشاء ، وقراءة الجمهور بالفاء كما في معجم القراءات ١١٢/١ .

(٣) معاني الزجاج ١٤٣/١ .

(٤) معاني الزجاج ٢٢٤/٥ .

(٥) إيجاز البيان عن معاني القرآن ١٠٠/١ - ١٠١ .

الثاء والفاء صوتان متقاربان مخرجاً ، متحدان صفة : فكلاهما مهموس مرقق رخو ، إلا أن الثاء صوت أسناني عند سيبويه ^(١) وجميع المحدثين . علي خلاف الخليل وابن يعيش اللذين رأيا أن الثاء صوت يخرج ما بين طرف اللسان وأصول الثنايا ، فالثاء صوت لثويّ عندهما : " لأن مبدأها من لثة " ^(٢) . أما الفاء فصوت شفويّ أسنانيّ ، يُنطق بأن تتصل الشفة السفلى بالأسنان العليا ، اتصالاً يسمح للهواء أن يمرّ بينهما فيحتك بهما ^(٣) ، أي إن لئلسنان دوراً بارزاً في إنتاجه ، ومن هنا يأتي تقاربه في المخرج مع الثاء وهي صوت أسناني - كما أسلفت - هذا التقارب الذي سوغ الإبدال بينهما في الأمثلة السابقة ، ففي كلمة (ثومها) التي رأي الفراء أنها (أشبه المعنيين بالصواب) ، يميل كثير من القدماء والمحدثون إلى أن الثاء هي الأصل ، بدليل قوله تعاليّ في قراءة ابن مسعود (وثومها) من ناحية ، والدراسة المتأنيّة للكلمة في اللغات السامية من ناحية أخرى ^(٤) ، وما ذكره الفراء عن بني أسد ، من أنهم يقولون : مغافير في مغائير ، له ما يبرره ، على أساس أن بني أسد ، ومعها القبائل التي أثرت الثاء ، كطيء ، بدوية ، والثناء أليق بمثل هذه القبائل لأنها تختلف عن الفاء في نسبة الوضوح ^(٥) ، ولذا أثرت الفاء عن بني

(١) الكتاب ٤/٤٣٣ .

(٢) انظر علي سبيل المثال : المدخل إلى علم اللغة ٤٤ ، وعلم الأصوات للدكتور كمال بشر ٢٩٨ ، ودراسات في علم الأصوات ٦٣ .

(٣) العين (ت.د.درويش) ١/٦٥ ، الفصل لابن يعيش ١٠/١٢٥ .

(٤) انظر : المدخل إلى علم اللغة ٤٣ وعلم الأصوات للدكتور بشر ٢٩٧ .

(٥) انظر التطور النحوي لبرجشتراسر ٣٧ ، حيث أورد أمثلة للإبدال بين الثاء والفاء ، ورجح أن يكون الأصل الثاء مقارنة باللغات السامية التي ورد فيها كثير من الأمثلة علي ذلك .

(٦) لا شك أن الثاء أوضح في السمع من الفاء ، على الرغم من كونها مهموسين ، انظر في اللهجات العربية ١١٥ ، واللهجات العربية في التراث ٢/٤١٩ .

سليم المتحضرة التي كانت تعيش في منطقة تهيمن على طرق التجارة، ولها صلات وثيقة بقريش^(١)، ولذا يرى الدكتور ليتمان Enno littmann ان هذا الإبدال بين الثاء والفاء قديم عند العرب، بدليل وجوده في جنوب بلاد العرب، وفي لهجات المغرب الآن^(٢).

بين الجيم والشين :

وقد اشار الفراء إلى هذا الإبدال عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ ﴾ (مريم ٢٣/١٩) حيث قال^(٣) : " ولغة اخرى لا تصلح في الكتاب ، وهي تميمية : فإشاءها المخاض ، ومن أمثال العرب : شرماً أجاك إلى مخة عرقوب^(٤) ، واهل الحجاز واهل العالية يقولون : شرماً أجاك إلى مخة عرقوب ، والمعنى واحد ، وتميم تقول : شرماً أشاءك إلى مخة عرقوب " .

وجاء عند الزجاج في الموضوع نفسه : " معناه أجالها وهو من جئت ، وأجائني غيري ، وفي معناه : أشاءني غيري ، وفي أمثال العرب : شرماً أجاك إلى مخة عرقوب ، وبعضهم يقول : أشاءك " ^(٥).

العلاقة الصوتية :

- (١) انظر اللهجات العربية في التراث ٤١٩/٢ .
- (٢) انظر مقاله بعنوان : بقايا اللهجات العربية في الأدب العربي المنشورة بمجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة = مجلد ١٠ - ج ١ ص ١٦ .
- (٣) معاني الفراء ١٦٤/٢ .
- (٤) هذا مثل من أمثال العرب وانظر : جهرة الأمثال ٥٤٩/١ ، ولصل المقال للبكري ٤٣٤ ، وجمع الأمثال ١٥١/٢ ، والمستقصى ١٣١ ، وهو يُضرب للمضطر جداً ، ذلك أن العرلوب لا مخ .
- (٥) معاني الزجاج ٣٢٤/٣ .



الجيم والشين صوتان متحدان مخرجًا ، فهما عند المحدثين من الأصوات الغارية^(١) ، والغار هو الجزء الصلب من سقف الحنك ، وهما عند القدماء من الأصوات الشجرية ؛ لأن مبداهما من شجر الفم ، أي مفترقه^(٢) ، ولذا يقول ابن يعيش : " الجيم اخت الشين في المخرج " .

علي أية حال ؛ فالثابت أن القدماء والمحدثين متفقون علي أن الجيم والشين من مخرج واحد ، وعلي أنهما صوتان مرققان ، وعلي أن السين مهموسة ، والجيم مجهورة ، وعلي أن السين صوت احتكاكي .

لكن الخلاف الحقيقي بين القدماء والمحدثين يكمن في وصف الجيم بأنه صوت شديد من قبل القدماء جميعاً ، ويرى المحدثون أن الجيم صوت من الأصوات المزوجة أو المركبة ، وهي ذلك النوع من الأصوات الذي يتكون في الحقيقة من صوتين ممزوجين معاً ، ومن نظائره في الإنجليزية ch . وفي الألمانية Z (تس)^(٤) ... الخ .

ويصفها فندريس بقوله^(٥) : " وتوجد سلسلة من الأصوات المتوسطة بين الانفجارية والاحتكاكية ، وهي ما تسمى (شبه الانفجارية) أو بعبارة أوضح (الانفجارية الاحتكاكية) ، وتتميز بالإغلاق الذي لا يستمر إحكامه ، وفيها

(١) انظر المدخل إلى علم اللغة ٥٠ ، ويلاحظ أن الدكتور كمال بشر يسميها الأصوات اللثوية الحنكية ، ولا خلاف لأن الغار هو الجزء الصلب من سقف الحنك ، انظر علم الأصوات له ٣١١ ودراسات في علم الأسلوب ٧٢ .

(٢) انظر العين ٦٥/١ .

(٣) شرح المفصل ١٣٨/١٠ .

(٤) انظر : أسس علم اللغة لماريوباوي ٨٤ .

(٥) اللغة ٥٠ .

كما في الانفجارية حبس ، ولكن هذا الحبس تتبعه حركة خفيفة من الفتح ، بحال يجعل الانفجاري ينتهي بالاحتكاكي ، فالانفجاري الاحتكاكي هو انفجاري فاشل " وعلي ذلك فالجيم في الحقيقة صوت دال مغور ، يعقبه صوت شبه مجهور (dj) ويرى الدكتور كمال بشر أن القدماء وصفوا بداية نطق الجيم لا نهايته ، " وهو الانتقال من الانحباس إلى الاحتكاك " ^(١) وهو تفسير يبدو منطقياً مقبولاً ، يوفق بين وصف القدماء والمحدثين .

وهذا كله - بالطبع - وصف للجيم الفصيحة ، التي نسمعها من قراء القرآن الكريم في مصر ، لكن هناك أنواعاً أخرى لنطق الجيم ، منها النطق القاهري (g) علي نحو (go) في الإنجليزية ، ومنها نطق أهل الشام الذي جعل بعضهم يطلق عليها (الجيم الشامية) ورمزها (j) ، وغير ذلك من أنواع النطق التي ذكر الدكتور كمال بشر أنها ستة ^(٢) .

ويرى الدكتور بشر^(٣) ، ومعه الدكتور رمضان عبد التواب^(٤) أن الجيم المزدوجة الفصيحة متطورة عن الجيم القاهرية ، تأثراً - فيما يبدو - بكلام للمستشرق إنو ليمان يقول فيه : " نعرف أن نطق هذا الحرف الأصلي ، كان كما هو الآن في مصر ، وكما كان ويكون في اللغات السامية الباقية ، مثلاً : كلمة : (جمل) في العبرية : Gamal ، وفي السريانية : gamla ، والحبشية : gamal " ^(٥) . وللدكتور ضاحي عبد الباقي أيضاً كلام قريب من هذا ^(٦) .

(١) علم الأصوات ٣١٤ .

(٢) النظر علم الأصوات ٣١٧-٣٤٢ .

(٣) النظر علم الأصوات ٣٢٠-٣٢٦ ، حيث يزيد رأيه أيضاً بولوع هذا النطق القاهري في جهات متعددة بالعالم العربي مما يعد الرأ من آثار نطق قديم .

(٤) النظر المدخل إلى علم اللغة ٥٢ .

(٥) بقايا اللهجات العربية ١-٢ .



ومهما يكن من أمر فإن العلاقة الصوتية التي تربط ما بين الجيم والشين من اتحادهما في المخرج ، واتفاقهما في صفة الترقيق كانت كافية لتفسير التعاقب بين هذين الصوتين ولإساعة أن تميل بعض القبائل إلى إبدال الجيم شيناً ، ومنها تميم كما ذكر الفراء ، في كلمة (أجاءها) كالتي نجد لها امتداداً في العامية المصرية ، حيث يطلق على (الوجه) : (الوش) ، وكما رأينا في كثير من كتب اللغة عند المتقدمين^(١) والمتأخرين^(٢) ، ولكن تفسيرهم لهذا الإبدال مختلف ، إذ يري القدماء أن الجيم تغيرت صفتها من جهر وشدة إلى همس ورخاوة ، علي حين يري المحدثون أن صوت الجيم انحل عند تميم إلى أحد مكونين ، وهو الشين التي همست بعد أن كانت مجهورة^(٣) . وإن كان الدكتور أحمد علم الدين الجندي يري أن الشين التي تحولت إليها الجيم بقيت مجهورة تأثراً بحركة المد بعدها^(٤) .

بين السين والصاد

جاء هذا الإبدال بين السين والصاد في كتب المعاني كثيراً ، نتيجة

(١) حيث يقول : " وتطور الكاف (وهي الجيم القاهرية) إلى جيم إذا وليه صوت لين أمامي (الكسرة القصيرة والطويلة) - يتفق وقانون الصوت الحنكي Palatal law " (لغة تميم ١٠٨).

(٢) انظر علي سبيل المثال : الصحاح (شيا) ٥٩/١ ، واللسان (جيا) ٤٥/١ ، والجيم لأبي عمرو ٧٠/١ ، والإبدال لأبي الطيب ٢٢٦/١-٢٢٨ ولحن العوام للزبيدي ٣٠٣ وسر الصناعة ٢٠٥/١ .

(٣) انظر علي سبيل المثال: اللهجات العربية في التراث ٤٥٧/٢ - ٤٥٨ ، ولغة تميم ١٠٨-١٠٩ .

(٤) تنظر لغة تميم ١٠٩ .

(٥) انظر اللهجات العربية في التراث ٤٥٨/٢ .

للقرآيات القرآنية الواردة في بعض الآيات ، ومنها قوله تعالى : ﴿ أَهْدِنَا
 الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (الفاحة ٦/١) حيث يقول الأخفش : " والصراط " فيه
 لغتان : السين والصاد ^(١) : إلا أنا نختار الصاد ، لأن كتابها علي ذلك في
 جميع القرآن " ^(٢) .

وفي قوله تعالى ﴿ فَوَسَّطَنَ بِهِ جَمْعًا ﴾ (العاديات ٥ / ١٠٠) يقول
 الأخفش : " فوسطن به " ^(٣) وقال بعضهم : فوسطن " ^(٤) وذكر الضراء أمثلة
 أخرى في كتابه ، منها ما جاء عند قوله تعالى : ﴿ سَلَقُواكُمْ بِالْسِنَةِ حِدَادٍ ﴾
 (الأحزاب ١٩ / ٣٣) إذ يقول : " والعرب تقول : صلقوقكم ^(٥) ، ولا يجوز في
 القراءة لمخالفتها إياه : انشدني بعضهم : [الرجز]

أصلق ناباه صياح العصفور

إن زل فوه عن جواد مئشير ^(١)

(١) قراءة الجمهور بالصاد ، وقرأ ابن كثير وغيره (السرائر) ، النظر السبعة ١٠٥ ، والإتحاف
 ١٢٣ ، ومعجم القراءات ١٧ / ١ .

(٢) معاني الأخفش ١٧ / ١ .

(٣) هذه قراءة في : (فوسطن) لم يذكرها أحد سوى الأخفش هنا | النظر معجم القراءات
 ٥٤٢ / ١٠ .

(٤) معاني الأخفش ٥٨٣ / ٢ .

(٥) قرأ بها أبي بن كعب وابن أبي عبلة وأبو الجوزاء وأبو عمران الجوني ، وقرأ الباقون بالسين
 ، كما في معجم القراءات ٢٦٥ / ٧ .

(٦) البيتان من قصيدة لمنظور بن مرثد الأسدي تحوي ثلاثة عشر بيتا ، والبيتان بينهما تقديم
 وتأخير لهما ، وهما في نوادر أبي زيد ٥٧١ وأراجيز العرب للبكري ١٥٥ ، والمقصود
 بالجواد هنا : الحمار ، والنظر شرح البيتين ومفرداتهما في المرجعين السابقين .



وذلك إذا ضرب الناب الناب فسمعت صوته "

ومن مواضع الإبدال بين السين والصاد ما جاء عند الفراء أيضاً :
 وقوله عز وجل : ﴿الْمُصَيِّرُونَ﴾ ^(١) (الطور ٥٢ / ٣٧) و﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾
 (الغاشية ٢٢ / ٨٨) ^(٢) : كتابتها بالصاد ، والقراءة بالسين والصاد ، وقرا
 الكسائي ، بالسين ^(٣) ، ومثله : (بصطة) و(بسطة) كتب بعضها بالصاد ،
 وبعضها بالسين ، والقراءة بالسين في بسطة ، ويبسط ، وكل ذلك -- احسبه
 قال - صواب " . ^(٤)

وسار الزجاج علي الدرب ذاته ، فأورد بعض الأمثلة لهذا الإبدال ، ومنها
 قوله : " يقال : قد سيطر علينا وتسيطر ، وتسيطر : بالسين والصاد ، والأصل
 السين ، وكل سين بعدها طاء يجوز أن تقلب صاداً ، تقول : سيطر وصيطر ،
 وسطاً وصطاً " ^(٥) ويقول أيضاً في موضع آخر : " والرسم : المفصل بين الكف
 والساعد ، ويقال : رسم ورصغ ، والسين أجود " ^(٦)

وقد ذكر الأزهري في (معاني القراءات) ما ورد من قراءات في
 ﴿الْصِّرَاطِ﴾ ثم قال : ^(٧) " من قرأ بالسين فهو الأصل ؛ لأن العرب تقول سرطت

-
- (١) اختلف السبعة فيها بين القراءة بالسين والصاد ، انظر السبعة ٦١٣ والنشر ٣٧٨ / ٢ .
 (٢) اختلف في قراءتها أيضاً بين السين والصاد ، انظر معجم القراءات ٤٠٦ / ١٠ .
 (٣) جاءت القراءة في (بصطة) عن الكسائي بالصاد والسين كما في معجم القراءات
 ٣٥٠ / ١ .
 (٤) معاني الفراء ٩٣ / ٣ .
 (٥) معاني القرآن وإعرابه ٦٦ / ٥ .
 (٦) السابق ١٧٤ / ٢ .
 (٧) معاني القراءات ١١١ / ١ .

اللّقة سرطاً... ومن قرأ بالصاد فلأنه مخرج السين والصاد من طرف اللسان فيما بينه وبين الثنايا ، والسين والصاد يتعاقبان في كل حرف فيه غين أو قاف أو طاء أو خاء... روي ذلك الثقات عن العرب ، والسين حرف مهموس ، والصاد حرف مجهور..^(١)

وقريب من هذا قول جامع العلوم النحوي في الكشف^(٢) : "ومن قرأ السراط بالسين ، فلأنه الأصل في الكلمة... ومن قرأ بالصاد أبدل الصاد من السين ، ليوافق لفظه الطاء في الإطباق" وقول بيان الحق النيسابوري في (باهر البرهان) : " وإنما تقلب صادًا لأجل الطاء ، طلبًا لمجانسة الإطباق " ^(٣).

العلاقة الصوتية:

السين والصاد صوتان متحدان في المخرج؛ فكلاهما أسناني لثوي ، وهما مشتركان أيضًا في صفتي الهمس والرخاوة ، ولا يختلفان إلا في التخميم والترقيق ، فالصاد هي النظير المفخم للسين ، إذ هو ينطق كما ينطق السين ، مع هارق واحد ، هو أن مؤخرة اللسان ترتفع معه ناحية الطبق.^(٤)

ولهذا ساغ الإبدال بين هذين الصوتين ، سواء في اللهجات العربية -

(١) هذا النص غريب ، إذ لم ينقل هذا عن القدماء ، فهم متفقون على أن الصاد مهموسة ، كما أن الأزهرى نفسه في (تدبير اللغة ٣٣٠/١٢) لم يذكر هذا ، ومثله لا يصدر عنه هذا ، لإما أن يكون الخطأ من الناسخ أو من سقط في المخطوطة ، أو سهو من الخلق

(٢) الكشف في نكت المعاني ١/١٦٨ .

(٣) باهر البرهان ٣/١٣٨٨ .

(٤) النظر المدخل إلى علم اللغة ٤٧ ، ودراسات في علم الأصوات ٦٨-٦٩ .



فقد روي ذلك الإبدال عن بعض القبائل ، كبلعنبر^(١) مثلاً الذين شاع فيهم إثارة الصاد علي السين إذا كان بعدها حرف مضخم - أو في القراءات القرآنية الكثيرة التي أوردتها أصحاب المعاني في كتبهم.

ويهمنا هنا الإشارة إلى أن التفسير الصوتي الذي قدمه أصحاب المعاني لهذا الإبدال صحيح في الجملة ، ومثاله قول الزجاج المتقدم : " والأصل السين ، وكل سين بعدها طاء يجوز أن تقلب صاداً " وقول الأزهري : " والسين والصاد يتعاقبان في كل حرف فيه غين أو قاف أو طاء أو خاء " بل إن بعضهم تعمق أكثر من غيره ، فذكر علة الإبدال بقوله : " طلباً لمجانسة الإطباق " وهو تفسير لا يكاد يختلف في مبناه ومعناه عما ذكره العلماء قديماً^(٢) وحديثاً^(٣) في حديثهم عن هذه الظاهرة.

بين الصاد والطاء

وقع الإبدال بين هذين الصوتين في قراءة شاذة لقوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ ﴾ (الأنبياء ٢١ / ٩٨) حيث قرئت: (حطب) بالطاء، يقول الفراء:^(١) " ذكر أن الحصب في لغة أهل اليمن

(١) النظر التهذيب (سوط) ٣٣٠/١٢.

(٢) النظر على سبيل المثال : سر الصناعة ٢١١/١-٢١٢ ، ودرة الفواص للحريزي ١٩- وشرح المفصل ٥١/١٠-٥٢.

(٣) انظر على سبيل المثال اللهجات العربية في التراث ٤٤٥/٢-٤٥١ ، والقراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ٤٠١ ، ولغة تميم ٢١٣٧.

(٤) معاني الفراء ٢١٢/٢.

الحطاب... عن محمد بن الحكم الكاهلي عن رجل سمع علياً يقرأ (حطاب) بالطاء... عن أبي الحويرث رفعه إلى عائشة أنها قرأت (حطاب) كذلك^(١)

وجاء الزجاج فنذكر في معانيه كلاماً قريباً من هذا فقال^(٢): "قرئت على ثلاثة أوجه: حصب جهنم، وحطب جهنم وحضب جهنم"^(٣) - بالضاد معجمة - فمن قرأ حصب، فمعناها كل ما يرمى به في جهنم، ومن قال حطب، فمعناها ما توقد به جهنم؛ كما قال عز وجل (وقودها الناس والحجارة)، ومن قال حطب... فمعناها ما تهيج به النار وتذكي به، والحضب: الحية)

ونقل بيان الحق النيسابوري في كتابيه معاً ما يزيد أنه يرى الإبدال أيضاً بين هذين الصوتين إذ يقول: "حصب جهنم": حطبها"^(٤)
العلاقة الصوتية:

الصاد - كما ذكرت من قبل - صوت أسناني لثوي رخو مهموس مضخم، والطاء عند المحدثين من المخرج نفسه^(٥): أي إنه صوت أسناني لثوي

(١) القراءة بالطاء منسوبة لعلي وعائشة وأبي وابن الزبير وزيد بن علي وعكرمة وأبو العالية وعمر بن عبد العزيز كما في البحر ٣٤٠/٦ ومختصر ابن خالويه ٩٣ ومعجم القراءات ٦١/٦

(٢) معاني الزجاج ٤٠٦/٣

(٣) القراءة بفتح الضاد قرأها ابن العباس وعائشة واليماني كما في البحر ٣٤٠/٦ وشواد ابن خالويه ٩٥ والمختص ٦٦/٢

(٤) باهر البرهان ٩٣٦/٢ وإيجاز البيان ٥٦٥/٢

(٥) وإن كان هناك لرق ضئيل - داخل المخرج الواحد - النقطة المكابية التي يخرج منها كلا الصوتين، لمخرج الطاء مما بين مقدمة اللسان واللثة والأسنان العليا، والصاد يخرج



أيضاً ، وهو مهموس مفخم كالصا د تماماً عند المحدثين ، وإن كان القدماء وصفوه خطأً بالجهر^(١) ، ولا يختلف عن الصا د سوى أنه انفجاري (شديد) بينما صوت الصا د (احتكاكيٌّ) أو رخو :^(٢) ، ويبقى بعد ذلك احتمال أن تكون كل من الكلمتين أصل مستقل ، وإن كان ضعيفا ، والأقوى أن الطاء هو الصوت الأصلي ، وأن الصا د تطور عنه ، وذلك لأمر منها :

١ - أن كلمة (حطب) بالطاء جاءت في القرآن في موضعين^(٣) ، بينما جاءت (حصب) بالصا د في موضع واحد ، وقد رأينا أن هذا الموضع أيضاً قرئ فيه بالطاء .

٢ - أن الانتقال من الصوت الشديد (الطاء) إلى الصوت الاحتكاكي (الرخو) شئ له ما يبرره صوتياً بأنه ميل إلى السهولة واليسير ، أما العكس فيصعب تفسيره .

٣ - وجود بعض الأمثلة من المشترك السامي للإبدال بين الصوتين ، تحولت فيها الطاء إلى صا د مثل كلمة (طفا) العربية ، تحولت في العبرية إلى (صفا) ، وكذلك كلمة (قطع) تحولت في العبرية إلى

بوضع طرف اللسان في اتجاه الأسنان ومقدمته مقابل اللثة العليا ، انظر دراسات في علم الأصوات ٦٦ ، ، ٦٨ .

(١) انظر على سبيل المثال : كتاب سيبويه ٤ / ٤٣٤ ، وتعليل الدكتور تمام في مناهج البحث في اللغة ١٢٢ و٥ : بشر في علم الأصوات .

(٢) المدخل إلى علم اللغة ٤٦-٤٧ .

(٣) هما قوله تعالى : (وَأَمَّا آقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا) (الجن ١٥/٧٢) وقوله تعالى : (وَأَمْرَأَةٌ

حَمَّالَةَ حَطْبٍ) (المسد ٤/١١١)

(قصع) ^(١) "ولذلك أورد ابن السكيت أمثلة للإبدال بين هذين الصوتين في كتابه ، وإن لم يبين الأصل فيها ^(٢) بينما ذكر بعض المعاصرين أن الطاء هي الأصل ^(٣)

بين القاف والكاف :

جاء في معاني الفراء ^(٤) عند تفسيره لقوله : ﴿ كُشِطَتْ ﴾ (التكوير ١١/٨١) : " وفي قراءة عبدالله : (كشطت) ^(٥) بالقاف وهما لغتان ، والعرب تقول : القافور والكافور ، والقف والكف - إذا تقارب الحرفان في المخرج تعاقبا في اللغات "

وجاء عند الفراء ^(٦) أيضا في تفسير : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرَ ﴾ (الضحى ٩/٩٣) : وهي في مصحف عبدالله : (فلا تكهر) ^(٧) وسمعتها من أعرابي من بني أسد قرأها على "

(١) انظر : ظاهرة الإبدال في المشترك السامي للدكتور حازم كمال الدين ٨٣-٨٤ ، وانظر أيضا لغة تميم ١١ .

(٢) انظر إبدال ابن السكيت ١٢٠ .

(٣) انظر مثلاً : لغة تميم ١١١ .

(٤) معاني الفراء ٢٤١/٣ .

(٥) قرأ ابن مسعود وعامر بن شراجيل الشعبي وإبراهيم بن يزيد النخعي (كشطت) والجمهور بالكاف كما في البحر ٤٣٤/٨ ومختصر ابن خالويه ١٦٩ ، ١٧٥ .

(٦) معاني الفراء ٢٧٤/٣ .

(٧) وهي قراءة إبراهيم التيمي والنخعي والشعبي والأشهب العقيلي أيضا كما في معجم القراءات ٤٨٤/١٠ .



ولم يفت الزجاج الحديث عن هذا الإبدال أيضاً فقال ^(١) : " يقال كشطت السقف وكشطت السقف بمعنى واحد ، والقاف والكاف تبدل إحداهما من الأخرى كثيراً ، ومثل ذلك لبكت الشئ : ولبقته ، إذا خلطته " .
العلاقة الصوتية :

القاف والكاف متجاوران مخرجاً : فالقاف صوت لهوى انفجاريٌّ مهموس مستعلٍ ، والكاف صوت طبقىٌّ انفجاريٌّ مهموس مرقق ، ولا فرق بين القاف والكاف سوى أن القاف أعمق قليلاً في مخرجها ^(٢) ولذا ساغ التبادل بينهما ، فأثرت القبائل البدوية النطق بالقاف ، كقيس وتميم وأسد ^(٣) ، بينما أثرت قريش والقبائل المتحضرة الأخرى صوت الكاف لسهولته نسبياً ^(٤) وإن كان بعض بطون أسد ينطق بالكاف لمجاورته للحجاز ^(٥) . وقد ذكرت كتب اللغة أمثلة لهذا الإبدال أكثرها مأخوذ مما ذكره الفراء والزجاج ^(٦) ، كما أورد ابن السكيت بعض الأمثلة الأخرى مثل : احتك واحتق ، وقاعه الله ، وكاعه وعريى كُحٌ وقُحٌ . وقط وكط ، والأقهب والأكهب : لون إلى الغبرة ^(٧) .

(١) معاني الزجاج ٢٩١/٥

(٢) انظر المدخل إلى علم اللغة ٥٣-٥٥ ودراسات في علم الأصوات ٧٥-٧٧ وانظر في الضلالة بين استعمال القاف والحروف المطبقة : مناهج البحث في اللغة ١٢٤-١٢٥ .

(٣) انظر الإبدال لابن السكيت ١١٤ .

(٤) انظر الأمالي للقالى ٥٦/٢ إلى جوار المصدر السابق

(٥) كقبيلة غطفان ، انظر اللهجات العربية في التراث ٤٦٣/٢ . وهو يحل الإشكال الناشئ عن نسبة الكاف لأسد في التاج ٢٠٧/٥ (كشط)

(٦) انظر التهذيب (كشط) ٨-٦/١٠ .

(٧) انظر الإبدال ١١٣-١١٤ والامالي ١٥٦/٢ .

وقد نسب إلى تميم نطقاً للقاف سمى بالقاف المعقودة ، وهي صوت بين القاف والكاف ، ومخرجها إلى الأمام قليلاً من الفصيحة ويرمز لها بـ " ك " ، ذكرها ابن دريد بقوله ^(١) : فاما بنو تميم فإنهم يلحقون القاف باللهة ^(٢) فتغلظ جداً فيقولون للقوم : الكوم ، فتكون القاف بين الكاف والقاف وهذه لغة معروفة في بنو تميم ، قال الشاعر : (البسيط)

وَلَا أَكُولُ لِكِدْرِ الْكَوْمِ قَدْ نَضَجْتًا وَلَا أَكُولُ لِبَابِ الدَّارِ مَكْفُولٌ ^(٣)

ويرى الدكتور أحمد علم الدين الجندی أن هذه القاف التميمية هي أشبه بالحروف القاهرية ، ^(٤) وعلى هذا فإن الإبدال بين القاف الفصيحة وهذا الصوت يسهل تفسيره بأنه اقتصاد للجهد العضلي ، وبإخراج الصوت من نقطة مكانية أسبق من مخرج القاف ، وهو مفهوم قول المبرد : يلحقون القاف (بالكاف)

بين العين والحاء :

أشار الفراء لذلك الإبدال عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَمًا فِي الْقُبُورِ ﴾ (العاديات: ٩/١٠٠) حيث قال ^(٥) : " رأيتها في مصحف عبد

(١) الجمهرة ٤٢/١ من المقدمة الصاحبي ٢٥ .

(٢) هكذا في المطبوعة (اللهة) ، وهو خطأ ظاهر ، فإن القاف لهوية أصلاً ، والصواب : الكاف ، والعجيب أن الخفص الفاضل أشار إلى أنها في إحدى المخطوطات (الكاف) ثم لم يثبتها في النص مع أنها الصواب !

(٣) البيت في ديوان أبي الأسود الدؤلي ٣٥٣ ، وانظر تحريجه في هامش الموضوع السابق من الجمهرة .

(٤) انظر اللهجات العربية في التراث ٤٦٣/٢ .

(٥) معاني الفراء ٢٨٦/٣ .

الله : " إذا بحثر ما فى القبور)^(١) وسمعت بعض أعراب بنى أسد ، وقرأها . فقال
: (بحثر)^(٢) وهما لغتان : بحثر وبعثر "

وقال الزجاج فى هذا الموضوع :^(٣) " بعثر وبحثر بمعنى واحد ، والمعنى :

أفلا يعلم إذا بعث الموتى ؟ "

العلاقة الصوتية :

العين والحاء صوتان متحدان مخرجاً ، فهما من اصوات الحلق عند
القدماء^(٤) والمحدثين على السواء ، وكلاهما صوت احتكاكى مرهق عند
المحدثين ، غير ان القدماء يرون أن العين من الأصوات المتوسطة^(٥) (التى
يخرج هواؤها حراً بصورة أو بأخرى) ، لكن المعامل الصوتية الحديثة اثبتت
وجود تضيق كبير للحلق عند النطق بالعين ، واتضح هذا بصورة الأشعة
جلياً ، مما حدا بالمحدثين إلى اعتبار صوت العين رخوا (احتكاكياً)^(٦) وعلى
هذا فلا فرق بين الحاء والعين سوى أن الحاء مهموسة والعين مجهورة ،
فالحاء إذن هى النظير المهموس للعين ، ولذلك ساغ إبدال العين المجهورة حاءً
مهموسة تأثراً بالحاء التى بعدها فى (بعثر) .

(١) قرأ ابن مسعود (بحثر) كما فى إعراب ثلاثين سورة لابن خالويه والمحرر السوجيزه
٥٥٠/١٥ ومعجم القراءات ٥٤٤/١٠ فلا داعى لنفى ذلك كما فعل ناشر كتاب ابن
خالويه السابق ، وصاحب (المباحث اللغوية فى معاني القراء)
(٢) وهى قراءة نسبت لابن مسعود أيضا ، كما فى البحر ٥٠٥/٨ ، ومختصر شواذ ابن
خالويه ١٧٨ .

(٣) معاني الزجاج ٥ / ٣٥٤ .

(٤) انظر : العين للخليل ٦٥/١ ، والكتاب لسبويه ٤٣٣/٤ .

(٥) انظر الكتاب ٤٣٥/٤ .

(٦) انظر المدخل إلى علم اللغة ٨٢ ، ومناهج البحث فى اللغة ١٣٠ وعلم الأصوات ٣٠٤ .

وأورد ابن السكيت ورفيقه أبو الطيب بعض الأمثلة على هذا الإبدال^(١)، وكذلك ابن جنى الذى يقول: "ولولا بُحَّةٌ فى الحاء لكانت عيناً... " ثم يفسر هذا الإبدال صوتياً تفسيراً صحيحاً فيقول " ..وذلك لأن الحاء مهموسة ومضارعة بالحلقية والهمس للهاء الخفية، وليست فيها نضاعة العين ولا جهرها "^(٢)

لأجل هذه العلاقة بين العين والحاء نسب القدماء إلى هذيل إحدى الظواهر اللهجية وهى قلب الحاء عيناً وتدعى: الفحفحة، وإن كان الدكتور أنيس يقول: " فنحن بين أمرين: إما أن نفسر الفحفحة على أنها قلب العين إلى الحاء أو نغير نسبتها لهذيل، وننسبها لقبيلة أخرى بدوية مثل تميم "^(٣) وتلك قضية لا مجال للاستطراد فى تحقيقها الآن .

والذى يعيننا أن التقارب الصوتى بين الحاء والعين التفت له القدماء والمحدثون، ولذلك أساغوا الإبدال بين الصوتين .



ثانياً : الإبدال بين الحركات (Vowels)

جرت سنة العلماء على تقسيم الأصوات اللغوية إلى صوامت، وحركات (صوالت)، فهما قسمان متلازمان . والحركة كما عرفها دانيال جونز هى: " صوت مهتز (مجهور)، يخرج الهواء عند النطق به، على شكل

(١) انظر الإبدال ٨٦٩-٨٧، ولأبى الطيب ٢٩٢/١ .

(٢) سر الصناعة ٢ / ٢٤١-٢٤٤ .

(٣) فى اللهجات العربية ١٠٩ .



مستمر من البلعوم والضم دون أن يتعرض لتدخل الأعضاء الصوتية ، تدخلا يمنع خروجه ؛ أو يسبب فيه احتكاكاً مسموعاً " (١)

وأصوات الحركات التي ينطبق عليها هذا التعريف يختلف عددها باختلاف اللغات ، وفيما يخص لغتنا العربية الفصحى ، فإن عدد الحركات ست ، ثلاثٌ منها طويلة ، وهي التي نسميها حروف المد " وهي الألف والواو والياء " ، وثلاثٌ قصيرة ، وهي الفتحة والضمة والكسرة . وقد تنبه العلماء العرب في وقت مبكر إلى العلاقة ، بين الحركات القصيرة والطويلة ومن هؤلاء ابن جنى العلامة ، عبقرى العربية ، إذ يقول في سر الصناعة : " اعلم ان الحركات أبعاض حروف المد واللين ، وهي الألف والواو والياء ، فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث ، وهي الفتحة والكسرة والضمة ، فالفتحة بعض الألف ، والكسرة بعض الياء ، والضمة بعض الواو ، وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة ، والكسرة الياء الصغيرة ، والضمة الواو الصغيرة وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة " (٢)

ويؤكد ابن جنى فكرته الرائدة آنذاك بقوله : " ويدلك على أن الحركات أبعاضٌ لهذه الحروف ، أنك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه ، وذلك نحو فتحة عين (عَمَرَ) فإنك إن أشبعتها نشأت بعدها الف ، فقلت : عامر ... " (٣)

An outline of English phonetics p. 97

(١) النظر :

(٢) سر صناعة الإعراب ١/١٧ .

(٣) السابق ١/١٨ .

وهكذا يتفق ابن جنى مع الدراسات الصوتية الحديثة التي ترى ان الحركات الطويلة والقصيرة متماثلان فى الكيف ، مختلفان فى الكمية فقط ، اى فى زمن النطق بكل منهما .

وقد شعر العلماء بهذه العلاقة منذ زمن بعيد ^(١) ، ولذا رمزوا للفتحة بهذه العلامة (-) إشارة إلى نصف الألف ، وكذلك الضمة (و) إشارة لنصف الواو وكذلك الكسرة تحت الحرف (-) إشارة لنصف الياء ، من ناحية زمن النطق ، ولكنهم - للأسف - لم يضعوها فى صلب الكلمة ، مما ادى لصعوبات جمة فى النطق " فبقيت الكتابة العربية ، كأنها ضرب من الاختزال ، يجب فهمه اولاً كى تتسنى قراءته ، وذلك عيب من أكبر عيوب الخط العربى " ^(٢) .

طريقة إنتاج الحركات القصيرة :

تتفق الحركات الثلاث فى أنها أصوات مجهورة - كما مر من تعريف دانيال جونز - أى إن الأوتار الصوتية تهتز عند النطق بها . كما يجمعها أيضاً عدم حدوث احتكاك فى أثناء مرور الهواء عند النطق بها ^(٣) ، ومع ذلك ، فشكل اللسان ، والشفتين يختلف - قليلاً أو كثيراً - فى أثناء النطق ببعضها عنه عند نطق بعضها الآخر ، ففى أثناء النطق بالفتحة (a) يكون

(١) ومنهم الخليل بن أحمد الذى وضع رموز الحركات القصيرة ، انظر المحكم فى نطق المصاحف للدان ٧ .

(٢) دروس فى علم أصوات العربية ١٧٣ ، وانظر فى الحديث عن هذه المشكلة : فصول فى فقه العربية ٣٩٦-٤١٢ حيث عقد الدكتور رمضان عبد التواب - رحمه الله - فصلاً مهماً بعنوان (مشكلة الخط العربى وأوهام اللغويين) وكذلك الدكتور كمال بشرى علم الأصوات ٤٢٦-٤٣٠ .

(٣) انظر المدخل إلى علم اللغة ٩١-٩٣ .



اللسان مستويا في قاع الفم ، مع انحراف قليل في أقصاه نحو أقصى الحنك ، على حين نجد الشفتين في وضع جامع بين الاستدارة والانضراج ، ومن ثم تنشأ بينهما فتحة واسعة إلى حد ما ، لو قيست بغيرها من الحركات ، ويتم التضييق بين اللسان وما يقابله في نهاية الحلق الفمى وفوق لسان المزمار بقليل ويكون التضييق مع الضمة (u) خلفى أيضا فيما بين مؤخر اللسان وما يقابله من سقف الحنك الطرى ، وتستدير الشفتان وتتقلصان مع إحداث بروز إلى الأمام ، فتتكون - بناءً على ذلك - فتحة دائرية أضيق ما تكون مع جميع الحركات.

أما مع الكسرة (i) فإن التضييق يكون أمامياً فيما بين مقدم اللسان وما يقابله من الحنك الأعلى وفتحته الخلفية أضيق ، كما أن هذا التضييق يشبه القناة العريضة المسطحة ، وتنفرج الشفتان فتشأ بسبب ذلك فتحة شبه بيضاوية ^(١).

ولعل هذه الأشكال الثلاثة توضح كيفية إنتاج هذه الحركات ودور اللسان والشفتين في ذلك . ويطلق العلماء على صوت الفتحة اسم : (صوت العلة المتسع) . بينما يطلقون على صوتي الضمة والكسرة اسم : (أصوات العلة الضيقة) . وذلك لأن الضمة والكسرة تتفقان في خاصية الضيق بالنسبة لمقدمة اللسان ومؤخرته عند الضمة ^(٢) وتبدو أهمية هذا التقسيم في إظهار ما يصيب هذه الأصوات كلها من تطور أو تغيير ، إذ إن من الملاحظ أن ما يصيب الضمة يجرى مثله في الغالب على صوت الكسرة . لأن كلا منهما من أصوات العلة الضيقة ، وعلى ذلك ليست الضمة عدوة للكسرة ، كما يتردد في بعض

(١) علم الصوتيات (د. عبد الله ربيع) ١٨٦ بتصرف .

(٢) انظر دراسات في علم الأصوات ١٢٥ الأصوات اللغوية ٤١ وعلم الأصوات ٢٣٢ .

كتب العربية ، بل هما من فصيلة واحدة . وذلك على العكس من صوت الفتحة الذي يعدّ قسيماً للضمه والكسرة ، له ظواهره وأحكامه الخاصة " (١)

وفى ضوء هذا يمكن فهم كلام الفراء فى معانيه : " إنما يستثقلون كسرة بعدها ضمة ، أو ضمة بعدها كسرة ، أو كسرتين متواليتين فإنما يستثقل الضم والكسر لأن لمخرجيهما منونة على اللسان والشفيتين ، تنضم الرفعة بهما فيثقل الضمة ، ويمال أحد الشدقين إلى الكسرة فتترى ذلك ثقيلًا ، والفتحة تخرج من خرق الضم بلا كلفة " (٢) .

إذ يبرز كلام الفراء وعيه بأن التقارب الذى يجمع بين الضمة والكسرة يجعل اجتماعهما مستثقلًا وكأنه من قبيل (كراهة توالى الأمثال) أو ما يشبه الأمثال ، ويؤيد ذلك أنه قال فى السياق نفسه : " أو كسرتين متواليتين أو ضمتين متواليتين " أي إنه سوى بين مجيء الضمة بعد الكسرة والعكس - ومجيء كسرتين أو ضمتين متواليتين فى الثقل كما أن إشارته إلى خفة حركة الفتحة إشارة ذات دلالة - لا تخفى - على أن مخرجها مختلف عن مخرج الضمة والكسرة ، وسهولة نطقها ، وهو ما أكده المحدثون حين وصفوا الفتحة بأنها صوت العلة المتسع .

وبسبب علاقة القربى بين الضمة والكسرة ، قال أبو زيد : " طُفْتُ فى عليا قيس وتميم مدة طويلة ، أسأل عن هذا الباب ، صغيرهم وكبيرهم ، لأعرف ما كان منه بالضم أولى ، وما كان منه بالكسر أولى فلم أعرف

(١) المدخل إلى علم اللغة ٩٤ ، وانظر الأصوات اللغوية ٤١-٤٢

(٢) معانى الفراء ١٢ / ٢ - ١٣ .



لذلك قياسا ، وإنما يتكلم به كل امرئٍ منهم على ما يستحسن ويستخف ،
لا على غير ذلك " (١)

ويقول ابن دُرستويه : " كل ما كان ماضيه من الأفعال الثلاثية على
فَعَلت ، بفتح العين ، ولم يكن ثانيه ولا ثالثه من حروف اللين ، ولا حروف
الحلق ، فإنه يجوز في مستقبله يفعل ، بضم العين ويفعل بكسرهما ، كقولنا :
ضَرَبَ يضرب ، وشَكَرَ يشكر ، وليس أحدهما أولى به من الآخر ، ولا فيه عند
العرب إلا الاستحسان والاستخفاف ، فمما جاء وقد استعمل فيه الوجهان
قولهم : ينقر وينقر ، ويشتم ويشتم ، فهذا يدلكم على جواز الوجهين فيه
وانهما شيء واحد ، لأن الضمة أخت الكسرة في الثقل " (٢)

وهكذا نرى أن إبدال الكسرة من الضمة والعكس أمر مستساغ ، وتبرره
القوانين الصوتية ولا خلاف حول ذلك (٣) ، إذ يرى برجشتراسر أن الضمة
والكسرة كانتا في الأصل حركة واحدة (٤)

ويقول الدكتور رمضان عبد التواب : " وهكذا نرى القرابة بين الضمة
والكسرة ، هي السبب في جواز وقوع إحداها مكان الأخرى في عين المضارع ،
ولذلك كانت القبائل العربية القديمة لا تثبت على حال واحدة ، في ضبط
عين المضارع بواحدة منهما " (٥)

(١) تصحيح الفصح وشرحه لابن درستويه (تحقيق د. المختون) ٣٦ .

(٢) تصحيح الفصح (المختون) ٣٣ .

(٣) ظاهرة الإبدال في العربية ١٢٧ .

(٤) التطور النحوي ٥٤

(٥) المدخل إلى علم اللغة ٩٥

ويشير أيضا إلى ما يؤكد كلام برجستراسر فيقول : " ولهذه العلاقة القوية بين هاتين الحركتين : الضمة والكسرة تطورت كل واحدة منهما في الجعزية - وهى الحبشية القديمة - إلى الكسرة المحالة (e) ، مما يدل على أنهما كانتا فى أذن الحبشي شيئا واحداً ، أو كالشيء الواحد " (١)

ولذا فسوف أقوم إن شاء الله - بجمع ما أورده أصحاب المعانى من ذلك الإبدال بين الضمة والكسرة أو العكس ، غير ملتفت إلى ما صنعه بعض الباحثين المعاصرين (٢) من جمعهم بعض الكلمات التى رويت بالفتحة مرة وبالكسرة أو الضمة مرة أخرى تحت باب الإبدال إذ أرى أنه لا علاقة صوتية تبرر ما فعلوه ، إذ لا يمكن أن تتحول الفتحة إلى الكسرة أو إلى الضمة مباشرة ، بل لابد من وجود مراحل وسطى بين هذه الأنواع من الإبدال ، ولا سبيل لنا إلى تتبع تلك المراحل فى كتب المعانى ، وعلى ذلك أرى أن ما جمعه من هذا الصدد يدخل فى باب الترادف لا الإبدال ، إذ كل كلمة - أنثذ - أصل مستقل بذاته .

(١) السابق ٩٦

(٢) ومنهم الدكتور صبرى القلش فى رسالته : (الظواهر اللغوية فى معانى القرآن للأخفش)



نماذج الإبدال بين الضمة والكسرة

في كتب المعاني

أولاً: الأسماء :

١ - الحمد - الحمد

تناول كثير من أهل المعاني هذه الكلمة وذكرها ما فيها من قراءات ولفات وأشار بعضهم إلى السبب في إبدال الضمة كسرة ، ومن أوائل من تناولها الأخفش حيث يقول ^(١) : " وقد قال بعض العرب : " الحمد لله " فكسره ، وذلك أنه جعله بمنزلة الأسماء التي ليست بمتكئة ، وذلك أن الأسماء التي ليست بمتكئة تحرك أواخرها حركة واحدة " وهذا التفسير قريب مما ذكره الفراء حيث يقول ^(٢) " وأما من خفض الدال من (الحمد) فإن قال هذه كلمة كثرت على السن العرب حتى صارت كالاسم الواحد ، فثقل عليهم أن يجتمع في اسم واحد من كلامهم ضمة بعدها كسرة أو كسرة بعدها ضمة ، ووجد الكسرتين قد تجتمعان في الاسم الواحد مثل (إبل) فكسروا الدال ليكون على المثال من اسمائهم " وقد رفض الزجاج هذا كله وقال ^(٣) : وهذه لغة من لا يلتفت إليه ولا يتشاغل بالرواية عنه ، وإنما تشاغلنا نحن برواية هذا الحرف ؛ لنحذر الناس من أن يستعملوه ، أو يظن جاهل أنه أن يجوز في كتاب الله عز وجل ، أو في كلام ، ولم يأت لهذا نظير في كلام العرب ، ولا وجه له " .

(١) معاني الأخفش ٩/١ .

(٢) معاني الفراء ٣/١ .

(٣) معاني الزجاج ٤٥/١ .

وقد رد الفارسي في الإغفال على استاذة الزجاج ، ويرر هذه اللغة بتفسير صوتي صحيح فقال^(١) : ".... وذلك ان الذي يكسر الدال من (الحمد لله) إنما يكسره من أجل ما بعدها من الكسرة "

٢ - عليهم - عليهم

اشار كثير من اهل المعاني إلى هذا الإبدال بين كسرة الهاء وضممتها في قوله تعالى : ﴿ أَهْدِنَا آلْصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (الفاتحة ٦/١) وعلي رأسهم الفراء الذي عقد مبحثاً صوتياً عميقاً في هذه المسألة ، جاء فيه^(٢) : ".... وهما لغتان ؛ لكل لغة مذهب في العربية ، فأما من رفع الهاء فإنه يقول : أصلها رفع في نصبها وخفضها ورفعا ؛ فأما الرفع فقولهم : (هم قالوا ذاك) في الابتداء ، والنصب في قولك : (ضريهم) ... فنتركت في (عليهم) علي جهتها الأولى ، وأما من قال : (عليهم) فإنه استثقل الضمة في الهاء وقبلها ياء ساكنة ؛ فقال (عليهم) لكثرة دور المكني في الكلام ، وكذلك يفعلون بها إذا اتصلت بحرف مكسور مثل (بهم) و(بهم) يجوز فيه الوجهان مع الكسرة والياء الساكنة... ؛ فإذا انفتح ما قبل الياء فصارت الـياء في اللفظ لم يجز في (هم) إلا الرفع ؛ مثل قوله تعالى : ﴿ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ ﴾ (يونس ٣٠/١) ."

وقد تحدث الزجاج أيضاً عن هذا الإبدال فقال^(٣) ".... وعلي هاتين اللغتين معظم القراء... فأما قولهم : (عليهم) فأصل الهاء فيما وضعنا ان تكون معها ضمة ، إلا أن الواو قد سقطت ، وإنما تكسر الهاء للياء التي قبلها ،

(١) الإغفال ١/١٩٩ .

(٢) معاني الفراء ١/٥٠ .

(٣) معاني الزجاج ١/٥٠ .



وإنما يكون ما قبل ميم الإضمار مضموماً ، فإنما أتت هذه الضمة ليم الإضمار ، وقلبت كسرة للياء " .

وهكذا نرى أن الضراء فسّر ضم الهاء في (عليهم) بأنها مضمومة في حالتها الرفع والنصب ، أي أنه أراد أن يطرد الباب علي وتيرة واحدة ، وفسّر كسر الهاء بأنه تأثر بالياء التي قبلها ولم يُجز في (مولاها) إلا ضم الهاء لأنه لو كسرهما لما أمكن نطق الألف إلا بإمالة نحو الكسر - فيما يبدو .

أما الزجّاج فإنه افترض أن الأصل (عليهمو) وذكر في ذلك كلاماً طويلاً اختصرته هنا ؛ لأن بعضه يغني عن بعض ، فمن ضم الهاء فتأثراً -- عنده - بميم الإضمار المضمومة ، ومن كسرهما ، فتأثراً بالياء قبلها .

فكلا الرجلين اجتهد وحاول أن يفسر هذا الإبدال ، وتلمّس له أسباباً صوتية معقولة ومقبولة ، غير أن حمزة - رضي الله عنه - فيما نقله عنه صاحب (الكشف في نكت المعاني) يرفض ما ذهب إليه الضراء والزجّاج من أن الكسر في (عليهم) لأجل الياء ، ويقول^(١) : " هذه الهاء لا ينبغي أن تكسر لأجل الياء في (عليهم) ؛ لأن الأصل في عليهم : علاهم ، ألا ترى أنك تقول : على زيد ؟ وكذلك لديهم أصله : لداهم ؛ لأنك تقول : لدى زيد ... فأصل هذه الياءات الفات ؛ لأنها مع المظهر بالألف ، وقلبت ياء مع المضمّر ؛ لأنها كلمات مبنية ، ففرق بينها وبين الأسماء المتمكنة ، نحو (عصاهم وفتاهم) وإذا كان أصل الياء الألف لم يجب كسرهما ، كما لا يجب كسرهما في (عصاهم وفتاهم) "

وواضح أن الخلاف هنا منهجي^٢ ؛ فالضراء والزجّاج يعالجان الظاهرة بالمنهج الوصفي ، وهو هنا يتمثل في التفسير الوصفي للواقع النطقي ، وليس

(١) الكشف ١٧٠ .

لما كان عليه الأصل ، وفقاً للمنهج التاريخي الذي يريده حمزة - رضي الله عنه - كما ان ابا عمرو بن العلاء - رحمه الله - رفض ما عدّه الزجاج اصلاً : فقال فيما رواه عنه صاحب الكشف أيضاً : " لا ينبغي ان يوصل الميم بالواو ؛ لأنه ليس في الأسماء المتمكنة اسم آخره واو ساكنة مضموم ما قبلها " (١)

اما الأزهري فقد ذكر في (معاني القراءات) ما ورد من قراءات في هذه الكلمة ، فقال : (٢) " قرأ حمزة ويعقوب (عليهم) ... والباقون من القراء يكسرون الهاء ويسكنون الميم إلا ابن كثير فإنه يصل الميم بواو في اللفظ ويكسر الهاء " (٣) وقد ذكر الأزهري أيضاً رأي حمزة وأبي عمرو ، وقد مر ذلك بنا فيما مضى . اما أبو بكر بن إدريس فقد ذكر في كتاب (المختار في معاني قراءات أهل الأمصار) جميع القراءات الواردة في هذا الموضع ، وفسرها بما يشبه كلام الفراء (٤)

٣ - أم - إم

حكى الفراء الوجهين في ضم همزة (أم) وكسرها ثم قال (٥) " فمن رفع قال : الرفع هو الأصل في الأم والأمهات ، ومن كسر قال : هي كثيرة المجرى في الكلام ؛ فاستثقل ضمة قبلها ياء ساكنة أو كسرة... فإذا انفتح ما قبلها فقلت : فلان عند أمه ، لم يجز أن تقول : عند أمه ، وكذلك إذا كان ما

(١) الكشف ١٧١/١ - ١٧٠

(٢) معاني القراءات ١١٢/١

(٣) النظر معجم القراءات ٢٠/١

(٤) النظر : المختار في معاني قراءات أهل الأمصار ل ١

(٥) معاني الفراء ٦-٥/١



قبلها مضموماً لم يجرز كسرهما : فتقول : اتبعت أمه ، ولا يجوز الكسر ، وكذلك إذا كان ما قبلها حرفاً مجزوماً لم يكن فى الأم إلا ضم الألف ، كقولك : من أمه ، وعن أمه " وفى تفسيره لقوله تعالى ﴿ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ﴾ (النساء ١١/٤) قال الزجاج ^(١) تقرا بضم الهمزة وهى أكثر القراءات ، وتقرا بالكسرة " فلإمه " ، فاما إذا كان قبل الهمزة غير كسر : فالضم لا غير ... وإنما جاز (لإمه) : لأن قبل الهمزة كسرة فلما اختلطت اللام بالاسم شبه بالكلمة الواحدة ، فأبدل الضم كسرة.... " وهو اختصار لكلام الفراء مع إضافة مصطلح الإبدال .

وأما أبو منصور الأزهري : فقد ذكر أن حمزة والكسائي قرأ بكسر الهمزة وقرأ الباقون بضمها ، ثم فسّر ذلك تفسيراً صوتياً طيباً فقال ^(٢) : من قرأ (فلإمه) فإلتباع الكسرة الكسرة ، لأن لام الملك قبل همزة (أمه) مكسورة ... وأما قوله : ﴿ مِّنْ بُطُونٍ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ (النحل ٧٨/١٦) فإن الكسائي فتح الميم لأنه كره توالى الكسرات ، وأما حمزة فإنه كسر الميم أيضاً لمجاورتها المكسور ، وقول الكسائي اجود القولين ^(٣) .

ولم يخرج جامع العلوم النحوى فى الكشف عما قرره هؤلاء الأئمة لكنه أضاف شاهداً شعرياً من الشواهد غير المنسوبة فى كتاب سيبويه حيث يقول ^(٤) : " وإذا جاز ما حكاه سيبويه من قوله م : [الطويل]

(١) معانى الزجاج ٢٣/٢ .

(٢) معانى القراءات ٢٩٤/١ .

(٣) وانظر أيضاً معجم القراءات ٢٨/٢ .

(٤) الكشف ٣٧١/١ .

..... اضْرِبِ السَّاقَيْنِ إِمَّاكَ هَابِلُ (١)

فكسر الهمزة لمجاورة كسرة النون من (الساقين) ، وإحدى الكلمتين منفصلة عن الأخرى ، فلأن يجوز كسر الهمزة من (فلأمه) . مع ان اللام لا ينوى به الانفصال من المجرور . كان أولى وأحرى ."

٤ - حَلِيهِمْ - حَلِيهِمْ

جاء عند الأخفش في معانيه (٢) : " وأما قوله : ﴿ مِنْ حَلِيهِمْ ﴾ (لأعراف ١٤٨/٧) بضم الحاء : فإنه (فُعول) ؛ وهى جماعة (الحلى) ؛ ومن قال : " حليهم " فى اللغة الأخرى : لكان الياء ، كما قالوا : قَسَى وَعَصَى " ، وقال الزجاج : " ومن قرأ : " من حليهم " بضم الحاء ، فهو جمع حلى ، على حلى ، مثل : حَقَّوْ حَقَّى ، ومن كسر الحاء ؛ فقال : من حليهم ، اتبع الحاء كسرة اللام " (٣) .

وقد أورد أبو منصور الأزهرى القراءتين السابقتين فى معانيه ، وفسرهما صوتياً بتفسير لا يكاد يختلف عما ذكره الأخفش والزجاج ، فقال (١) : " وقرأ الباقون : " من حليهم " بكسر الحاء والتشديد ، وقرأ الحضري : " من حليهم " وقرأ الباقون : " من حليهم " بضم الحاء مشدداً ، ... من قرأ " من حليهم " فهو

(١) بداية المعز : (قال اضرب...) ، أما صدره فغير معروف ، وهو من شواهد سيبويه فى

الكتاب ١٤٦/٤ ، والقرطبي ١٣٦/١ والخصال ١٤٧/٢ و ١٤٣/٣ . ولله اختلاف

فى الرواية ، وهو مجهول النسبة .

(٢) معاني الأخفش ٣٣٨/١ .

(٣) معاني الزجاج ٤٢٣/١ .

(٤) معاني القراءات ٤٢٣/١ .



واحد ، ويجمع : حُلِيًّا وحَلِيًّا ، والأصل فيهما الضم لأنه جمع على فعول ، ومن كسر الحاء ؛ فإلتباعه الكسرة التي في اللام والياء " (١) .

٥ - العُدوة - العُدوة

جاء في معاني الأخفش (٢) : " وقال ﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا ﴾ (الأنفال

٤٢/٨) وقال بعضهم : " بالعُدوة " وبها نقرأ ، وهما لغتان " وبهذا الاختصار اخذ الزجاج أيضاً ، فقال (٣) : " والعدوة شفير الوادي ، يقال : عدوة ، وعدوة .. " .

وهذه الكلمة من المثلثات عند بيان الحق النيسابوري إذ يقول : " العدوة : شفير الوادي ، بضم العين وكسرها وفتحها " (٤) وهي كذلك عند الفيروزبادي في (الدرر المبثثة في الغرر المثلثة) (٥) .

وكعادته ذكر أبو منصور الأزهرى القراءات في الكلمة فقال (٦) : " قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب : (بالعدوة) بالكسر ، وقرأ الباقر بضم العين ، قال أبو منصور : هما لغتان : عدوة الوادي وعدوته : جانبه " ولم يزد جامع العلوم النحوي على أن قال : " والعدوة والعدوة لغتان " (٧) .

(١) انظر هذه القراءات في معجم القراءات ١٦٢/٣ .

(٢) معاني الأخفش ٣٥٠/١ .

(٣) معاني الزجاج ٤١٧/٢ .

(٤) باهر البرهان ٥٦٨/١ .

(٥) الدرر المبثثة ٩٣ .

(٦) معاني القراءات ٤٤٠/١ .

(٧) الكشف ٤٩٢/١ .

ذكر الضراء عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَكَانًا سُوًى﴾ (طه ٥٨/٢٠) قراءة أخرى بكسر السين فقال: "وقوله "مكانًا سؤى" وسؤى.... والكسر والضم بالقصر عريبان، ولا يكونان إلا مقصورين، وقد قرئ بهما" (١).

وجاء عند الزجاج (٢): "وتقرأ: سؤى، بالضم، ومعناه: مَنْصَفًا، أي مكانًا يكون النصف فيما بيننا وبينك، وقد جاء في اللغة (سواء) في هذا المعنى.... ولكن لم يُقرأ إلا بالقصر: سؤى وسؤى".

واقتصر بيان الحق النيسابوري في تعليقه على هذه الكلمة فقال: (٣) "بكسر السين وضمها، هو المكان النصف بين الفريقين، تستوي مسافته عليهما".

أما الأزهرى فقد ذكر القراءات كعاداته فقال (٤): "قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي (سؤى) بكسر السين، وقرأ الباؤون، بضم السين" ثم نقل الأزهرى كلام الضراء السابق، كما نقل كلاماً للأخفش في هذا الموضوع ليس في معانيه، لكنني وجدته في تفسير القرطبي، وهو قوله: "سؤى وسؤى: هو المكان النصف بين الفريقين" (٥).

(١) معاني الضراء ١٨١/٢.

(٢) معاني الزجاج ٣٦٠/٣.

(٣) باهر البرهان ٩٠٧/٢.

(٤) معاني القراءات ١٤٦/٢.

(٥) النظر في تفسير القرطبي ٢١٢/١١.

ثانياً: الإبدال في الأفعال

٧ - سَفَهُ - سَفُهُ :

في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ (البقرة: ١٣٠/٢) ذكر الأخفش كثيراً من الأراء في معني (سفهه) ، ثم قال: ^(١) "..... واحسن ذلك ان تقول: ان (سفهه نفسه) جرت مجرى (سفه) إذ كان الفعل غير متعد، وإنما عداه إلى نفسه، ورأيه، واشباه ذا مما هو في المعني..."

وقد انتهى الزجاج إلى ما انتهى إليه الأخفش ، بعد ان ذكر كثيراً من الأراء ونقدها ، حيث يقول ^(٢) : " ان (سفهه نفسه) بمعنى : سفهه في نفسه . إلا ان (في) حذفت ، كما حذف حروف الجر في غير موضع " وقد ثقل النيسابوري في (باهر البرهان) قول ابن الأعرابي ^(٣) : "سفه الرجل يسفه سفاهة وسفاهاً إذا جهل ، وسفه نفسه يسفهها إذا جهلها " ورجح هذا المعنى ، وكان مما استشهد به قول الفرزدق : [الكامل]

هَيْهَاتَ قَدْ سَفِهَتْ أُمِّيَّةُ رَأْيَهَا فَاسْتَجْهَلَتْ حُلَمَاؤُهَا سَفَهَاؤُهَا ^(٤)

(١) معاني الأخفش ١/١٥٧

(٢) معاني الزجاج ١/٢٠٩ .

(٣) باهر البرهان ١/١٤٠ .

(٤) البيت - باختلاف في بعض ألفاظه - في مجالس ثعلب ١ / ٥٧ والصاهل والشاحج لأبي العلاء ٦٣١ ، وطبقات فحول الشعراء ٣٦٥ ، وقيل في رفع (سفهها حلماتها) - والعكس - أقوال ، منها أن استجهلت كلام تام ، ثم يكون الكلام بعدها مبتدأ وخيراً ، وانظر تعليق العلامة محمود شاكر في هامش الطبقات ولم أجد البيت في ديوان الفرزدق

وهكذا نرى أن ما رجّحه علماء المعاني أن (سفه) بمعنى (سفه)، وعلى هذا رجحت أن يكون ما بين الكلمتين من تغير في حركة عين الفعل من قبيل الإبدال ليس غير، وهو كثير في عين الأفعال . بخاصة - كما مر بنا من قبل.

٨ - يَعْرِشُ - يَعْرِشُ

ذكر الأخفش عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾

(لأعراف ١٣٧/٧)

مجموعة من الأفعال التي وقع فيها الإبدال بين الضمة والكسرة : حيث قال ^(١) : " وقال : " وما كانوا يعرشون " و: (يعرشون) لغتان ، وكذلك : (نبطش ونبطش) ^(٢) ، و(يحشر ويحشر) و(يعكف ويعكف) و(ينفر وينفر) .

وجاء في معاني الزجاج : " .. يقال : عرش يعرش ويعرش ، إذا هو بنى " ^(٣)

وقد ذكر أبو منصور الأزهري القراءات في هذا الموضع فقال ^(٤) : " قرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم : (يعرشون) بضم الراء ، وفي النحل مثله ، وكسر الباقيون في السورتين ^(٥) ، قال أبو منصور : هما لغتان معروفتان "

وذكر الكرمانى هذا الإبدال أيضاً ، وأشار لمن قرأ بالصيغتين ، ثم قال : " وهما لغتان " ^(٦)

(١) معاني الأخفش ٣٣٥/١ .

(٢) الآية ١٦ وفيها قراءات كثيرة ، راجعها في معجم القراءات ٤٢٤/٨ ،

(٣) معاني الزجاج ٣٧١/٢ .

(٤) معاني القراءات ٤٢١/١ .

(٥) النظر تفصيل هذا في معجم القراءات ١٤٥/٣ .

(٦) مفاتيح الأغاني ٢٤٢ .

٩ - يعكفون - يعكفون

مرَبنا قول الأَخفش في الموضوع السابق : (و) يعكف ويعكف) " في جملة الأمثلة التي ذكرها . وفي قوله تعالى : " يعكفون على أصنام لهم " ، قال الزجاج : " يقال لكل من لزم شيئاً وواظب عليه : عكف يعكف ، ويعكف ، ومن هذا قيل للملازم للمسجد معتكف " ^(١)

وبعد أن ذكر القراءات في " يعرشون " قال الأزهري ^(٢) : " ومثله : يعكفون ، قرأ حمزة والكسائي : (يعكفون) بكسر الكاف ، وكذلك روى عبد الوارث عن أبي عمرو ، وقرأ الباقون (يعكفون) ^(٣) وأشار الكرمانى إلى ذلك الإبدال أيضاً ^(٤) .

١٠ - يلمزك - يلمزك

جاء هذا الإبدال عند الأَخفش في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمُزُكَ ﴾ (التوبة ٥٨ / ٩) حيث قال ^(٥) : " وقال بعضهم : " يلمزك " وكذلك فعل الزجاج إذا قال : " وتقرأ : (يلمزونك) ، يقال : لمرت الرجل المزة ، بكسر الميم ، والمزة بضم الميم إذا عبته " ^(٦) .

وليس هناك قراءة بهذا اللفظ (يلمزونك) فلعل هذا وهم من أحد الأطراف الثلاثة (المؤلف أو الناسخ أو المحقق) ، ولذا قال الدكتور عبد

(١) معاني الزجاج ٣٧١/٢

(٢) معاني القراءات ٤٢١/١

(٣) النظر معجم القراءات ١٤٦/٣ .

(٤) مفاتيح الأغاني ٢٤٢ .

(٥) معاني الأَخفش ٣٦٠/١ .

(٦) معاني الزجاج ٤٥٥/٢ ، وانظر أيضاً ٤٦٢/٢ .

للطيف الخطيب : " قلت لعله اراد : (يلمزُون) ، وهى الآية ٧٩ من هذه السورة ، وهى بعد - قراءة ابن كثير واهل مكة " (١) .

وكعادته ذكر الأزهرى القراءات فى الكلمة فقال : " قرأ يعقوب : (يلمزك) ، و(الذين يلمزُون) (٢) ، و(لا تلمزوا) (٣) كله بضم الميم ، وقرأ الآخرون بكسر الميم فى كل هذا ، إلا ما روى محمد بن صالح عن شبل عن ابن كثير (يلمزك) ، و(يلمزُون) بضم الميم ... قال أبو منصور : هما لغتان : لمزه يلمزه ويلمزه ، إذا عابه " (٤) .

١١ - انشزوا - انشزوا

وقد جاء ذلك عند الضراء فى تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ انشزوا فَانشزوا ﴾ (المجادلة ١١/٥٨) حيث قال (٥) : " قرأ الناس بكسر الشين ، واهل الحجاز يرفعونها ، وهما لغتان ، كقولك : (يعكفون) و(يعفكون) ، و(يعرشون) و(يعرشون) " .

وكذلك جاء عند الزجاج فى تفسيره لهذه الآية ، حيث يقول (٦) " ... ويجوز (انشزوا) و(انشزوا) (٧) ، جميعاً يقرأ بهما ، ويرويان عن العرب

(١) معجم القراءات ٤١٠/٣ (هامش) .

(٢) انظر القراءات فى هذا الموضوع والذى سبق فى معجم القراءات ٤٠٩/٣ و ٤٢٩ .

(٣) الحجات ١١/٤٩ ، وانظر القراءات فيها فى معجم القراءات ٨٥/٩ .

(٤) معاني القراءات ٤٥٥/١ - ٤٥٦ .

(٥) معاني القراءات ١٤١/٣ .

(٦) معاني الزجاج ١٣٩/٥ .

(٧) هناك تصحيف فى معاني الزجاج المطبوع فى هذا الموضوع ، والصواب ما أثبت ؛ لأنه الذى

يقتضيه السياق من جهة ولأنه ليست هناك قراءة بالراء المهملة من جهة أخرى ؛ انظر

معجم القراءات ٣٧٤/٩ .

نشز ينشز وينشز "

وأما القراءات ، فقد ذكرها الأزهرى فى معانيه فقال : " قرأ نافع وابن عامر وعاصم... بضم الشين ، وقرأ الباقون بكسر الشين^(١) " وأضاف الأزهرى : " هما لغتان ، يقال : نشز ينشز وينشز ، إذا نهض^(٢) "

أنصاف الحركات *Semi-vowels*^(٣)

بين الياء والواو :

ذكر الأخفش مثالا لهذا الإبدال فقال^(٤) : " وذلك أن الأسماء التى ليست بمتكئة تُحرّك أواخرها حركة واحدة ؛ لا تزول علتها نحو : حيث ؛ جعلها بعض العرب مضمومة على كل حال ، وبعضهم يقول : (حيث) و(حوث) ؛ ضمّ وفتح "

وقال الزجاج فى تفسيره^(٥) : ﴿ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ (الأعراف ٢٧/٧) : " ... ومن العرب من يقول : (ومن حيث خرجت)^(٥) فيفتح لالتقاء الساكنين ،

(١) معاني القراءات ٦١/٣ .

(٢) معاني القراءات ٦١/٣ .

(*) مصطلح (*Semi vowels*) استخدمه الدكتور أنيس فى الأصوات اللغوية ٤٢ ، واستخدم الدكتور السعران مصطلح (أشبهاء الصوائت) فى علم اللغة ١٧٩ ، واستعمل الدكتور مختار عمر مصطلح (أنصاف العلل) فى دراسة الصوت اللغوى ٢٦٧ ، ولكفى آثرت مصطلح (أنصاف الحركات) الذى رجحه الدكتور كمال بشر فى كتابه علم الأصوات ٣٦٨ لأنها تسمية قديمة .

(٣) معاني الأخفش ٩/١

(٤) معاني الزجاج ٣٢٩/٢٤ .

(٥) القراءة بفتح الثاء (حيث) قرأ بها عبد الله بن عمر ، والباقون بالضم ، وانظر البحر

٤٣٩/١ ومعجم القراءات ٢١٤/١

ومنهم من يقول (من حوث خرجت) ، ولا تقرا بهاتين اللغتين ، لأنهما لم يُقرأ بواحد منهما ، ولا هما في جودة حيث المبنية على الضم "

وقد نقل أبو على الفارسي في كتابه (الإغفال) كلام الزجاج في هذا الموضوع ، وهو قوله : " ... ومنهم من يقول : (من حوث) " ^(١) ثم لم يعلق عليه بشيء ، بما يعني أنه يرتضيه ، ويسلم به .

مسوّغ الإبدال :

الواو والياء غير المديتين صوتان أقرب إلى الحركات في صفتها من حيث النطق الصرف ، ولكنهما في التركيب الصوتي للغة يهلكان مسلك الأصوات الصامتة. ^(٢)

وتنطق الواو كما تنطق الضمة في بدايتها ، بأن تتخذ أعضاء النطق الوضع المناسب لنطق الضمة ؛ ثم تترك هذا الوضع بسرعة إلى حركة أخرى ، وتضم الشفتان ، ويسدّ الطريق إلى الأنف برفع الحنك اللين ، ويتذبذب الوتران الصوتيان ، فالواو إذن صوت صامت (نصف حركة) من أقصى اللسان ، مجهور مرهق ويسميه كثير من اللغويين (شفوي) ؛ لأن الشفتين تنضمان عند النطق به .

أما الياء فصوت ينطق كما تنطق بدايات الكسرة ؛ ثم تترك أعضاء النطق هذا الوضع بسرعة إلى حركة أخرى ، ويتجه أوسط اللسان نحو وسط الحنك ، وتنفرج الشفتان ويسدّ الطريق إلى الأنف ، وتتذبذب الأوتار الصوتية ، فالياء صوت صامت (نصف حركة) حنكى وسيط مجهور مرهق ^(٣) ، ويضمه

(١) الإغفال

(٢) انظر علم الأصوات ٣٦٨

(٣) نفسه ٣٦٩ وانظر دراسات في علم الأصوات ٧٤-٧٥ وعلم اللغة الذكور السمران ١٨٠



المحدثون إلى الجيم الفصيحة والشين ، ويُطلقون عليها الأصوات الغارية^(١) ،
بينما يُطلق عليها القدماء (الحروف الشجرية) .

وبهذا يتضح أن الواو والياء يجمعهما أنهما من أنصاف الحركات ،
متقاربان في المخرج ، ومتفقان في الجهر والترقيق .

وبسبب هذه العلاقة الصوتية ساغ الإبدال بينهما في هذه الكلمة ،
حيث نطقت بالواو بعض القبائل^(٢) ، وبالياء بعضها^(٣) ، وتوسع أبو الطيب
اللغوي^(٤) في ذكر أمثلة لهذا الإبدال في بداية الكلمة ، ووسطها وآخرها ،
كما جمع الزجاجي^(٥) عددًا كبيراً في الفصل الذي عقده للإبدال بين الواو
والياء ، واتفقت كلمة اللغويين القدامى ، على ذكر (حوث) و(حيث) كأبرز
نموذج لهذه الظاهرة^(٦) .



(١) انظر المدخل إلى علم اللغة ٥٠-٥١ .

(٢) ومنها طيء و قبائل أسد ونجد كما في اللهجات العربية في التراث ٤٠٦/١ ، وهي قبائل
بدوية

(٣) رجح الدكتور ضاحي أن تميم آثرت الياء على الواو ، انظر لغة تميم ١٧٨ ، إلى جانب
القبائل الحضرية .

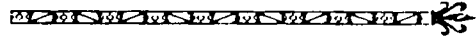
(٤) انظر الإبدال لأبي الطيب ٤٦٣/٢-٥٢٠ .

(٥) انظر الإبدال للزجاجي ٥٧-٦٠ .

(٦) انظر على سبيل المثال : التهذيب (حيث) ٢١٠/٥ ، واللسان (حوث) ١٣٩/٢ دار
صادر ، والقاموس المحيط (الحوث) ١٦٤/١ . وقد عقد ابن السكيت في كتابه (إصلاح
المنطق) بابين : أولهما : " ما يقال بالياء والواو من ذوات الثلاثة " وثانيهما : " وما يقال
بالياء والواو من ذوات الأربعة " انظر الإصلاح ١٣٥-١٤٤ ولكنه لم يتحدث عن هذا
الإبدال في كتابه عن الإبدال .

الفصل الثاني

المماثلة الصوتية والإدغام



المماثلة الصوتية

مفهوم المماثلة الصوتية

تدرج المماثلة عند الدراسة اللغوية التاريخية للغة ضمن التغيرات التركيبية، ويقصد بها عند المحدثين من علماء العربية ما يطلق عليه عند الغربيين Assimilation والمماثلة - وكذلك المخالفة - تحدث نتيجة تآثر الأصوات اللغوية المتجاورة بعضها ببعض عندما تتركب الأصوات في كلمات وجمل^(١).

تعريفها :

يمكن أن نعرف المماثلة بأنها تعني : " تغير أحد الصوتين غير المتماثلين المتجاورين في كلمة من الكلمات إلى صوت يماثل مجاوره، وذلك بتأثير صوت ثالث مجاور لأحدهما "

ومن أمثلة ذلك التغير قول بعض العرب : " قرأ فما تلعثم وما تلعدم"^(٢)، وقولهم : " جتوت وجثوت"^(٣) للقيام على أطراف الأصابع، ففي المثال الأول نجد الاختلاف بين الكلمتين (تلعثم وتلعدم) ينحصر في صوتي الثاء والذال، وكلاهما أسناني رخو، إلا أن الثاء مهموسة والذال مجهورة، وحين نتفحص الجيم والواو نجد أنهما صوتان مجهوران قد حصرا بينهما

(١) انظر في ظاهرة المماثلة - على سبيل المثال:

A Dictionary of linguistics and phonetics ,p 28

والتطور النحوي للغة العربية لبرجستراسر ٢٨ ، واللغة لفندريس ٨٣ ، وانظر أيضاً :

Introductory linguistic, pp 214-218-317 .

(٢) الإبدال لابن السكيت ١٠٨ . ٤ - نفسه ١٠٨

(٣) نفسه ١٠٨

صوتاً مهموساً هو الناء ، فأثراً عليه لتتماثل الأصوات الثلاثة في الجهر ، فتحوّلت الناء المهموسة إلى مقابلها من نفس المخرج - المجهور . وهذا يعني أنه طبقاً لقانون المماثلة قد تتغير مخارج بعض الأصوات أو تتغير صفات بعضها ، مثل الجهر والهمس ، والتفخيم والترقيق ، والشدة والتوسط والرخاوة ، نتيجة وجود صوتين مختلفين متجاورين في نسق صوتي ما .

بين الإدغام والمماثلة الصوتية :

إذا كان فريق من العلماء المحدثين يرى أن الإدغام والمماثلة الصوتية مصطلحان مترادفان فإن فريقاً آخر يفرق بينهما ، ومن هؤلاء الدكتور محمود فهمي حجازي ، إذ يقول : " ... ومثل هذا اللبس قائم أيضاً عند استخدام كلمة إدغام ؛ فدلالته في التراث تجعلها للتعبير عن تغير صوتي ينتج عنه صوت مشدد ، مثل : اصْبِرْ واتَّصل ، أما مصطلح Assimilation فلا يقتصر على ما سبق ، ولكنه يفيد تحول صوتين مختلفين نسبياً إلى صوتين متقاربين نسبياً أو متماثلين ، مثل تحول الصيغة القياسية المفترضة ازتھر إلى ازدهر ، وهذا التغير لم يصفه نحاة العرب بأنه إدغام ؛ ولكنه مما نعبر عنه بالمماثل أو المماثلة ، ولهذا لا يجوز خلط مفهومين مختلفين في مصطلح واحد " (١) .

ومع أنني أميل إلى ما قاله الدكتور حجازي إجمالاً ، لكنني وجدت من نحاة العرب من وصف التحول من صيغة ازتھر إلى ازدهر بأنه إدغام ؛ فإن ابن جني وهو من أكابر نحاة العرب عقد باباً في كتابه الخصائص ، تكلم فيه عن هذه الظاهرة ، سماه : باب الإدغام الأصغر ، وعرفه بأنه : " تقريب الحرف من

(١) الأسس اللغوية لعلم المصطلح ٢٢٢ .

الحرف وإدناؤه منه من غير إدغام يكون هناك... " (١) وقد ضرب لذلك بعض الأمثلة ، إذ يقول : " ... ومن ذلك تقع السين قبل الحرف المستعلي ، فتقرب منها بقلبيها صاداً... وذلك كقولهم في سقت ، صبقت ، وفي السوق : الصوق ، وفي سبقت : صبقت... ومنه تقريب الحرف من الحرف ، نحو قولهم في مصدر : مزدر ، وفي التصدير : التزدير ، وعليه قول العرب في المثل . (لم يحرم من فزد له) أصله فصد له " (٢) . وقد تحدث الدكتور عبد الصبور شاهين عن العلاقة بين المماثلة والإدغام فقال : أما علاقة المماثلة بالإدغام الاصطلاحي . فمن الواضح أنها أعم من وجه ، من حيث كانت شاملة لكل حالات التأثير ، في حين نجده - الإدغام - مقتصرًا على حالة الاندماج الصوتي الكامل ، وحيث يفقد الصوت المتأثر وجوده فقداناً كاملاً ، كما أن الإدغام الاصطلاحي شامل حالة التضعيف... وهي لا تدخل في نطاق مفهوم المماثلة ، وإذا شئنا تحديد العلاقة من الوجهة المنطقية قلنا : إن بينهما على هذا الأساس عمومًا وخصوصًا ، من وجه يجتمعان في حالة التفاعل الصوتي الكامل ، وتنفرد المماثلة بحالات التأثير الناقص ، وينفرد الإدغام بحالة التضعيف " (٣) .

ويفهم من هذا الكلام وأشباهه مما كتبه المحدثون (٤) أن تأثر الأصوات بعضها ببعض على درجات ، فتارة يكون التأثير جزئيًا يفقد فيه الصوت بعض صفاته ، أو يعتريه تغيير في مخرجه ، وتارة يكون التأثير كليًا يتغير فيه الصوت تغيرًا جذريًا ، وتصل الغاية مداها بإدغامه في صوت آخر ، فالإدغام إذن هو أقصى درجات المماثلة.

(١) الخصائص ١٣٩/٢ .

(٢) الخصائص ١٣٩/٢ - ١٤٥ .

(٣) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ٢٣٦ .

(٤) انظر علي سبيل المثال : علم الأصوات للمبرج ١٤١ - ١٤٤ والنظور اللغوي لأستاذنا

الدكتور رمضان عبد التواب ٢٢ - ٣٦ ، ودراسة الصوت اللغوي للدكتور أحمد مختار

عمر ٣٢٢ - ٣٢٩ .

سبب التماثل :

يتبادر إلى الذهن سؤال مهم ، وهو : ما السبب وراء تغير الصوت إلى صوت آخر ليمائل لصيقه؟ ولماذا يتغير أحد الصوتين في بعض الكلمات ، ولا يتغير في الكلمات الأخرى؟ يقول الدكتور أحمد هريدي : " ويبدو لي أن ذلك التغير قد يعود إلى طبيعة صوت ثالث في الكلمة هو الذي يستوجب التغير ، كما يحدد أيضاً طبيعة الجديد ، ففي (اطَّلب) نجد التاء المهموسة المرققة تحولت إلى طاء مهموسة مفخمة ، بتأثير التفضيم العارض لللام ، فهنا تواتت ٣ أصوات مفخمة " ^(١) ولكن الراجع فيما يبدو لي أن التاء المهموسة المرققة لم تتحول لطاء مفخمة بتأثير التفضيم العارض لللام - كما يرى الدكتور هريدي - وإنما بتأثير الطاء المفخمة التي تسبقها ، فهذا من قبيل الإدغام التقدمي ، وأكثر ما يكون في صيغة افتعل ، ومما يؤيد ذلك أنني لا أجد أثراً للتفضيم العارض لللام - كما ذكر الدكتور هريدي - بل إن النطق الطبيعي لللام هنا هو ترقيقها فيما أرى ، إلا عند المتعجل ، ونطقه ليس حجة على غيره أو عند العوام من غير الناطقين بالفصحى ، ويدهي أن نطقهم ليس مجالاً للاحتجاج إلا في دائرة المقارنة بين الفصحى والعامية .

ومع ذلك فإنه لا مجال لإنكار أن يكون التغير راجعاً - حقاً - إلى طبيعة صوت ثالث في الكلمة لكن المثال هنا ، فيما أرى ، لا يدل - أو لا يعبر - بدقة عن المطلوب .

وقد تساءل الدكتور هريدي أيضاً " لماذا تغير صوت التاء - مثلاً - في صيغة افتعل مرة إلى الدال في ادترك < أدرك ، ومرة إلى الطاء في اطلع > اطلع ، في حين أن التاء والدال والطاء يجمعها مخرج واحد ، فهي

(١) ظاهرة المخالفة الصوتية ١٢-١٣ .

أسنانية لثوية ، بالإضافة إلى أنها شديدة ، وتنضد الدال بأنها مجهورة ، في حين أن التاء والطاء مهموستان " (١) ؟

والإجابته - في نظري - أن ذلك التغير لا يعود لصوت ثالث ، بل للصوت الأول ، فالتاء المهموسة تأثرت بالجهر في الدال ، فتحولت دالاً في المثال الأول ، والتاء في المثال الثاني لم تتأثر باللام المرققة مثلها ، وإنما تأثرت بالطاء المستعلية المطبقة ، فتحولت طاء ، ولو حدث ما أشار إليه الدكتور هريدي من التأثر بالصوت الثالث لصارت الكلمة اتلع وهو ما لم يحدث!

المماثلة بين القدامى والمحدثين :

تنبه كثير من اللغويين القدماء لظاهرة المماثلة الصوتية ، ولكنهم عبروا عنها بمصطلحات أخرى ، فسيبويه (٢) يطلق عليها المضارعة أو التقريب ، وابن الحاجب (٣) يطلق عليها المناسبة ، وابن يعيش (٤) يسميها المشاكلة . كما نجد عند علماء المعاني مصطلحات أخرى .

أما المحدثون فبعضهم يطلق على المماثلة مصطلح التحييد Neutralization ، ويعود هذا المصطلح إلى مدرسة براغ اللغوية (٥) التي ظهرت عام ١٩٢٦ م ، وبخاصة ترويتسكوي (٦) الذي جعل التحييد من أسس

(١) ظاهرة المخالفة الصوتية ١٢ .

(٢) النظر الكتاب ٤/٦٦١ .

(٣) النظر شرح الكافية ٣/٤ .

(٤) النظر شرح المفصل ١٠/٣١٨ .

(٥) وهم أول من عد المنهج البنائي أساس الدراسة اللغوية .

(٦) أحد مؤسسي علم الفونولوجيا ، وله كتاب بالألمانية في مبادئ هذا العلم بعنوان :

Grondzue der phonologie ، لفرّق فيه بين علم طبيعة الأصوات

Phonetics وعلم وظيفة الأصوات phonology .

نظرية الفونيم^(١)، والتحديد عنده يعني "تداخل أو ذوبان فونيم في فونيم آخر حتى يصيرا فونيمًا واحدًا في سياق صوتي معين"^(٢).

والمماثلة عند المحدثين نوعان^(٣):

المماثلة التقدمية : Progressive حيث يتأثر الصوت الثاني بالصوت الأول.

المماثلة الرجعية : Regressive حيث يتأثر الصوت الأول بالثاني.

أمثلة المماثلة الصوتية في كتب معاني القرآن

اعرض فيما يلي - بإذن الله - ما استطعت جمعه من كتب معاني القرآن في صور المماثلة الصوتية، وربما تكون بعض تلك الصور قد وردت في مبحث الإبدال، أو الإدغام، غير أن ورودها هنا لاختلاف المعالجة :

(١) التأثر المقبل الكلي في حالة الاتصال.

من أمثله في كتب معاني القرآن :

* تأثر تاء الافتعال بما قبلها :

وقد جاء من هذا عند الأخفش في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَنْ يُصَلِّحًا

بَيْنَهُمَا صُلْحًا ﴾ : وقد قرئت هذه الآية : " ان يَصْلِحَا ... " وهي ان (يفتعلا) ،

(١) للتعريف بهذه النظرية انظر : أصول ترابية في علم اللغة ١٧٠.

(٢) Introduction to the oretical linguistics , p 115

(٣) انظر : أصول ترابية في علم اللغة ١٩٣.



من الصلح ، فكانت التاء بعد الصاد ، فلم تدخل الصاد فيها للجهر والإطباق : فأبدلوا التاء صاداً^(١) .

وما جاء عنده أيضاً : " وقد قال بعضهم : " مذكر " فأبدل التاء ذالاً ، ثم أدخل الذال فيها " ^(٢) وقد نسب الفراء قراءة (مذكر) لبعض بني أسد ^(٣) ، بينما قال الزجاج : " وقد قال بعض العرب : (مذكر) بالذال معجمة : فادغم الثاني في الأول " ^(٤)

وجاء عند الفراء أيضاً : " وسمعت بعض بني عقيل يقول : عليك بأبوال الطباء ، فاصعطها ، فإنها شفاء للطحل ، فغلب الصاد على التاء ^(٥) .

التفسير الصوتي

■ اصل (يصلح) : يستلحا ، فأثرت الصاد المطبقة في التاء المرققة تأثيراً كلياً فتحوّلت التاء إلى صاد والعجب هنا من قول الأخفش : " فلم تدخل الصاد فيها للجهر والإطباق " إذ الصاد والتاء مهموستان^(٦) فلا مجال لكلمة الجهر هنا ، ولعله سهوٌ من الأخفش أو الناسخ أو المحقق

■ اصل كلمة (مذكر) : مذتكر ، فأثرت الذال المجهورة في التاء المهموسة ، فقلبتّها ذالاً مثلها .

(١) معاني الأخفش ٣٩٨/١

(٢) معاني الأخفش ٣٩٨/١ .

(٣) معاني الفراء ١٠٧/٣

(٤) معاني الزجاج ٨٨/٥ .

(٥) معاني الفراء ٢١٦/١

(٦) انظر المدخل إلى علم اللغة ٤٦-٤٧ .

▪ أصل كلمة (فاصَّعَها) : فاصتعتها ، فأثرت الصاد المطبقة على التاء ، فقلبتُها صاداً مثلها ، والذي ساعد على ذلك أن الصاد والتاء مخرجهما واحد ، فهما من الأصوات الأسنانية اللثوية .

٢) التآثر المقبل الكلى فى حالة الانفصال :

ا - تآثر حركة الكسر فى لام (لله) بحركة الضم التى قبلها فى (الحمد)

يقول الفراء^(١) : " ومنهم من يقول (الحمد لله) فيرفع الدال واللام " ، وذكر الكرمانى اسم القارئ بها ، وأشار إلى السبب فى ذلك ، فقال^(٢) : " قرأ إبراهيم بن أبى عبله : " الحمد لله " بضم الدال واللام " اتبع الضم الضم " ^(٣)

وهذا التفسير الصوتي الذى سمّاه الكرمانى الإلتباع ، هو ما يسميه المحدثون : الماثلة ، وهى هنا كلية مقبلة ، فى حالة انفصال ، لأن اللام متوسطة بين الضمتين ، ومما ساعد على ذلك ما بين الضمة والكسرة من تقارب سبق أن تحدثت عنه تفصيلاً .

ب - تآثر حركة الكسر فى (مُتَنَّن) بحركة الضم التى فى الميم قبلها :

فقد قال الأخفش^(٤) : " وقد ضم بعضهم التاء ، فقال : (مُتَنَّن) لضمّة

الميم " وهو تفسير مستقيم ، لا يحتاج لمزيد بيان .

ج - تآثر حركة الضم فى (عليهم) بالياء أو حركة الكسرة قبلها :

(١) معاني الفراء ٣/١ .

(٢) مفاتيح الأغاني فى القراءات والمعاني ٩٥ .

(٣) انظر معجم القراءات ٤/١ .

(٤) معاني الأخفش ٤/١ .



ذكر كثير من أهل المعاني الخلاف في قراءة (عليهم) و(عليهم) بالضم والكسر ، وتنبه أكثرهم إلى أن من ضم الهاء فعلى الأصل . ومن كسرها فلمجاورة الياء أو الكسرة ، يقول الفراء ^(١) : " وأما من قال : (عليهم) فإنه استثقل الضمة في الهاء ، وقبلها ياء ساكنة ، فقال : (عليهم) لكثرة دور المكنى في الكلام ، وكذلك يفعلون بها إذا اتصلت بحرف مكسور مثل (بهم) و... ولا تبال أن تكون الياء مفتوحاً ما قبلها أو مكسوراً... " .

وقد جاء عند الزجاج ^(٢) والأزهري ^(٣) وجامع العلوم ^(٤) والكرمانى ^(٥) وابن إدريس ^(٦) كلام لا يكاد يختلف عن هذا .

وقد أطلق سيبويه على هذه الظاهرة (الإبتاع) ، ورأى أن الأصل في هذه الهاء الضم وبعدها الواو ؛ لأنها في الكلام كله هكذا ... فالهاء تكسر إذا كان قبلها ياء لو كسرة " ^(٧)

وقوله : لأنها في الكلام كله هكذا ، يقصد به أن هاء الضمير تضم بعد الضمة فتقول : لَهُ وَلَهُمْ ، وبعد الضمة ، فتقول : بَيْتُهُ وَعَرْهُم ، وبعد السكون ، فتقول : عَنْهُ وَعَنْهُمْ . فكسرتها إذن تكون بسبب خاص ، وهو أنها سبقت بياء أو كسرة ، والتفسير الصوتي لهذا عند المحدثين أن هذا نوع من التوافق الحركي (Vowel Harmony) " وهذه الظاهرة تدخل في باب

(١) معاني الفراء ٥/١

(٢) معاني الزجاج ٥٠/١

(٣) معاني القراءات ١١٢/١

(٤) الكشف ١٧٠/١ .

(٥) مفاتيح الأغاني ٩٨

(٦) المختار في معاني قراءات أهل الأمصار ل (أ)

(٧) الكتاب ١٩٥/٤ .

المماثلة ، وهى هنا مماثلة حركة لحركة أخرى مماثلة تامة " (١) حيث أثرت الكسرة أو الكسرة الطويلة (الياء) قبل الهاء فيها ، تأثيراً مقبلاً كلياً ، فحولت حركة الهاء إلى كسرة لتمائل ما قبلها .

٣) التآثر المقبل الجزئى فى حالة الاتصال :

١ - تآثر تاء الافتعال بالصاد أو الظاء أو بالضاد أو بالزأى التى قبلها :

ذكر الفراء بعض الأمثلة على هذا النوع من التآثر الذى سبق أن ذكرت أنه سُمى بالإبدال القياسي ، ولعل إشارة الفراء فى كلامه هنا تجعله من أوائل من التفت إليه إذ يقول (٢) : " وازدجر : افتعل من زجرت ، وإذا كان الحرف أوله زأى صارت تاء الافتعال فيه دالاً ؛ من ذلك : زُجر وأزدجر ومزدجر ، ومن ذلك المزدلف ، ويزداد هى من الفعل يفتعل فقس عليه ما ورد "

وزاد الزجاج على هذا تفسيراً صوتياً لهذا التآثر ، فقال (٣) : " وكذلك : مزتجر ، إنما أبدلت دالاً لأن التاء حرف مهموس ، والزأى حرف مجهور ، فأبدل من التاء من مكانها حرف مجهور ، وهو الدال ، فهذا لا يفهمه إلا من أحكم كل العربية... " وقال النيسابورى فى إيجاز البيان (٤) : " أبدلت التاء دالاً لتؤاخى الزأى بالجهر " .

(١) العربية والنص القرآنى ١٣٩ ، وانظر أسس علم اللغة العربية ٢٣٢ .

(٢) معانى الفراء ١٠٦/٣ .

(٣) معانى الزجاج ٨٥/٥ .

(٤) إيجاز البيان ٧٧٩/٢ .

كما ذكر الأخفش مثلاً لهذا التأثر فى قوله ^(١) : " وقال بعضهم (يصطلحا) ^(٢) ، وهى الجيدة ؛ لما لم يقدر على إدغام الصاد فى التاء ، حول فى موضع التاء حرف مطبق " .

وذكر الزجاج أمثلة أخرى لتحويل التاء إلى طاء ، فقال ^(٣) : (اصطفاه) : ومعناه اختاره ، وهو افتعل من الصفوة ، الأصل ، اصطفاه ، فالتاء إذا وقعت بعد الصاد أبدلت طاء ، لأن التاء من مخرج الطاء ، والطاء مطبقة ، فأبدلوا الطاء من التاء ؛ ليسهل النطق بما بعد الصاد ، وكذلك افتعل ، من الضرب : اضطرب ، ومن الظلم : اظلم

ب - تآثر الطاء المستعلية بالسین المرققة قبلها :

قال الأخفش فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا اسْتَطَعُوا ﴾ (الكهف ١٢/٩٧) : لأن لغة للعرب تقول : (استطاع يستطيع) ، يريدون به : (استطاع يستطيع) ولكن حذفوا التاء إذا جامعته الطاء ؛ لأن مخرجهما واحد . وقال بعضهم : استاع ، فحذف الطاء لذلك ^(٤)

التفسير الصوتي :

فى الكلمات (يصطلحا و اصطفاه ، واضطرب ، و اظلم) تأثرت التاء المرققة بحروف الإطباق المستعلية ، فتحوّلت إلى طاء ، والطاء صوت ينطق كما ينطق التاء ، ولا فرق بينهما إلا فى أن مؤخرة اللسان ترتفع نحو الطبق

(١) معانى الأخفش ٣٩٨/١ .

(٢) وهى قراءة مجهولة النسبة ، انظر التبيان للعكرى ٣٩٥/١

(٣) معانى الزجاج ٣٢٨/١ .

(٤) معانى الأخفش ٤٣٣/١ - ٤٣٤

عند نطق الطاء ، ولا ترتفع نحوه في نطق التاء ^(١) ، وبهذا تكون الطاء هي النظير المضخم للتاء .

■ في الفعل : ازدجر ، الأصل : ازتجر ، فتأثرت تاء الافتعال المهموسة بالزاي المجهورة ، فتحولت إلي ما يماثلها في الجهر ، وهو صوت الدال ، لأنه لا فرق بين التاء والدال إلا في الهمس بالجهر .

■ في المثال الأخير أصل الفعل : استطاع ، فحذفت التاء لأنها النظير المهموس للطاء ، فصار الفعل : استطاع ثم تأثرت الطاء المجهورة بالسين المهموسة قبلها تأثراً جزئياً بأن تحولت إلى التاء ، أما تعليل الأخفش بأن الذي حدث في (استطاع) هو حذف الطاء ، فهو محتمل : لكنه غير شائع .

٤) التأثير المقبل الجزئي في حالة الانفصال :

ومن أمثلة ذلك تأثر السين المهموسة بالجيم المجهورة في كلمة (الرجس) ، ولذلك قال الأخفش " فأما الرجز فهو الرجس " ^(٢) وقال الزجاج : "الرجز العذاب ، وكذلك الرجس " ^(٣)

التفسير الصوتي :

الجيم صوت مجهور ، أثر في السين المهموسة ، فقلبها إلى نظيرها المجهور ، وهو صوت الزاي ، والسين والزاي من مخرج واحد ، فهما من الأصوات الأسنانية اللثوية ^(٤) .

(١) انظر المدخل إلى علم اللغة ٤٦ - ٤٧

(٢) معاني الأخفش ١/١٠٤

(٣) معاني الزجاج ١/١٤٠

(٤) المدخل إلى علم اللغة ٤٧



والذى دعانى إلى عد هذا التأثر فى حالة الانفصال، هو أن الجيم من حروف القلقة عند علماء التجويد، والقلقة ذكرها سيبويه فى كتابه، فقال^(١): "واعلم أن من الحروف حروفا مشربة، ضغطت من مواضعها، فإذا وقفت خرج معها من الضم صوت، ونبا اللسان عن موضعه وهى حروف القلقة... وذلك القاف والجيم والذال والطاء والباء، والدليل على ذلك أنك تقول الحدق، فلا تستطيع أن تقف إلا مع الصوت، لشدة ضغط الحرف، وبعض العرب أشد صوتاً، كأنهم يرومون الحركة".

وهذا الصوت الذى وصفه سيبويه، يسميه الدكتور السعران بالفتحة المختلصة، حيث يرى أننا إذا نطقنا صوتاً شديداً مجهوراً كالباء وحده، فإنه يتبعه عادة صوت مجهور قصير أشبه ما يكون بالفتحة المختلصة^(٢) ووصفه ثانية بقوله^(٣): "والأرجح أن هذا الصوت الإضافى صوت صائت مركزى ضعيف"، ولأجل هذه الحريكة، أو الصوت، صارت الجيم منفصلة عن السين، ومع ذلك فقد أثرت فيها تأثيراً جزئياً بأن قلبتها إلى الزاى.

٥) التثنية المدبر الكلى فى حالة الاتصال

١ - تأثر الراء باللام التى بعدها: ومن ذلك ما أورده الزجاج^(٤) - وخطاه - من قراءة أبى عمرو: ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾ (البقرة ٥٨/٢)

(١) الكتاب ١٧٤/٤

(٢) انظر علم اللغة ١٦٠ والنظر أيضا الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٣٠٢

(٣) علم اللغة ١٦٢

(٤) انظر معانى الزجاج ١٦٧/٥ و ٢٢٨.

بإدغام الراء فى اللام ، ونقله أبوالعلاء الكرماني ^(١) عن الزجاج ، وسكت عن تخطئة هذه القراءة. ^(٢)

ب - قاتر لام هل ويل ببعض الأصوات التى تليها ، مثل الراء فى قوله ﴿يَلَّ زَانَ﴾ (المطففين: ١٤/٨٣) ، التى قال عنها الضراء ^(٣) : " فإن اللام تدخل فى الراء دخولاً شديداً " وقال عنها الزجاج ^(٤) : " والإدغام أجود : لقرب اللام من الراء ، ولغلبة الراء على اللام " .

ومثل النون فى قوله تعالى : ﴿هَلْ نَدُّكُمْ﴾ (سبا ٧ / ٣٤) التى يقول عنها الضراء ^(٥) : " العرب تدغم اللام عند النون إذا سكنت اللام وتحركت النون ، وذلك أنها قريبة المخرج منها " .

ومثل الثاء فى قوله تعالى : ﴿هَلْ نُؤَبِّ﴾ (المطففين ٣٦ / ٨٣) حيث يقول عنها الأخفش ^(٦) : " إن شئت ادغمت ، وإن شئت لم تدغم ، لأن اللام مخرجها بطرف اللسان ، قريب من أصول الثنايا ، والثاء بطرف اللسان ، وأطراف الثنايا ، إلا أن اللام بالشق الأيمن ادخل فى الفم ، وهى قريبة المخرج منها " .

(١) انظر : مفاتيح الأغاني فى القراءات والمعاني ١٠٢

(٢) هذه القراءة قرأ بها أبو عمرو والدورى واليزيدى ، ومضى صحت القراءة فلا وجه لتخطئتها ، وبخاصة أن الإدغام هنا ليس شاذاً فى اللغة ، انظر الحجة لابن خالويه ٨٠ ، ومعجم القراءات ١٠٦/١ .

(٣) معاني الفراء ٣٥٤/٢ .

(٤) معاني الزجاج ٢٩٩/٥ .

(٥) معاني الفراء ٣٥٣/٢ .

(٦) معاني الأخفش ٥٧٣/٢ .

وقد جاء في معاني الزجاج^(١) إقرار لهذا الكلام بإيجاز شديد.
ومثل الثاء في قوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ﴾ (الأعلى ١٦/٨٧) التي يقول
عنها الأخفش^(٢): " فادغمت اللام في التاء؛ لأن مخرج التاء والثاء قريب
من مخرج اللام وذكر الفراء هذا التائر، ولكن في آية: ﴿قُلْ هَلْ
تَرَبَّصُونَ بِنَاءِ﴾ (التوبة ٥٢/٩) حيث يقول^(٣): " والعرب تدغم اللام من
هل ويل عند التاء خاصة، وهو في كلامهم عال كثير.... ".
التفسير الصوتي:

■ في قراءة " نفركم " بالإدغام، نجد أن أكثر اللغويين القدماء يرون عدم
جواز هذا الإدغام للمحافظة على (تكرير الراء) طبقاً لقاعدتهم التي
صاغها ابن جنّي: " وإنما المذهب أن تدغم الأضعف في الأقوى " (٤)، ولذا
يقول سيبويه: " والراء لا تدغم في اللام ... لأنها مكررة ... فكرهوا أن
يُحذفوا بها؛ فتدغم مع ما ليس يتفشى في الفم مثلها، ولا يكرر " (٥)،
ويقول المبرد: " الإدغام لا يَبخس الحروف ولا ينقصها " (٦).
وهي الفكرة التي أيدها بعض المحدثين، وعلى رأسهم اللغوي الفرنسي
(جرامون) الذي صاغ قانوناً صوتياً سماه (قانون الأقوى)، وخلصته
أنه: " حين يؤثر صوت في آخر فإن الأضعف بموقعه في النطق، أو

(١) معاني الزجاج ٣٠١/٥

(٢) معاني الأخفش ٥٧٣/٢

(٣) معاني الفراء ٤٤١/١

(٤) المنصف ٣٢٨/٢ .

(٥) الكتاب ٤٤٨/٤ .

(٦) المقتضب ٣٤٦/١ .

بامتداده النطقي ، هو الذي يكون عرضة للتأثر بالآخر " (١)

■ غير أن بعض الذين عابوا هذا الإدغام احتجوا له بسبب صوتي يدعمه ويقوّيه ، وهو الميل إلى الخفة في النطق ، ومن هؤلاء : السيراى : " حيث يقول ومما يحتج به لأبي عمرو وغيره ، ممن ادغم الراء في اللام : أن الراء إذا ادغمت في اللام صارت لاماً ، ولفظ اللام أسهل ، وأخف من أن يأتي براء فيها تكرير ، وبعدها لام ، وهي مقاربة للراء ، فيصير كالنطق بثلاثة أحرف من مخرج واحد ، فطلب التخفيف " (٢) .
بل إن الفراء - كما نقل طائفة من العلماء عنه - رأى " جواز إدغام الراء في اللام " (٣) ، ولا شك أن هذا الرأي يعكس جانباً من اعتزاز الكوفيين بالقراءات القرآنية ، وإن خالفت ما يراه غيرهم : (القياس العام) .
وإذا استثنينا فكرة المحافظة على (تكرير الراء) فإن إدغام الراء في اللام ما يسوّغه من قرب المخرج ، واتحاد صفة الجهر (٤) ، ولذا فقد أيد بعض المحدثين هذا الإدغام (٥) .

■ وأما في الأمثلة الأخرى : " بل ران " و " هل دلكم " و " هل ثوب " و " بل تثرورن " و " هل تربصون " : فإن اللام تأثرت بما بعدها لاتحاد المخرج في الأول والثاني تأثراً كلياً : لأن هذا أسهل في النطق ، وأكثر تحقيقاً

(١) دراسة الصوت اللفوي ٣١٩ .

(٢) شرح كتاب سيبويه للسيراى ٦/٦٤٢ .

(٣) انظر شرح كتاب سيبويه للسيراى ٦/٦٤١ ، والحجة في القراءات لابن خالويه ٥٦ ، وشرح المفصل لابن يعيش ١٠/١٤٣ .

(٤) وانظر تأييد الدكتور صبيح التميمي لهذا الرأي في كتابه : دراسات لغوية في تراثنا القديم ٤٧ - ٤٩ .

(٥) ومنهم الدكتور إبراهيم أنيس في الأصوات اللفوية ١٩٩ .



للانسجام الصوتي وقد يصنعه المتكلم تلقائياً بلا تفكير؛ ولذا وردت
السكته اللطيفة عند حفص^(١) لمن اراد الإظهار في " بل ران " لأن الإظهار
بدونها صعب على اللسان . ويسهل تفسير ذلك التاثر بالنسبة للمثلة
الأخرى لأن التاء والتاء من الأصوات القريبة المخرج من صوت اللام
كما ذكر الأخفش فهما لثويان أسنانيان ، بينما اللام لثوية .

تأثر التاء في صيغتي (تفعل) و (تفاعل) بفاء الفعل :

وقد جاء من ذلك امثلة لا تكاد تحصى في كتب المعاني ، ومنها :

- ١ - مع الزاى : (اَزَيْت) ، واصلها : تزينت ، ذكرها الأخفش^(٢) والضرأ^(٣)
والزجاج^(٤) وجامع العلوم^(٥) والكرمانى^(٦) .
- (وتَزَاور) ، واصلها تتزاور ، ذكرها الضراء^(٧) والزجاج^(٨) والأزهري^(٩)
والكرمانى^(١٠) والشيخ مخلوف^(١١) .

(١) انظر معجم القراءات ٣٥٣/١٠ .

(٢) معاني الأخفش ٣٧٣/١

(٣) معاني الضراء ٤٣٨/١

(٤) معاني الزجاج ١٤/٣

(٥) الكشف ٥٠٨/١

(٦) مفاتيح الأغاني ٢٠٤

(٧) معاني الضراء ١٣٦/٢

(٨) معاني الزجاج ٢٧٣/٣

(٩) معاني القراءات ١٠٦/٢

(١٠) مفاتيح الأغاني ٢٥٥

(١١) صفوة البيان لمعاني القرآن ٣٧٧

- ب - مع السين : (تساء لون)، وأصلها : تتساء لون، ذكرها الأخفش^(١) والضرء^(٢) والزجاج^(٣) والأزهري^(٤) وجامع العلوم^(٥).
- و (تساقط)، وأصلها : تتساقط، ذكرها الضرء^(٦) والزجاج^(٧) والأزهري^(٨) والجامع^(٩) والكرمانى^(١٠) والنيسابوري^(١١).
- ج - مع الدال : (فاداراتم)، وأصلها : فتداراتم، ذكرها الأخفش^(١٢) والزجاج^(١٣) وبيان الحق^(١٤) والشيخ مخلوف^(١٥).
- د - (يتدبروا)، وأصلها : يتدبروا، ذكرها الأخفش^(١) والكرمانى^(٢) والشيخ مخلوف^(٣)

(١) معاني الأخفش ٢٤٣/١

(٢) معاني الفراء ٢٥٣/١

(٣) معاني الزجاج ٦/٢

(٤) معاني القراءات ٢٨٩/١

(٥) الكشف ٣٦٥/١

(٦) معاني الفراء ١٦٦/٢

(٧) معاني الزجاج ٣٢٥/٣

(٨) معاني القراءات ١٣٣/٢

(٩) الكشف ٧٤/٢

(١٠) مفاتيح الأغاني ٢٦٨

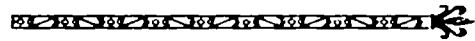
(١١) باهر البرهان ٨٨٤/٢، وإيجاز البيان ٥٣٦/٢.

(١٢) معاني الأخفش ١١٤/١

(١٣) معاني الزجاج ١٥٣/١

(١٤) إيجاز البيان ١٠٦/١، باهر البرهان ٩٥/١

(١٥) صفوة البيان لمعاني القرآن ٢٠



هـ - (أذاركوا)، وأصلها تداركوا، ذكرها الفراء^(١) والزجاج^(٥) والنيسابوري^(٦).

و - مع الشين: (يشابه)، وأصلها: يتشابه، ذكرها الأخفش^(٧) والزجاج^(٨).

(تشقق)، وأصلها: تتشقق، ذكرها الفراء^(٩).

ز - مع الظاء: (تظَاهرون)، وأصلها: تتظاهرون، ذكرها الأخفش^(١٠) والزجاج^(١١) والأزهري^(١٢) وجامع العلوم^(١٣) والشيخ مخلوف^(١٤).

ح - مع الثاء: (اثاقلتم)، وأصلها: ثاقلتم، ذكرها الأخفش^(١٥) والفراء^(١) والزجاج^(٢) والنيسابوري^(٣) والشيخ مخلوف^(٤).

(١) معاني الأخفش ١١٤/١

(٢) مفاتيح الأغاني ٢٩٣

(٣) صفوة البيان لمعان القرآن ٤٤٢

(٤) معاني الفراء ٤٣٨/١

(٥) معاني الزجاج ٣٦٦/٢

(٦) باهر البرهان ٥١٦/١، وإيجاز البيان ٣٢٩/١

(٧) معاني الأخفش ١١٢/١.

(٨) معاني الزجاج ١٥٥/١

(٩) معاني الفراء ٢٦٧/٢

(١٠) معاني الأخفش ١٣٥/١.

(١١) معاني الزجاج ١٦٦/١

(١٢) معاني القراءات ١٦٢/١

(١٣) الكشف ٢١٠/١

(١٤) صفوة البيان لمعان القرآن ٢٢.

(١٥) معاني الأخفش ٣٥٨/١.



د - مع الطاء : (المطوعين) ، وأصلها : المتطوعين ، ذكرها الفراء ^(٥) .

(يطوَع) ، وأصلها : يتطوع ، ذكرها الفراء ^(٦) والزجاج ^(٧)

والأزهري ^(٨) وجامع العلوم ^(٩) والكرمانى ^(١٠) .

(المطهرين) ، وأصلها : المتطهرين ، ذكرها الفراء ^(١١) .

التفسير الصوتي :

وتفسير ذلك صوتياً ميسور ؛ لأن بعض هذه الحروف - كالدال

والطاء والزاي والسين- من مخرج التاء ، وبعضها كالثاء والطاء والشين -

قريبة المخرج منها ، فالثاء والطاء أسنانيان ، والشين من الغار.

ولذلك يقول أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب ^(١٢) : فى مضارع

صيغتي : تفعل وتفاعل ، تتأثر التاء - بعد تسكينها للتخفيف - بقاء الفعل إذا

كانت صوتاً من أصوات الصفير أو الأسنان ، ثم قيست على ذلك صيغة :

(١) معان الفراء ٤٣٧/١-٤٣٨

(٢) معان الزجاج ٤٤٧/٢

(٣) باهر البرهان ٥٩٠/١ ، وإيجاز البيان ٣٧٨/١

(٤) صفوة البيان لمعان القرآن ٢٥٥ .

(٥) معان الفراء ٤٧٤/١

(٦) معان الفراء ٤٧٤/١

(٧) معان الزجاج ٢٣٥/١

(٨) معان القراءات ١٥٣/١ .

(٩) الكشف ٢٤٧/١ .

(١٠) مفاتيح الأغاني ١٠٨

(١١) معان الفراء ٤٧٤/١ .

(١٢) التطور اللغوى ٣٨-٣٩



الفعل الماضي : مثل :

يتطهر ← يتطهر ← يطهر ← اطهر "

أى ان التاء لا بد من تسكينها أولاً ، ولذلك عدّ هذا التأثر من قبيل حالة الاتصال .

٦) التأثر المدبر الجزئى فى حالة الاتصال :

١ - من أبرز أمثلة ذلك التأثر ، تحول السين إلى صاد ، إذا جاء بعدها حرف من حروف الاستعلاء . وقد ذكر الفراء من ذلك كلمة " بسطة " ، وقال ^(١) : " ومثله : بصطة ووسطة : كتب بعضها بالصاد وبعضها بالسين.... " ، وقد ذكر الأزهرى القراءات فى هذه الكلمة ثم قال ^(٢) : " العرب تجيز السين والصاد فى كل حرف فيه طاء " ومن هذا التأثر أيضاً ما قاله الزجاج ^(٣) : " والرسغ : المفصل بين الكف والساعد ، ويقال : رسغ ورسغ ، والسين أجود " .

التفسير الصوتى :

فى كلمة (بسطة) تأثرت السين المرققة بمجاورة الطاء المطبقة المستعلية تأثراً مدبراً فتحوّلت إلى نظيرها المخم وهو الصاد . وفى كلمة (رسغ) تأثرت السين المرققة بالغين المستعلية ذات القيمة التفخيمية ، فتحوّلت إلى الصاد ، وهى نظيرها المخم .

(١) معانى الفراء ٩٣/٣

(٢) معانى القراءات ٢١٢/١

(٣) معانى الزجاج ١٧٤/٢

(ب) تائر الصاد بالبدال التي بعدها : وقد ذكر أبو على الفارسي هذا النوع من المماثلة وأطلق عليه (المضارعة بالحروف) ، وقال ^(١) : " وهو الذى يسمى المضارعة بالحروف ، وذلك نحو قولهم فى (مصدر) : مزدر ، وفى (التصدير) : التزدير ، قرب فيه الحرف المهموس من المجهور " وما ذكره أبو على صحيح تماماً ، فإن الصاد ، وهو صوت مهموس ، لما قرب من الدال وهو حرف مجهور تأثر به ، وتحول إلى ما يماثله فى الجهر ، وهو الزاى ، فكان التأثر جزئياً ومدبراً .

٧) التأثير المدبر الجزئي في حالة انفصال :

♦ جاء من هذا النوع امثلة كثيرة تتعلق بتحول السين إلى صاد تأثراً بالطاء .

- ١ - السراط < الصراط ، ذكرها الأخفش ^(٢) والأزهري ^(٣) وجامع العلوم النحوي ^(٤) والكرماني ^(٥) وأبو بكر بن إدريس ^(٦) .
- ٢ - هوسطن < هوصطن ، ذكرها الأخفش ^(٧) .
- ٣ - المسيطرون < المصيطرون ، ذكرها الفراء ^(٨) والزجاج ^(٩) وبيان الحق النيسابوري ^(١٠) .

(١) الإغفال ١٦٧/١

(٢) معاني الأخفش ١٧/٢

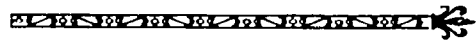
(٣) معاني القراءات ١١١/١

(٤) الكشف ١٦٨/١

(٥) مفاتيح الأغاني ٩٧

(٦) المختار في معاني قراءات أهل الأمصار ل ١ (أ)

(٧) معاني الأخفش ٥٨٣/٢



٤ - بمسيطر < بمصيطر ، ذكرها الفراء^(١) والأزهري^(٥) .

٥ - سيطر < صيطر ، ذكرها الزجاج^(٦) .

٦ - سطا < صطا ، ذكرها الزجاج^(٧) .

٧ - صندوق < صندوق ، ذكرها الكرمانى^(٨) .

♦ وذكر الفراء مثلاً لتحول السين إلى صاد ، تائراً بالقاف ، إذ يقول في (

سلقوكم) : " والعرب تقول : سلقوكم ، ولا يجوز في القراءة .. " ^(٩) .

والتفسير الصوتي :

ذكره بعض هؤلاء العلماء ، ونكتفي هنا بقول الأزهري : " والسين والصاد يتعاقبان في كل حرف فيه غين أو قاف أو طاء أو خاء ... " ^(١٠) وذلك واضح انه لأجل مجانسة الإطباق ، كما هي عبارة النيسابوري .

ولعلنا نلاحظ أن الفاصل بين السين والصاد : الياء غير المدية (من انصاف الحركات) كما في (المسيطرون - بمسيطر - سيطر) .

(١) معاني الفراء ٩٣/٣

(٢) معاني الزجاج ٦٦/٥

(٣) باهر البرهان ١٣٨٨/٣

(٤) معاني الفراء ٩٣/٣

(٥) معاني الفراء ١٤١/٣

(٦) معاني الزجاج ٦٦/٥

(٧) معاني الزجاج ٦٦/٥

(٨) مفاتيح الأغاني ٩٧

(٩) معاني الفراء ٣٣٩/٢

(١٠) معاني الفراء ١١١/١

وربما كانت الحركة الطويلة (الألف) هي الفاصل ، كما في (السراط) ، أو الحركة القصيرة (الفتحة) في : (فوسطن - سطا) ، وفي مثال واحد كان الفاصل من الصوامت ، وهو اللام ، في حركة الفتح القصيرة في (سلقوكم) ، وفي مثال وحيد ، كان الفاصل أكثر من صوت صامت (سندوق) .

وذكر بعض العلماء تأثير السين بالراء التي بعدها ، وتحولها إلي زاي ، ومن هؤلاء الأزهري^(١) وجامع العلوم^(٢) والكرماني^(٣) وأبو بكر بن إدريس^(٤) حيث تحدثوا جميعاً عن (سراط) وتحوله إلي زراط ، وتحدث الكرماني وحده عن تحول السين إلي زاي في سندوق < زندوق .

والتفسير الصوتي :

أن السين المهموسة تحولت إلي الزاي المجهورة تائراً بالراء التي بعدها في المثال الأول ، وبالنون التي بعدها في المثال الثاني .

٨) التائر المدبر الكلي في حالة الانفصال :

١ - تائر حركة ضم الدال في (الحمد) بحركة الكسر التي بعدها :

وقد ذكر هذا النوع من التأثير طائفة من أهل المعاني ، ومنهم الفراء الذي يقول^(٥) : وأما من خفض الدال من (الحمد) ، فإنه قال : هذه

(١) معاني القراءات ١١٠/١ - ١١١

(٢) الكشف ١٦٩/١

(٣) مفاتيح الأغاني ٩٧

(٤) المختار في معاني قراءات أهل الأمصار ل ١ (أ)

(٥) معاني الفراء : ٣/١



كلمة كثرت علي السن العرب ، حتي صارت كالاسم الواحد ؛ فنقل عليهم أن يجتمع في اسم واحد من كلامهم ضمة بعدها كسرة .. فكسروا الدال ليكون علي المثال من اسمائهم " .

وقريب من هذا الكلام عند الأخفش ^(١) والزجاج ^(٢) ، وإن كان الزجاج رفض هذه القراءة ، وذكر الكرمانى من قرأ بها ، وفسرها ؛ فقال ^(٣) : " وقرأ الحسن ورؤية (الحمد لله) بكسر الدال ، اتبعا الكسر " .

ويرى الفارسي : أن الذي يكسر الدال من (الحمد لله) إنما يكسر " من أجل ما بعدها من الكسر " ^(٤) وهو كلام دقيق .

التفسير الصوتي :

تأثرت حركة الضمة في الدال بحركة الكسر التي في (لله) ، تأثراً كلياً ، فتحولت إلي كسرة مثلها ، وإنما جعل هذا التأثير في حالة انفصال ؛ لأن اللام تتوسط الحركتين .

٢ - تأثر حركة الضم التي هي ميم (مُنتن) بحركة كسر التاء : يقول الأخفش عن هذا ^(٥) : " وقالوا في بعض الكلام ؛ في (المنتن) : مُنتن ، وإنما هي من (أنتن) فهو (مُنتن) ؛ مثل : أكرم ؛ فهو مكرم ؛ فكسروا الميم لكسرة التاء " .

(١) معاني الأخفش ٩/١

(٢) معاني الزجاج ٤٥/١

(٣) مفاتيح الأغاني: ٩٤ ، والنظر القراءة في البحر ١٨/١ والمختص ٣٧/١ ، والإتحاف ١٢٢ .

(٤) الإغفال ١٨٩/١

(٥) معاني الأخفش ٤/١

التفسير الصوتي :

على الرغم من أن حركة ضم الميم ، وحركة كسر التاء بينهما فاصل (صوت النون وصوت التاء) إلا أن الأولى تأثرت بالثانية ، تأثراً مديراً كلياً ، فتحوّلت إلى كسرة مثلها ، وهو ما ذكره الأخفش حين قال : " فكسروا الميم لكسرة التاء " .

٩) التأثير المتبادل:

وهو نوع من أنواع المماثلة الصوتية ، يتم فيه التماثل على مراحل ، وقد ذكر بعض أهل المعاني بعض الأمثلة على ذلك ، ومنها :

(١) في قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ (آل عمران ٤٩/٣) نموذج لهذا التأثير المتبادل يقول عنه الضراء^(١) : " وبعض العرب يقول : (تدخرون) فيجعل الدال والذال يعتقبان في تفتعلون من ذخرت.... فأما الذين يقولون : يدخرون.. فإنهم وجدوا التاء إذا سكنت واستقبلتها ذال ، دخلت التاء في الذال ، فصارت ذالاً ، فكرهوا أن تصير التاء ذالاً ، فلا يعرف الافتعال من ذلك ، فنظروا إلى حرف يكون عدلاً بينهما في المقاربة ، فجعلوه مكان التاء ومكان الذال... " وهذا الكلام يعبر عن المرحلة الأولى من التأثر ، وأما المرحلة الثانية فقد عبر عنها الزجاج بعبارات أكثر وضوحاً ، إذ يقول^(٢) " وإنما قيل : تدخرون ، وأصله (تذتخرون) ، أي تفتعلون من الذخر ، لأن الدال حرف مجهور... والتاء مهموسة ، فأبدل من مخرج التاء حرف مجهور يشبه الذال في جهرها ، وهو الدال ، فصارت : تذدخرون ، ثم أدممت الذال في الدال ، وهذا أصل الإدغام ، أن تدغم الأول في الثاني " .

(١) معاني الفراء ٢١٥/١-٢١٦

(٢) معاني الزجاج ٤١٤/١

وهذا الكلام يعني أن التماثل حدث علي مرحلتين :

الأولى : تأثر مقبل جزئي في حال الاتصال :

حين تؤثر الدال في (ذخر) في تاء الافتعال من هذا الفعل (اذتخر) ،

فتقلبها دالاً: (اذدخر) ← ذخر ← اذتخر ← اذدخر.

الثانية : تأثر مدبر كلي في حال الاتصال :

تؤثر دال (اذدخر) في الدال فتقلبها دالاً : اذدخر ← اذدخر.

(ب) في قوله تعالى : ﴿وَأَذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ (يوسف ٤٥ / ١٢) يقول الأخفش ^(١) :

وإنما هي افتعل من ذكرت ، فأصلها : اذتكر ، ولكن اجتمعا في كلمة واحدة ، ومخرجاها متقاربان ، وأرادوا أن يدغموا ، والأول حرف مجهور ؛ وإنما يدخل الأول في الآخر ، والآخر مهموس ، فكرهوا أن يذهب منه الجهر ؛ فجعلوا في موضع التاء حرفاً من موضعها مجهوراً ، وهو الدال ، لأن الحرف الذي قبلها مجهور ولم يجعلوا الطاء ؛ لأن الطاء مع الجهر مطبقة .. "

وعبر الزجاج عن هذا بعبارات وجيزة : فقال : " وأذكر ، أصله : واذتكر ،

ولكن التاء أبدل منها الدال ، وأدغمت الدال في الدال " ^(٢)

وعلى هذا تكون المرحلة الأولى : أن تؤثر الدال من ذكر في تاء الافتعال

من هذا : (اذتكر) فتقلبها دالاً ذكر ← اذتكر ← اذدكر (تأثير مقبل جزئي في حالة اتصال) .

والمرحلة الثانية : أن تؤثر الدال في الدال ، فتقلبها دالاً : اذدكر اذدكر

(تأثير مدبر كلي في حال اتصال) .



(١) معاني الأخفش ٣٩٨/١

(٢) معاني الزجاج ١١٣/٣

الإدغام

مفهوم الإدغام :

الإدغام ظاهرة أصيلة في العربية ، وقد عدها ابن فارس اللغوي " مما اختصت به العرب " ^(١) ويقول ابن الجزري : " الإدغام كلام العرب الذي يجرى على سنتها ، ولا يحسنون غيره " ^(٢)

الإدغام لغة :

هو إدخال الشيء في الشيء : ففي المعجم الوسيط : " ... وأدغم الشيء في الشيء : أدخله فيه ، يقال : أدغم اللجام في فم الدابة ، وأدغم الحرف في الحرف... " ^(٣)

الإدغام اصطلاحاً :

" أن تصل حرفاً ساكناً بحرف مثله متحرك ، من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف فيصيران لشدة اتصالهما كحرف واحد ، ترفع اللسان عنهما رفعة واحدة شديدة " ^(٤)

قال ابن الجزري : " الإدغام : هو اللفظ بحرفين حرفاً ، كالثاني مشدداً " ^(٥)

والإدغام يقابله الإظهار ، وهو فصل كل حرف عن مجاوره بدون أن يدغم أحدهما في الآخر ، وهو ما يسمى الفك أيضاً .

(١) الصاحبي ٢٠ .

(٢) النشر ٢٥٧/١ .

(٣) المعجم الوسيط (دغم) ٢٨٨/١ .

(٤) شرح المفصل ١٠/١٢١ .

(٥) النشر ٢٧٤/١

أسبابه :

١ - التماثل : وهو اتفاق الحرفين مخرجاً وصفة، كالكافين في نحو

﴿ مَنَّسِكْكُمْ ﴾ (البقرة ٢/٢٠٠) و﴿ مَا سَلَكَكُمْ ﴾ (المدثر ٤٢/٧٤)

والميمين في نحو ﴿ الرَّحِيمِ مَلِك ﴾ (الفاتحة ٤/١).

٢ - التجانس : وهو أن يتفق الحرفان مخرجاً ويختلفا صفة ، كالدال في

التاء مثل : ﴿ قَدْ تَبَيَّن ﴾ (البقرة ٢/٢٥٦) والتاء في الطاء ، مثل ﴿

وَدَّتْ طَافِقَةً ﴾ (آل عمران ٣/٦٩)

٣ - التقارب : هو أن يتقارب الحرفان مخرجاً او صفة ، مثل القاف في

الكاف في نحو ﴿ أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ ﴾ (المرسلات ٧٧/٢٠) واللام في الراء في

نحو ﴿ قُلْ رَبِّ ﴾ (المؤمنون ٢٣/٩٣)

شروطه :

الشرط في المدغم : أن يلتقي الحرفان خطأ ولفظاً ، او خطأ لا لفظاً ،

فيدخل نحو : (إنه هو) فإن مَدَّ هاء (إن) مد صلة لا يمنع الإدغام ، ويخرج

نحو ﴿ أَنَا نَذِيرٌ ﴾ (العنكبوت ٢٩/٥٠) فلا تدغم النونان ؛ لوجود فاصل بينهما

خطأ وهو الألف.

والشرط في المدغم فيه كونه أكثر من حرف ، فلو كان المدغم فيه

حرفاً واحداً لم يصح الإدغام ، نحو ﴿ خَلَقَكَ ﴾ (الكهف ١٨/٣٧) ، و﴿ تَرَزُّوكَ ﴾

(طه ٢٠/١٣٢) ، بينما يصح في مثل : ﴿ خَلَقَكُمْ ﴾ (البقرة ٢/٢١) لأن الكاف

بعدها حرف ، وهو الميم^(١).

(١) انظر النشر ١/٢٧٨ والإتحاف ١/١١١.

أنواعه عند القراءة :

أكثر القراءة يقسم الإدغام على ثلاثة أقسام^(١) :

الأول : الإدغام الكبير ، وهو أن يتحرك الحرفان معاً ، سواء أكانا مثلين أم جنسين أم متقاربين ، وقد ورد عن بعض القراء ، مثل ابن محيصن والأعمش ، ولكن المختص به من الأئمة العشرة ، هو أبو عمرو بن العلاء ، ومثاله في المثلين : ﴿ فِيهِ هُدًى ﴾ (البقرة ٢/٢) ، ومثاله في المتجانسين ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ ﴾ (الرعد ٢٩/١٣) ومثاله في المتقاربين : ﴿ عَدَدَ سِينٍ ﴾ (المؤمنون ١١٢/٢٣).

الثاني : الإدغام الصغير ، وهو أن يكون الحرف الأول ساكناً ، والثاني متحركاً ، ومثاله في التماثلين : ﴿ أَضْرِبْ بَعْضَكَ ﴾ (البقرة ٦٠/٢) ومثاله في المتجانسين : ﴿ قَدْ تَبَيَّنَ ﴾ (البقرة: ٢٥٦/٢) ، وفي المتقاربين : ﴿ وَإِذْ زَيْنَ ﴾ (الأنفال ٤٨/٨) .

الثالث : المطلق ؛ وهو أن يتحرك الأول من الحرفين ، ويسكن الثاني ، كالتاء في ﴿ تَنَلُّوا ﴾ (يونس ٦١/١٠) ، والهمزة مع الحاء في نحو ﴿ أَحْمِلْكُمْ ﴾ (التوبة ٩٢/٩) ، والياء مع الضاد في نحو ﴿ يُضَلِّلِ ﴾ (النساء ٨٨/٤) ، وهو قليل ، وقد درج من العلماء على إدخاله في الكبير فيصير الإدغام - عندهم - قسمين كبير وصغير .

(١) انظر الإدغام الكبير لأبي عمرو (تحقيق د. عبد الكريم حسين) ٢١ - ٣٩ ، ونحفة العصر لي التجويد ١١٣ .

فأندته :

فعلت العرب ذلك طلباً للخفة ، إذ النطق بحرف واحد فيه خفة وسهولة عن النطق بحرفين ، ولذا قال ابن جني : " والمعنى لهذا كله تقريب الصوت من الصوت " ^(١) .

صور الإدغام عند اللغويين :

لا يعدو تآثر أحد الصوتين المتجاورين بالآخر أن يكون علي إحدى الصوتين الآتيتين :

١ - أن يتأثر الصوت الثاني بالصوت الأول ، وذلك هو التآثر التقدمي .

٢ - أن يتأثر الصوت الأول بالثاني ، وذلك هو التآثر الرجعي ^(٢) .

وبناء علي ذلك ، فإن الدكتور عبد الصبور شاهين يرى أن الإدغام يتم علي صورتين :

١ - الإدغام الرجعي : وذلك حين يفنى الصوت الأول في الثاني . وهذا هو القياس في الإدغام ، وهو أهم أشكاله جميعاً ، مثل : ﴿ كَلَّمَا حَبَّتْ زِدْنَهُمْ سَعِيرًا ﴾ (الإسراء: ٩٧/١٧) .

٢ - الإدغام التقدمي : وذلك حين يفنى الصوت الثاني في الأول ، قياساً في صيغة افتعل ، حين تكون الفاء فيها صوتاً مجهوراً . كما في (اذكروا دعوى) وشذوذاً في مثل (جلدّه) في (جلدته) ^(٣) .

(١) الخصالص ١٤٢/٢

(٢) النظر اللهجات العربية للدكتور إبراهيم أنيس ٧٠

(٣) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ٢٣٧

كيف يحدث الإدغام؟

أولاً : الإدغام في المتماثلين :

- ١ - إذا كان أولهما ساكناً وجب إدغامه في الثاني ، لاجتماعهما بلا فاصل ، نحو : ﴿ أَذْهَبَ يَكْتَبِي ﴾ .
- ٢ - إذا كان أولهما متحركاً ، فينبغي تسكينه أولاً بحذف حركته حتى لا تكون فاصلاً يمنع الإدغام ، ثم يدغم في الثاني . نحو : ﴿ النَّاسَ سَكَّرَى ﴾ (الحج: ٢/٢٢)

ثانياً : الإدغام في المتجانسين والمتقاربين :

- ١ - إذا كان الأول منهما ساكناً وجب قلبه أولاً إلى مثله الثاني . ثم إدغامه فيه وذلك لأن الإدغام لا يحدث إلا بين مثلين - بالفعل أو بالقلب - نحو : ﴿ قَالَتْ طَافِيَةٌ ﴾ (الأحزاب: ١٣/٣٣) فالتاء والطاء متجانسان ، فيجب قلب التاء طاء ، ثم تدغم بعد ذلك في الطاء الثانية ، وكذلك في المتقاربين نحو : ﴿ بَلَّ رَانَ ﴾ (المطففين: ١٤/٨٣) فهنا أيضاً يجب القلب ثم الإدغام.
- ٢ - إذا كان أولهما متحركاً ، فإن اللغويين يطلقون عليه : الإدغام الكبير ، لأن فيه عدة عمليات صوتية ، تبدأ أولاً بتسكين المتحرك الأول ، ثم قلبه بعد التسكين إلى مثل الثاني ثم يدغم الأول في الثاني ، فلا بد إذن من هذه الخطوات الثلاث ، نحو : ﴿ أَخْرَجَ شَطْرَهُ ﴾ (الفتح: ٢٩/٤٨) إذ ينبغي تسكين الجيم أولاً ، ثم قلبها شيئاً ثانياً ، ثم إدغامها في الشين الثانية ثالثاً^(١) .

(١) النظر : أصوات اللغة العربية للدكتور محمد حسن جمل ٣٣٣ .

الإدغام والقبائل العربية :

ينسب الإدغام إلى القبائل البدوية ، وبخاصة تميم ، ولعل سيبويه أول من أشار إلى ذلك في كتابه إذ يقول " ومما قالت العرب تصديقاً لهذا في الإدغام قول بني تميم : محم ، يريدون : معهم ، ومحاولاء ، يريدون : مع هؤلاء " ^(١) .

كما نسب سيبويه الإظهار أو الفك لأهل الحجاز إذ يقول : " وإن لم تدغم قلت : هل رايت ، فهي لغة لأهل الحجاز ، وهي عربية جائزة " ^(٢) .

ولكن لماذا عرف الإدغام في قبيلة تميم وما جاورها من القبائل التي تميل للبدو؟ لا يجد المرء أدنى صعوبة في تفسير ذلك ، إذ من البدهي أن القبائل البدوية تميل إلى السرعة في النطق ، ولا تعطي كل حرف حقه بإخراجه من مخرجه ، فكان الإدغام ناشئاً عن السرعة في الكلام ، على حين نجد الثاني في النطق والتؤدة في الكلام من سمات البيئات الحضرية ، فلا مجال للإدغام الذي ينشأ عن السرعة .

ولكن يجدر بنا أن نستدرك هنا فنقول إن القرآن الكريم قد نزل بالفك والإدغام ؛ فلم يعد هناك مجال للحديث عن هاتين الظاهرتين باعتبارهما من صفات اللهجات إلا من قبيل الدراسة التاريخية ، كما أشار الدكتور انيس بقوله عن ظاهرة الإدغام : " فهي في أصلها من الظواهر التي كانت تفرق بين قبائل وسط الجزيرة وشرقيها وبين البيئتين الحجازية ، لكنها صارت فيما بعد صفة من صفات اللغة الأدبية المشتركة بين جميع القبائل " ^(٣) ومعلوم أن تلك اللغة المشتركة هي التي نزل بها القرآن فيما بعد .

(١) الكتاب ٤/٤٥٠ .

(٢) الكتاب ٤/٤٥٧ .

(٣) في اللهجات العربية ٧٤ .

الإدغام عند أصحاب المعاني :

يُعد اهتمام أصحاب معاني القرآن بالإدغام في كتبهم أمرا بدهيا وإن اختلفوا - بطبيعة الحال - في طريقة تناولهم للظاهرة ما بين مجمل ومفصل ، ومكثر ومقل ، وسوف أقوم بتناول ذلك فيما يلي :

أولا : الإدغام الكبير :

١ - إدغام الباء في الباء :

وهما مثلان ، وقد جاء ذلك في تفسير الأخفش لقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ ﴾ (البقرة ٢٠/٢) حيث قال : " فمنهم من يدغم ويسكن الباء الأولى ^(١) ؛ لأنهما حرفان مثلان ، ومنهم من يحرك فيقول : (لذهب بسمعهم) " ^(٢) وقد ذهب الأخفش هنا إلى أن المماثلة سبب الإدغام .

٢ - إدغام التاء :

ويشمل الصور التالية :

(١) وهي قراءة أبي عمرو بن العلاء كما في الإدغام الكبير له (تحقيق د. عبد الكريم حسين) ٤٥ والسبعة ١١٦ ، وقد وافقه رويس والسوس ويعقوب وابن محيصن واليزيدي والحسن والمطوعي ، كما في الإتحاف ١٣١ ومعجم القراءات ٦٠/١ .

(٢) معاني القرآن للأخفش ٥٦/١ ، وقد نقل الدكتور عيسى شحاتة هذا النص عن الأخفش في كتابه : (العربية والنص القرآني) ص ١١٦ ، ونقل بعده قول الأخفش " جعل السمع في لفظ واحد وهو جماعة ، لأن السمع قد يكون جماعة وقد يكون واحدا " ثم علق عليه قائلا : " ويلاحظ أن الأخفش علل لهذا الإدغام وربطه بالدلالة " . والحقيقة أن هذا وهم منة ، فإن الدلالة هنا لم تتغير بالإدغام ، ولم يرد الأخفش شيئا من هذا كما هو ظاهرا

أ - إدغام التاء في التاء :

يقول الأخفش^(١) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمَنَّوْا﴾ (النساء ٣٢/٤): "إن شئت أدغمت (التاء) الأولى في الأخيرة"^(٢). فإن قيل: (كيف يجوز إدغامها وأنت إذا أدغمتها سكنت وقبلها الألف الساكنة التي هي لا؛ فتجمع ما بين ساكنين؟) قلت: إن هذه الألف حرف لين، وقد يدغم بعد مثلها في الاتصال وهي غيره.

نحو: يضرىاني، و﴿فَلَا تَتَنَجَّوْا بِالْأَيْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المجادلة ٩/٥٨) "..."

أي إن الأخفش يرى أن الذي سوغ الإدغام هنا أن ما قبل التاء حرف مد، وهذا يعنى - بمفهوم المخالفة - أن الحرف المدغم لو سبق بغير مد لما جاز إدغامه، لأن إدغامه يستلزم تسكينه أولاً، فيجتمع عندئذ ساكنان. وهذا ممتنع.

وقد فصل الزجاج في الآية الأخيرة فقال^(٣): "... وفي (تتناجوا) ثلاثة أوجه؛ فلا تتناجوا بتاءيين ظاهرتين، وتاء واحدة مدغمة مشددة: (فلا تناجوا)، وإنما أدغمت التاء لأنهما حرفان من مخرج واحد متحركان وقبلهما الف، والألف قد يكون بعدها الدغم نحو دابة وراد، ويجوز الإظهار لأن التاء بين في أول الكلمة، وإن (لا) كلمة على حالها، و(تتناجوا) كلمة

(١) معاني القرآن ٢٥٤/١.

(٢) ولم أجد أحداً - فيما بين يدي من المصادر - قرأ بالإدغام في هذه الآية.

(٣) قرأ ابن محيصن: (فلا تناجو) بإدغام التاء في التاء، ولكن يبدو أنه رجع عن ذلك فأظهر

، النظر معجم القراءات ٣٧١/٩.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣٧١/٥.

أخرى.... ويجوز حذف التاء لاجتماع التاءين..... ولا اعلم احدا قرأ (ولا تناجوا) بتاء واحدة، ^(١) ولكن تقرا (فلا تناجوا) ^(٢) اى لا تفتعلوا من النجوى "

ب - إدغام التاء فى التاء:

يقول الأخفش فى تفسيره لقوله تعالى : (اناقلتم) : " لأنه من (تثاقلتم) ، فادغم التاء فى التاء ، فسكنت ، فأخذت لها الفاء ليصل إلى الكلام بها " ^(٣) ويكاد يكون هذا الكلام هو نص كلام الزجاج فى هذا الموضوع من كتابه ايضا ^(٤) اما الفراء فقد فصل قليلا فقال : " معناه والله اعلم : (تثاقلتم) فإذا وصلتها العرب بكلام ادغموا التاء فى التاء ، لأنها مناسبة لها ، ويحدثون الفاء لم يكن ؛ ليبينوا الحرف على الإدغام فى الابتداء والوصل ، وكان إحداثهم الألف ليقع بها الابتداء ، ولو حذفتم لأظهروا التاء لأنها مبتدأة ، والمبتدأ لا يكون إلا متحركا... " ^(٥) والعلاقة الصوتية بين التاء والتاء هى التى سوغت ذلك الإدغام ، فهما متقاربان من حيث المخرج ، فمخرج التاء بين طرف اللسان وأصول الثنايا ، ومخرج التاء مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا .

ج - إدغام التاء فى الدال:

كما جاء فى قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَآذَرْتُمْ فِيهَا ﴾ (البقرة:

٧٢/٢) يقول الأخفش: " وإنما هى : (هتدراتم) ولكن التاء تدغم فى (الدال)؛

(١) بل قرأ ابن محيىن كذلك ، النظر الإنحاف ٤١٢ ، ومعجم القراءات ٣٧١/٩ .

(٢) وهى قراءة الكسالى وحمة والأعمش وآخرين كما فى النشر ٣٨٥ / ٢ والإنحاف ٤١٢ .

(٣) معانى الأخفش ٣٥٨/١ .

(٤) النظر معانى الزجاج ٤٤٧/٢ .

(٥) معانى الفراء ٤٣٧ / ١ - ٤٣٨ .



لأن مخرجها من مخرجها؛ فلما ادغمت فيها حولت: فجعلت دالا مثلها،
وسكنت فجعلوا ألفا قبلها حتى يصلوا إلى الكلام بها... ومثلها... ﴿أَفَلَمْ
يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ (المؤمنون ٢٣ / ٦٨) ومثله في القرآن كثير، وإنما هو:
(يتدبرون) فادغمت التاء في الدال؛ لأن التاء قريبة المخرج من الدال، مخرج
الدال بطرف اللسان وأطراف الثنيتين، ومخرج (التاء) بطرف اللسان وأصول
الثنيتين. فكل ما قرب مخرجه فافعل به هذا، ولا تقل في (يتنزلون): ينزلون؛
لأن النون ليست من حروف الثنايا كالتاء" ^(١). وأما الضراء فقد تحدث عن
إدغام التاء في الدال أيضا، ولكن في آية أخرى ^(٢)، فقال: " كذلك قوله: ﴿
حَتَّىٰ إِذَا آدَارُكُوا فِيهَا جَمِيعًا﴾ (الأعراف ٧ / ٣٨) ^(٣)..... والعرب تقول: (حتى
إذا اداركوا) تجمع بين ساكنين: بين التاء من تداركوا وبين الألف من إذا،
وبذلك كان يأخذ أبو عمرو بن العلاء ^(٤)، ويرد الوجه الأول ^(٥)، وانشدني
الكسائي: [البسيط]

(١) معان الأخفش ١١٤/١.

(٢) معان الضراء ٤٣٨/١.

(٣) هي قراءة الجماعة، همزة وصل، ثم دال مشددة مفتوحة، بعدها ألف، وقرأ أبو عمرو
وابن أبي بزة: (اداركوا) بقطع ألف الوصل، فكأنه سكت علي إذا للتذكر، فلما طال
سكوته قطع ألف الوصل المتدئ لها، كما في القرطبي ٢٠٤/٧، والنظر البحر المحيط
٢٩٦/٤ واختسب ٢٤٧/١ ومعجم القراءات ٣٩/٣-٤١.

(٤) وهي رواية عصمة الفقيمي عنه كما في البحر ٢٩٦/٤ والقرطبي ٢٠٥/٧، وانظر معاني
الضراء ٤٣٨/١ (هامش)، ولم أجد هذه القراءة في الإدغام الكبير لأبي عمرو.

(٥) تعددت الروايات عن أبي عمرو في هذا الموضع، انظر معجم القراءات في الموضع السابق
ذكره.

ثُولِي الضَّجِيعِ إِذَا مَا اسْتَأْفَهَا خَصِرَا عَذَبَ الْمَذَاقُ إِذَا مَا أَتَابَعَ الْقَبْلُ " (١)

ويقول الزجاج في الآية نفسها : " اي تداركوا " وادغمت التاء في الدال ، فإذا وقفت علي قوله : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا ﴾ (آل عمران ١٥٢/٣) لم تبتدئ حتى تأتي بالف الوصل؛ فتقول : (إداركوا) فتأتي بالف الوصل لسكون الدال فيها " (٢) وظاهر أن مسوغ الإدغام هنا أنهما حرفان متجانسان ، فمخرجهما واحد ، مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا ، ولكنهما يختلفان من حيث الهمس والجهر ، فالتاء مهموسة والدال مجهورة.

د - إدغام التاء في الدال:

وقد جاء هذا في معاني الأخص حيث يقول : " وقال: (وجاء المعتزرون) (٣) خفيفة ، لأنها من (اعذروا) وقال بعضهم : (المعذرون) (٤) ثقيلة ، يريد المعتذرون ، ولكن ادغم التاء في الدال " (٥) .

وقد جاء نص الفراء (٦) في هذا الموضع قريباً من هذا ، ولكنه اضاف امثلة اخري ، وهي (يذكرون) ، و(يذكر).

(١) البهت غير منسوب في تفسير الطبري ٩٤/١٠ ، ولسان العرب (سيف) ٢١٧١/٣ - ٢١٧٢ ، والمحزر الوجيز ١٨٣/٨ .

(٢) معاني الزجاج ٣٣٦/٢ .

(٣) هي قراءة ابن عباس وما قرأ الكسائي ويعقوب وعاصم في رواية أبي بكر ، وآخرون كما في معجم القراءات ٤٣٦/٣ .

(٤) وهي قراءة الجمهور كما في الإنحاف ٢٤٤ ومعجم القراءات ٤٣٥/٣ .

(٥) معاني الأخصف ٣٦٢/١ - ٣٦٣ .

(٦) معاني الفراء ٤٤٧/١ .

وكذلك فعل الزجاج إلا أنه ذكر سبب الإدغام فقال : " إلا أن التاء ادغمت في الذال لقرب مخرجهما " (١) .

ثم أفاض في شرح المعنى والقراءات الواردة في الكلمة ، وهو ما فعله تلميذه النحاس في معانيه أيضاً ، إلا أنه أضاف قاعدة مهمة إذ يقول : " ولا يجوز أن يكون بمعنى المعتذر؛ لأنه إذا وقع الإشكال ، لم يجز الإدغام " (٢)

وقد جاء عند جامع العلوم النحوي في كتابه الكشف : جواز الإدغام والإظهار بين التاء والذال ، فقال : " وإدغام الذال في التاء حسن فيها : لأن الذال قريبة المخرج من التاء ، وإظهارها أيضاً حسن ، لأن الذال مجهورة ، والتاء مهموسة ، قالوا : فلا يدغمها فيها ؛ لأن المجهورة أقوى من المهموسة ، والأقوى لا يدغم في الأضعف " (٣)

والحرفان متقاربان ، وهو ما سوغ الإدغام ، فمخرج التاء مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا ، ومخرج الذال مما بين طرف اللسان ، وأطراف الثنايا .

هـ - إدغام التاء في الزاي :

قال الأخفش في قوله تعالى : ﴿ وَأَزَيْنَتْ ﴾ (يونس ٢٤/١٠) : " يريد : وتزينت ، ولكن ادغم (التاء) في (الزاي) لقرب المخرجين ، فلما سكن أولها زيد فيها ألف وصل... " (٤)

وأشار الفراء إلى ذلك عرضاً فقال : " وقوله : (وأزَيْنَتْ) المعنى - والله أعلم - تزينت " (٥)

(١) معاني الزجاج ٤٦٤/٢ .

(٢) معاني النحاس ٢٤٣/٣ .

(٣) الكشف في نكت المعاني والإعراب ١٩٣/١ .

(٤) معاني الأخفش ٣٧٢/١ .

(٥) معاني الفراء ٤٣٨/١ .

ونص الزجاج هنا قريب من نص الأخفش ، غير انه اضاف قراءات آخر.^(١)
وقد تحدث الفراء عن إدغام التاء في الزاى مرة اخرى في حديثه عن قوله تعالى: ﴿ تَزَاوَرُ ﴾ (الكهف ١٨ / ١٧) " حيث قال : " وقرئت (تَزَاوَرُ)^(٢) وتريد (تتزاور) فتدغم التاء عند كذلك قال الزجاج بعد ان عدد اوجه الكلمة : " ... ووجه رابع : (تزاور) ، والأصل تتزاور ، فادغمت التاء في الزاى " .^(٣)

و - إدغام التاء في السين :

تحدث الأخفش عن ذلك في قوله تعالى : ﴿ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ﴾ (النساء ١/٤) فقال : " خفيفة ، لأنها من تساؤلهم .. و إن شئت ثقلت فادغمت"^(٤)
وذكر الفراء أنها قراءة ، فقال : " وقرأ بعضهم (تساءلون به) ^(٥) يريد : تتساءلون به ، فادغم التاء عند السين "^(٦) . وأشار الفراء إلى هذا الإدغام في موضع آخر من كتابه^(٧) .

وذكر الزجاج سبب إدغام التاء في السين فقال : " وادغمت التاء في السين لقرب مكان هذه من هذه "^(٨) وقد ذكر النيسابوري هذا الإدغام في

(١) معاني الزجاج ١٤/٣ .

(٢) هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ونافع وأبي جعفر ، كما في النشر ٣١٠/٢ والإنحاف ٢٨٨ .

(٣) معاني الزجاج ٢٧٣/٣

(٤) معاني الأخفش ٢٤٣/١

(٥) هي قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وأبي عمرو مع خلاف عنه - ويعقوب وأبي جعفر ، كما في النشر ٢٤٧/٢ ، والإنحاف ١٨٥ .

(٦) معاني الفراء ٢٥٣/١

(٧) النظر معاني الفراء ١٦٦/٢ .

(٨) معاني الزجاج ٦/٢

كتابه أيضاً: فزي باهر البرهان: " (تساقط)^(١) أي: تتساقط، فادغمت التاء في السين؛ لأنهما مهموستان " ^(٢) وفي إيجاز البيان " تتساقط، ادغمت التاء في السين " ^(٣)

ز - إدغام التاء في الشين:

وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا﴾ (البقرة ٧٠/٢)، حيث يقول الأخفش^(٤): ".... وإن شئت قلت (يشابه)، وهي قراءة مجاهد^(٥): ذَكَرَ البقر، يريد: يتشابه؛ ثم ادغم التاء في الشين... "، وقد ذكر الزجاج قراءة أخرى^(٦)، أما الضراء فقد تحدث عن إدغام التاء في الشين ولكن في موضوع آخر وهو قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءِ بِالْغَمَمِ﴾ (الفرقان ٢٥/٢٥) حيث قال: "ويقرا (تشقق) بالتحديد^(٧)، وقرأها الأعمش وعاصم^(٨) (تشقق)

(١) قرأها أكثر القراء العشرة كما في النشر ٣١٨/٢ والميسوط لابن مهران ٢٨٨.

(٢) باهر البرهان ٨٨٤/٢.

(٣) إيجاز البيان ٥٣٦/٢.

(٤) معاني الأخفش ١١٢/١.

(٥) نسبت هذه القراءة لابن مسعود وذى الشامة ويحيى ابن يعمر والمطوعي، ولم تنسب

لمجاهد، أما مانسب لمجاهد فهو قراءة (تشبه) كما في معجم القراءات ١٢٤/١.

(٦) انظر معانيه ١٥٥/١، والقراءة هي (تشابه) بالتاء، وتحديد الشين، وهي قراءة عباس

عن أبي عمرو، انظر البحر المحيط ٢٥٤/١، ومختصر ابن خالويه ٧، ومعجم القراءات

١٢٣/١.

(٧) قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وأبي جعفر ويعقوب كما في النشر ٣٣٤/٢، والإتحاف

٣٢٨.

(٨) هي قراءة عاصم وحمة والكسائي وخلف والأعمش والحسن وأبي عمرو في المشهور

عنهما، وآخرين كما في البحر ٤٩٤/٦، والإتحاف ٣٢٨ ومعجم القراءات ٣٤٠/٦.

بتخفيف الشين ، فمن قرا (تَشَقَّق) اراد تَشَقَّق بتشديد الشين والقاف فادغم... " (١)

ومسوغ إدغام التاء في الشين أن بينهما تقارباً في المخرج ، فمخرج التاء - كما مر - مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا ، ومخرج الشين مما بين وسط اللسان وما يقابله من وسط الحنك الأعلى.

ح - إدغام التاء في الصاد :

وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿تَخْصِفَانِ﴾ (الأعراف ٢٢/٧) عند من قراها (يُخْصِفَانِ)، إذ يقول الأخفش : " جعلها من : (يختصفان) فادغم التاء في الصاد : فسكنت وبقيت الخاء ساكنة : فحركت الخاء بالكسر لاجتماع الساكنين... " (٢) وقد أشار الفراء (٣) والزجاج (٤) لهذا، وإن لم يصرحا بلفظ الإدغام ، وإن كانا قد صرحا به في مواضع آخر منها قول الفراء (٥) : " وكان ابن مسعود يدغم ﴿وَالصَّافِتِ صَفَاً﴾ (الصافات ١٤/٣٧) وكذلك (والتاليات) و(الزاجرات) يدغم التاء منهن (٦) " وقد جاء عند الزجاج في معانيه كلام قريب من هذا أيضاً (٧).

(١) معاني الفراء ٢٦٧/٢ .

(٢) الأخفش ٣٢٣/١ .

(٣) معاني الفراء - عند حديثه عن (يخضمون) - ١٨/١ ، و ٣٧٩/٢ .

(٤) معاني الزجاج ٣٢٧/٢ .

(٥) معاني الفراء ٣٨٢/٢ .

(٦) هذه قراءة أبي عمرو - بخلاف عنه - وحمة ويعقوب والأعمش ومسروق ، أنظر النشر

٢٨٨/١ و ٣١٠ والإتحاف ٤٠ ، والسبعة ٥٤٦ .

(٧) معاني الزجاج ٢٩٧/٤ .

والحرفان متقاربان في المخرج ، فمخرج التاء مما بين طرف اللسان
وأصول الثنانيا ، ومخرج الصاد مما بين طرف اللسان وفوق الثنانيا .

ط - إدغام التاء في الطاء :

جاء في معاني الأخفش^(١) عند قوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ﴾
(البقرة ٢٠/٢) ... وقال بعضهم: (يَخْطَفُ) ، وهو قول يونس^(٢) ، من
(يختطف) ؛ فادغم التاء في الطاء ؛ لأن مخرجها قريب من مخرج الطاء " .
وقد أشار الفراء^(٣) والزجاج^(٤) إلى هذا الإدغام أيضاً ، وذكر الفراء إدغام
التاء في الطاء مرة أخرى عند قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمُزُونَ
الْمُطَوِّعِينَ﴾ (التوبة ٧٩/٩) حيث قال^(٥) يراد به : (المتطوعين) ؛ فادغم التاء
في الطاء ، فصارت طاء مشددة ، وكذلك (ومن يطوع خيراً)^(٦) ،

(١) معاني الأخفش ٥٥/١ .

(٢) هي قراءة يونس والحسن وقتادة ، وعاصم في رواية أبي بكر ، النظر البحر ٩٠/١ ومعجم
القراءات ٥٧/١ .

(٣) النظر معاني الفراء ١٨/١ .

(٤) النظر معاني الزجاج ٩٥/١ .

(٥) معاني الفراء ٤٧٤/١ .

(٦) يريد قوله تعالى في سورة البقرة ١٥٨/٢ : (ومن تطوع خيراً) ، والقراءة التي ذكرها
لحمزة والكسائي وعاصم وخلف ويعقوب وغيرهم ، النظر النشر ٢٢٣/٢ ، والإنحاف

و(المطهرين)^(١)”

كما تحدث الزجاج عن ذلك أيضاً عن قوله تعالى ﴿بَيْتَ طَابِقَةٍ مِّنْهُمْ﴾
(النساء: ٨١/٤) حيث قال: ”وقرا القراء: (بيت طائفة)^(٢) على إسكان التاء
وإدغامها في الطاء... وإنما جاز الإدغام لأن التاء والطاء من مخرج واحد“^(٣).

ي - إدغام التاء في الضاء:

وقد جاء ذلك في قوله تعالى ﴿تَظْهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾
(البقرة: ٨٥/٢)، يقول الأخفش: ”وقال: (تظاهرون عليهم بالإثم
والعدوان)^(٤) فجعلها من (تظاهرون)، وإدغم التاء في الضاء، وبها نقرا“^(٥)
وقال الزجاج: ”قرئت بالتخفيف^(٦) والتشديد..... فمن قرأ بالتشديد فالأصل
فيه تتظاهرون، فأدغم التاء في الضاء لقرب المخرجين...“^(٧).

(١) من قوله تعالى في سورة التوبة ١٠٨/٩ ”.... والله يحب المطهرين) وهي قراءة الجماعة
، ولكن جاء في البحر ١٠٠/٥ أن علياً رضي الله عنه قرأ: (المتطهرين) وهذا يؤيد
الإدغام في (المطهرين).

(٢) قرأ أبو عمرو وحزمة بإدغام التاء في الطاء، النظر السبعة ٢٣٥، ومعجم القراءات
١١٧/٢.

(٣) معاني الزجاج ٨٢/٢

(٤) القراءة بتشديد الضاء قرأ بها ابن كثير ونالع وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب،
انظر: النشر ٢١٨/٢، والإتحاف ١٤٠، والسبعة ١٦٣.

(٥) معاني الأخفش ١٣٥/١.

(٦) أى: (تظاهرون)، وهي قراءة عاصم وحزمة والكسائي وخلف والأعمش كما في البحر
٢٩١/١ ومعجم القراءات ١٤٢/١.

(٧) معاني الزجاج ١٦٦/١.

٣ - إدغام الراء في الراء:

أشار الفراء إلى ذلك بقوله : وقوله : ﴿ لَا تُضَارَّ وَوَلِدَةٌ بَوْلِدَهَا ﴾ (البقرة: ٢٣٣/٢) يريد : لا تضارر^(١) أما الزجاج فقد تحدث كثيراً عن هذا في معانيه حيث يقول في أحد المواضع^(٢) : " ومن قرأ : (لا تضار والدة)^(٣) بفتح الراء ، فالموضع موضع جزم على النهى ، الأصل : لا تضارر ، فادغمت الراء الأولى في الثانية وفتحت الثانية لالتقاء الساكنين... " ويبدو كلام الزجاج وكأنه تفصيل لما أجمل الفراء .

وقد جاء عند الزجاج أيضاً : " ومعنى : ﴿ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ (البقرة: ٢٨٢/٢) قالوا فيه قولين : قال بعضهم : (لا يضار) : لا يضارر^(٤) ، فادغمت الراء في الراء ، وفتحت لالتقاء الساكنين... " ^(٥) .

ومن الأمثلة التي ذكرها الزجاج أيضاً لهذا الإدغام الكبير للراء مع الراء قوله^(٦) : " و ﴿ لَا يَضْرُكُمُ ﴾ (آل عمران: ١٢٠/٣) الأجود فيه الضم

(١) معاني الفراء ١٤٩/١ وهي قراءة ابن مسعود وعمر بن الخطاب وغيرهم كما في البحر

٢١٥/٢ ، والإتحاف ١٥٨ ..

(٢) معاني الزجاج ٣١٣/١ .

(٣) هي قراءة نافع وعاصم - في رواية حفص - وحمة والكساني وابن عامر ، كما في السبعة

١٨٣ وحجة القراءات لابن زنجلة ١٣٦ .

(٤) وهي قرارة عكرمة ، كما في البحر ٣٥٤/٢ ، ومعجم القراءات ٤٢٣/١ .

(٥) معاني الزجاج ٣٦٦/١ .

(٦) معاني الزجاج ٤٦٤/١ .

لالتقاء الساكنين^(١)، الأصل : لا يضرركم ، ولكن كثيراً من القراء والعرب يدغم في موضوع الجزم ، وأهل المجاز يظهرون التضعيف^(٢) وهذه الآية جاءت فيها اللغتان جميعاً .

٤ - إدغام القاف في القاف:

وقد تحدث الزجاج عنه في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (أنفال ١٣ / ٨) فقال^(٣) : " يشق ، ويشاق جميعاً ، إلا أنها هنا يشاقق ، بإظهار التضعيف مع الجزم ، وهي لغة أهل الحجاز ، وغيرهم يدغم ، فإذا ادغمت قلت : من يشاق زيداً أهنة ، بفتح القاف ؛ لأن القافين ساكنتان ، فحركت الثانية بالفتح لالتقاء الساكنين ، ولأن قبلها الفأ ، وإن شئت كسرت فقلت : يشاق زيداً ، كسرت القاف لأن أصل التقاء الساكنين الكسر ، فإذا استقبلتها الف ولام اخترت الكسر ، فقلت : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ ﴾ (الحشر ٤ / ٥٩) ، ولا أعلم أحداً قرأ بها " ^(٤)

(١) وهي قراءة ابن عامر وعاصم وحزمة والكسائي وأبي جعفر وخلف ، كما في النشر ٢٤٢/٢ ، والإتحاف ١٧٨ ، ومعجم القراءات ١ / ٥٦٤ .

(٢) وقد قرأ أبو بن كعب - رضی الله عنه - بفك الإدغام على لغة الحجازية : (لا يضرركم) ، كما في البحر ٤٣/٣ ، ومعجم القراءات ١ / ٥٦٥ .

(٣) معاني الزجاج ٤٠٥/٢ .

(٤) كما في معجم القراءات ٢٧٢/٣ . ولا أدري لم أتى بلفظة (يشاقق) في هذا الموضع من معجمه مع أنه ليس فيها قراءة أخرى ، كما قال هو : " أجمع القراء على الفك

(يشاقق) ١٩ ."

قال أبو حيان : " أجمعوا على الفك في (يشاقق) اتباعاً لخط المصحف ، وهي لغة أهل الحجاز ، والإدغام لغة تميم ، كما جاء في الآية الأخرى : (ومن يشق الله) "

٥ - إدغام اللام في اللام:

وذلك في قوله تعالى : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا ﴾ (البقرة:

٢٢/٢) حيث يقول الزجاج^(١) : " ويجوز في قوله : (جعل لكم الأرض) وجهان : الإدغام والإظهار ، تقول : (جعل لكم وجعل لكم الأرض)^(٢) ، فمن ادغم فلا اجتماع حرفين من جنس واحد وكثرة الحركات ، ومن أظهر - وهو الوجه وعليه أكثر القراء - فلأنهما منفصلان من كلمتين " .

٦ - إدغام الميم في الميم:

وذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ نِعَابًا يَعْظُمُ بِهِ ﴾ (النساء ٥٨/٤). يقول

الزجاج^(٣) : " هذه على أوجه : (نِعْمًا) بكسر النون والعين وإدغام الميم في الميم ، وإن شئت فتحت النون ، وإن شئت أسكنت العين فقلت (نَعْمًا) إلا أن الأحسن عندي الإدغام مع كسر العين ، فأما من قرأ (نَعْمُ ما) بإسكان العين والميم ، فهو شيء ينكره البصريون ، ويزعمون أن اجتماع الساكنين - أعني العين والميم - غير جائز ، والذي قالوا بئس ، وذلك أنه غير ممكن في اللفظ ، إنما يحتال فيه بمشقة في اللفظ " .

(١) معاني الزجاج ٩٩/١ .

(٢) القراءة بإدغام اللام في اللام قرأه أبي عمرو وكما في الإدغام الكبير له ٤٥ وقراءة يعقوب أيضاً كما في البحر ٩٧/١ و معجم القراءات ٦٣/١ .

(٣) معاني الزجاج ٦٧/١ .

ولم يكتف الزجاج بتعليقه هذا على قراءة (نَعَمْ ما) بإسكان العين والميم ، بل قال في موضع آخر :^(١)

" وذكر أبو عبيد^(٢) أنه روى عن النبي ﷺ قوله لابن العاصي : (نعما بالمال الصالح للرجل الصالح).^(٣) وليست هذه القراءة عند البصريين النحويين جائزة البتة ؛^(٤) لأن فيها الجمع بين ساكنين من غير حرف مد أو لين..."

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٩٧/٤ ، ٢٠٢ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب البيوع - باب اتخاذ المال) ٦٤/٤ وعزاه للطبراني وأبي يعلى وأحمد ، ثم قال : " ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح " . وأخرجه الهيثمي أيضاً في مجمع البحرين في زوائد المعجمين الأوسط والصغير والطبراني (كتاب البيوع - باب ائتناء المال) ٣٤٤/٣ حديث رقم ١٩٣٠ وأخرجه البخاري في الأدب المفرد حديث رقم ٣٠٠ (باب المال الصالح للمرأة الصالح) ٢٨٧ والحاكم (كتاب البيوع) رقم ٢١٨٣ وسكت عنه الذهبي والبهوي في شرح السنة ٩١/١٠ ، الغزالي في الإحياء وقال العراقي : أخرجه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط من حديث عمرو بن العاص بسند صحيح " الإحياء ٣٤٨/٣ ، وصححه الشيخ الألباني أيضاً في المشكاة ١١٠٩/٢ ..

(٢) كتاب أبي عبيد في القراءات مفقود ، كما في مقدمة العلامة رمضان عبد التواب لتحقيق (الغريب المصنف) ٥٢/١ - ٥٢ . ولم أجد هذا النص أيضاً في غريب الحديث لأبي عبيد في مادة (نعم) النظر فهارس الكتاب التي وضعها مجمع اللغة العربية بإشراف العلامة الطناحي ص ٢٢٤ .

(٣) جاء في مادة (نعم) من النهاية في غريب الحديث ٨٣/٥ : " ومنه الحديث : (نعماً بالمال) أصله : نعم ما ، فأدغم وشدد "

(٤) لا يصح هذا الكلام من الزجاج؛ لأن القراءة سعية ؛ فقد قرأها أبو عمرو - وهو بصري - بالطبع - ونافع - في غير رواية ورس - وعاصم في رواية أبي بكر والمفضل ، كما في السبعة ١٩٠ وقرأها من غير السبعة : أبو جعفر واليزيدي والحسن كما في البحر ٢٧٨/٣ ، ومعجم القراءات ٩٤/٢ .

ولعل الزجاج أخذ فكرة تخطئة هذه القراءة من الأخفش الذى يقول^(١) :
 "وقولهم : إن العين ساكنة من (نعما) إذا ادغمت خطأ ؛ لأنه لا يجتمع
 ساكنان ، ولكن إن شئت أخفيته"^(٢) ، فجعلته بين الإدغام والإظهار ، فيكون فى
 زنة متحرك... " .

وقد نقل السيرافى عن الفراء قوله عن إدغام الميم فى الميم : " كلّ حرف
 إذا شُدد أدى مثله ، إلا الميم ؛ فإنها إذا شُددت أدت نوناً "^(٣) ، وهذا يعنى أن
 الحرف المدغم (المشدد) لا يُسمع منه صوت غير الصوت نفسه فيما عدا حرف
 الميم - عند الفراء - فإنه إذا شُدد ذهب صوت الميم كلياً وسُمع صوت النون ،
 وهذا قول غريب ليس له ما يؤيده فى التراث الصوتي العربي ، إذ لم يقل أحد
 من السابقين عليه أو اللاحقين له أن الإدغام يحمل ماثا هذا الأثر ، كما أن
 النطق المعاصر لصوت (الميم) المدغم لا يساعد الفراء على هذا الرأي^(٤) .

٧ - إدغام النون فى النون:

وذلك فى قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ ﴾ (البقرة ١٣٩/٢) حيث
 يقول الأخفش^(٥) : " وقال : (اتحاجونا)^(٦) مثقلة ، لأنهما حرفان مثلان ،

(١) معانى الأخفش ٢٧٤/١ .

(٢) القراءة بالإخفاء قرأها أبو عمرو وأبو بكر وقالون ، وقد ذكرها مكى العيسى فى كتابه
 : الكشف ٣١٦/١ ، والبصرة ١٦٥ ، ولكن خطأ القراءة بإمكان العين كما فعل
 الأخفش محقق الكشف عن هذا .

(٣) ما ذكره الكوفيون من الإدغام للسيرافى ٦٧ .

(٤) ولذا فقد قام السيرافى بتنفيذه فى كتابه : ما ذكره الكوفيون من الإدغام ٦٨ ، والنظر
 أيضاً : دراسات لغوية فى تراثنا القديم ٤٧ .

(٥) معانى الأخفش ١٥٩/١ - ١٦٠ وانظر مثلاً آخر ٤٣٣/٢ .

فادغم أحدهما في الآخر وقال بعضهم : (اتحاجوننا) ، فلم يدغم ، ولكن أخفى^(١) ؛ فجعل حركة الأولى خفيفة ، وهي متحركة في الوزن ، وهي في لغة الذين يقولون : (هذه مائة درهم) يشمون شيئاً من الرفع ولا يبيتون ؛ وذلك الإخفاء ، وقد قرئ هذا الحرف على ذلك : ﴿ مَا لَكَ لَا تَأْتِنَا عَلَيَّ يُوسُفَ ﴾ (يوسف ١١/١٢)^(٢) بين الإدغام وبين الإظهار ، ومثل ذلك : ﴿ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذَهَبُوا بِهِ ﴾^(٣) واشباه هذا كثير وإدغامه أحسن حتى يسكن الأول " (٥) .

والإشمام المقصود : ضم حركة الشفتين إشارة إلى حركة الفعل مع الإدغام الصريح^(٦) .

(١) القراءة بالإدغام (أتحاجوننا) قراءة زيد بن ثابت والحسن والأعمش وابن محيصن والمطوعي - في إحدى روايتين عنه - كما في البحر ٤١٢/١ والإتحاف ١٤٨ ، ومعجم القراءات ٢٠٣/١ .

(٢) لم أجد من قرأ بالإخفاء ، والنظر معجم القراءات ٢٠٣/١ .

(٣) القراءة بالإدغام مع الإشمام هي قراءة السبعة كما في سبعة ابن مجاهد ٣٤٥ وتبصرة مكى القيس ٢٢٧ .

(٤) قرأ السبعة بفك النونين ، غير أن نالماً يضم الياء (ليحزني) ويفتح الياء الأخيرة ، النظر السبعة ٢١٩ ومعجم القراءات ١٩٨/٤ .

(٥) القراءة بالإدغام (ليحزني) بتشديد النون وفتح أوله من (حزن) قرأ بها زيد بن علي وابن هرمز وابن محيصن كما في البحر ٢٨٦/٥ .

(٦) النظر معجم القراءات ٤٣/١١ .

وقد اشار الضراء إلى الإشمام أيضاً قوله تعالى : ﴿ مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا ﴾ (يوسف ١٢ / ١١) فقال^(١) : " وقوله (لا تأمنا) تشير إلى الرفعة ، وإن تركت فصواب ، كل قد قرئ به ... " .

وقد لخص الزجاج آراء الأخص والضراء ، ولم يخرج عنها^(٢) ، في حديثه عن قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَتَحَايُونََنَا ﴾ ولكنه فصل القول في القراءات في قوله تعالى ﴿ مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا ﴾ (يوسف ١٢ / ١١) ، وبين مسوغ الإدغام بقوله : " والإدغام لأن الحرفين من جنس واحد ، والإشمام يدل على الضمة المحذوفة ، وترك الإشمام جيد ؛ لأن الميم مفتوحة فلا تغير ، والإظهار في (تأمنا) جيد ؛ لأن النونين من كلمتين "^(٣) وكذلك فعل مع قوله تعالى : ﴿ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ﴾ حيث قال^(٤) : " فمن قرأ (مكنى)^(٥) ادغم النون في النون لا النونيين ، ومن قرأ (مكنى)^(٦) بنونين ، اظهر النونيين لأنهما من كلمتين الأولى من فعل ، والثانية تدخل مع الاسم المضمرة " .

٨ - إدغام الهاء في الهاء

وذلك في قوله تعالى : ﴿ فِيهِ هُدًى ﴾ (البقرة: ٢/٢) حيث قال

(١) معاني الفراء ٣٨/٢ .

(٢) النظر معاني الزجاج ٢١٦/١ - ٢١٧ .

(٣) معاني الزجاج ٩٤/٣ - ٩٥ .

(٤) معاني الزجاج ٣١١/٣ .

(٥) وهي قراءة الجمهور ومنهم السبعة إلا ابن كثير كما في السبعة ٤٠٠ والإتحاف ٢٩٥ .

(٦) هي قراءة ابن كثير ومجاهد وحيد كما في معجم القراءات ٣٠٢/٥ .

الأخفش^(١) : " قد قرأ بعض القراء : (فيه هدى)^(٢) : فأدغم الهاء الأولى في هاء هدى؛ لأنهما التقتا وهما مثلان " .

وقد وصف الزجاج هذه القراءة بقوله^(٣) : " فأما قراءة : (فيه هدى) بإدغام الهاء في الهاء فهو ثقیل في اللفظ ، وهو جائز في القياس ؛ لأن الحرفين من جنس واحد ، إلا أنه ثقیل في اللفظ لأن حروف الحلق ليست بأصل في الإدغام ، والحرفان من كلمتين ، وحكى الأخفش أنها قراءة "

٩ - إدغام الياء في الياء

وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَيَخَيِّ مِّنْ حَىٰ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾ (الأنفال ٤٢ / ٨) ،

فقد تحدث الأخفش عن ذلك فقال^(٤) : " فالزم الإدغام إذا صار في موضع يلزمه الفتح؛ فصار مثل باب التضعيف ، فإذا كان في موضع لا يلزمه الفتح لم يدغم ، نحو : (بقادر على أن يحيى الموتى) ، إلا أن تشاء أن تخفي ، وتكون في زنة متحرك ، لأنها لا تلزمه ؛ لأنك تقول : (يحيى)^(٥) فتسكن في الرفع ، وتحذف

(١) معاني الأخفش ٢٨/١ .

(٢) ومنهم أبو عمرو وكما في الإدغام الكبير له ص ٤٥ ، وكذلك يعقوب وابن محيصن واليزيدي والحسن عن المطوعي ، كما في البحر ٣٧/١ ، والنشر ٢٨٤/١ .

(٣) معاني الزجاج ٧٠/١ .

(٤) معاني الأخفش ٣٥٠/١ .

(٥) وهي قراءة طلحة بن سليمان والفياض بن غزوان (يحيى) بسكون الياء الثانية كما في البحر ٣٩١/٨ ، والمختص ٣٤٢/٢ ، ومعجم القراءات ٢٠٠/١٠ .

فى الجزم ، فكل هذا يمنع الإدغام ، وقال بعضهم : (من حيى عن بينة)^(١) ولم يدغم إذا كان لا يدغمه فى سائر ذلك ، وهذا أقبح الوجهين^(٢) "

أما الفراء فقد قال^(٣) : " وقوله عز وجل : (ان يحيى الموتى) تظهر الياء بين ، وتكسر الأولى وتجزم الحاء ، وإن كسرت الحاء ، ونقلت إليها إعراب الياء الأولى التى تليها كان صواباً ، كما قال الشاعر : [الكامل]

وَكَأَنَّهَا بَيْنَ النَّسَاءِ سَبِيكَةٌ تَمْشِي بِسُدَّةٍ بَيْتَهَا فَتَعِي

أراد فتعيا " .

وقد ناقش الزجاج قول الفراء هذا - دون ان يصرح باسم - وبين ان لا يجوز فى الآية إلا إظهار الياءين ، ثم ذكر البيت السابق وقال : " ولو كان هذا المنشد المستشهد اعلمنا من هذا الشاعر ، ومن أى القبائل هو ، وهل هو ممن يؤخذ بشعره أم لا ما كان يضره ذلك ، وليس ينبغي أن يحمل كتاب الله على (أنشد فى بعضهم) ولا على بيت شاذ ، لو عرف قائله وكان ممن يؤخذ بقوله لم يجز " .

(١) هى قراءة نافع - وحسبك به- وابن كثير وعاصم- بخلاف عنها- وابن جعفر ويعقوب

وخلف ، كما فى النشر ٢٧٦/٢ والإتحاف ٢٣٧ ومعجم القراءات ٣٠١/٣ .

(٢) هذا لفظ لا يلىق أن توصف به قراءة سبعة ، وبخاصة أن الفك والإدغام لغتان مشهورتان

، فلا مبرر لهذا فى رأيي

(٣) معاني القراء ٢١٣/٣ .

ثانياً : الإدغام الصغير

١ - إدغام التاء ، ويتضمن ما يلي :

أ - تاء التانيث :

اختلف القراء في إدغام تاء التانيث وإظهارها إذا أتى بعدها أحد حروف الصغير ، أو التاء والجيم والطاء^(١) ، وقد ذكر الزجاج شيئاً من ذلك عند قوله تعالى : ﴿ كَلَّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ (النساء ٤ / ٥٦) ، حيث قال^(٢) : " الأحسن إظهار التاء ها هنا مع الجيم ، لئلا تكثر الجيمات ، وإن شئت أدغمت التاء في الجيم"^(٣) : لأن الجيم من وسط اللسان ، والتاء من طرف ، والتاء حرف مهموس ؛ فأدغمتها في الجيم "

ب - تاء الافتعال مع الدال والذال والزاي :

تدغم تاء الافتعال إذا جاء بعدها دال أو ذال أو زاي ، وقد جاء هذا في معاني الأخفش حيث يقول^(٤) هي آية : ﴿ وَأَذَكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ (يوسف ١٢ / ٤٥) : ، وإنما هي افتعل من ذكرت ، فأصلها اذتكر ، ولكن اجتمعا في كلمة واحدة ، ومخرجاها متقاربان ، وأرادوا أن يدغموا ، والأول حرف مجهور ؛ وإنما يدخل الأول في الآخر والآخر مهموس ، فكرهوا أن يذهب منه الأجر ، فجعلوا في موضع التاء حرفاً من موضعها مجهوراً ، وهو الدال ؛ لأن الحرف الذي قبلها

(١) الظر : النشر ٣/٢ ، والإتحاف ١/١٣٠ .

(٢) معاني الزجاج ١/٦٥ .

(٣) قرأ أبو عمرو وحمة والكسائي وخلف بإدغام التاء في الجيم ، كما في النشر ٦/٢ ، والإتحاف ٢٨ .

(٤) معاني الأخفش ١/٣٩٨ .

مجهور ، ولم يجعلوا الطاء : لأن الطاء مع الجهر مطبقة ، وقد قال بعضهم :
(مذكر) فأبدل التاء ذالاً ، ثم ادخل الذال فيها " .

وقد ذكر الضراء أمثلة كثيرة في معانيه لهذا الإدغام ، ومنها قوله :
" وبعض العرب يقول : (تذخرون)^(١) فيجعل الدال والذال يعتقبان في تفتعلون
من ذخرت ... فأما الذين يقولون : يدخرو يدكر ومدكر ، فإنهم وجدوا التاء
إذا سكنت واستقبلها ذال دخلت التاء في الذال فصارت ذالاً ، فكرهوا أن تصير
التاء ذالاً ، فلا يعرف الارتفاع من ذلك ، فنظروا إلى حرف يكون عدلاً بينهما
في المقاربة ، فجعلوه مكان التاء ومكان الذال ، وأما الذين غلبوا الذال فأمضوا
القياس ، ولم يلتفتوا إلى أنه حرف واحد ، فأدغموا تاء الارتفاع عند الذال
والتاء والطاء ... ولقد قال بعضهم : مزجر^(٢) ، فغلب الزاي كما غلب التاء " .

وفي قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ (القمر ١٥ / ٥٤) يقول الزجاج :^(٣)

القراءة بالبدال غير المعجمة ، وأصله مذكر ، بالذال والتاء ولكن التاء أبدل
منها الذال ، والذال من موضع التاء ، وهي أشبه بالذال من التاء ، فأدغمت
الذال في الدال ، فهذا هو الوجه ، أعني القراءة بالبدال - غير معجمة - وقد
قال بعض العرب (مذكر)^(٤) بالذال معجم ، فأدغم الثاني في الأول ، وهذا

(١) معاني الفراء ٢١٥/١ - ٢١٦ .

(٢) وهي قراءة الجمهور ، وقرأ نجاهد والزهرى وغيرهما (تذخرون) ، وانظر مختصر ابن
خالويه ٢٠ ، وإعراب القراءات الشاذة للعكبري ١/٣٢٠ .

(٣) وهي قراءة زيد بن علي كما في فتح القدير ١٢١/٥ ، وانظر البحر ١٧٤/٨ ومعجم
القراءات ٩/٢١٤ .

(٤) معاني الزجاج ٨٨/٥ .

(٥) هي قراءة ابن مسعود وقتادة وعيسى بن عمرو وعباس عن أبي عمرو ، كما في البحر
١٧٨/٨ ومختصر ابن خالويه ١٤٨ وانظر إعراب القراءات الشاذة ٢/٥٣٠ .

ليس بالوجه ، إنما الوجه إدغام الأول في الثاني "

وقراءة (مذكر) قال عنها الفراء : " ... وحدثني الكسائي - وكان والله ما علمته إلا صدوقاً - عن إسرائيل والقرظمي عن أبي إسحاق عن الأسود بين يزيد قال : قلنا لعبد الله : فهل من مذكر ، أو مذكر ، فقال : أقراني رسول الله ﷺ : (مذكر) بالذال " ^(١) وقد نسب الفراء قراءة (مذكر) بالذال لبعض بني اسد ^(٢) ، بينما ذكرها الأخفش - كما سبق غير منسوبة

٢ - إدغام التاء في التاء :

تحدث الفراء عن ذلك عند حديثه عن قوله تعالى : ﴿ كَمْ لَبِئْتُمْ ﴾ (البقرة: ٢٥٩/٢) فقال ^(٣) : " وقد جرى الكلام بالإدغام للتاء " ^(٤) ؛ لقيت التاء وهي مجزومة " ، وقد أضاف الزجاج إلى قول الفراء السابق ما يبين سبب الإدغام فقال : " وإنما أدغمت لقرب المخرجين " ^(٥) وقال في موضع آخر ^(٦) : " ويجود (كم لبثتم في الأرض) ^(٧) مشدد التاء " .

(١) معاني الفراء ١٠٧/٣ .

(٢) انظر معانيه ١٠٧/٣ .

(٣) معاني الفراء ١٧٢/١ .

(٤) اختلف السبعة في قراءتها بالإدغام والإظهار كما في السبعة ١٢٣ ، ١٨٨ والمبسوط

١٠٥ .

(٥) معاني الزجاج ٣٤٣/١ .

(٦) معاني الزجاج ٢٥/٤ .

(٧) أدغم التاء في التاء أبو عمرو وابن عامر وحزمة والكسائي وأبو جعفر انظر النشر ١٦/٢

ومعجم القراءات ٢١٣/٦ .

٣ - إدغام الدال ويتضمن ما يلي :

أ - إدغام دال قد :

اختلف في إظهار دال قد وإدغامها عند ثمانية احرف ، وهى الدال والطاء والضاد والجيم والشين وحروف الصغير .

وقد جاء من ذلك عند الزجاج مثالان : الأول : قوله ^(١) : ﴿ فَكَذَّ جَعَلْنَا

لَوْلِيَّهِ سُلْطَنًا ﴾

(الإسراء ٣٣/١٧) : الأجود إدغاماً الدال في الجيم ، والإظهار جيد بالغ ^(٢) : لأن الجيم من وسط اللسان ، والدال من طرف اللسان ، والإدغام جائز لأن حروف وسط اللسان قد تقرب من حروف طرف اللسان .

والثاني : قوله ^(٣) : " إدغام الدال في السين حسن ، لقرب المخرجين ، يقرأ :

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ ﴾ (المجادلة ١/٥٨) ^(٤) بإدغام الدال في السين حتى لا يلفظ

المتكلم بدال ، وإنما حسن ذلك لأن السين والدال من حروف طرف اللسان ، فإدغام الدال في السين تقوية للحرف... " .

ب - إدغام الدال في الدال :

وقد تحدث عنه الزجاج في مواضع كثيرة من كتابه ، منها قوله في :

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ (ال عمران ١٠٦/٣) : " تسود وتبيض ، بفتح

الهاء ، الأصل : (تسودد) و(تبيضض) ، إلا أن الحرفين إذا اجتمعا وتحركا

(١) معاني الزجاج ٢٣٧/٣ .

(٢) الإدغام والإظهار قراءتان سبعيتان ، كما في معجم القراءات ٥٦/٥ .

(٣) معاني الزجاج ١٣٣/٥ .

(٤) قرأ أبو عمرو وحمة والكسائي وحلف ، وهشام عن ابن عامر ، وابن مسعود ، وابن

محيسن بإدغام الدال في السين ، والباقون بالإظهار ، كما في النشر ٣/٢-٤ ، والإتحاف

٢٨ ، و ٤١١ ومعجم القراءات ٣٥٩/٩ .

ادغم الأول في الثاني... " (١) ، ومنها قوله (٢) في : (اشداء على الكفار) : " ... اشداء : جمع شديد ، والأصل : اشداء ، نحو نصيب وانصباء ، ولكن الدالين تحركتا فادغمت الأولى في الثانية ، ومثل هذا قوله : ﴿ مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ رَئِيسِهِمْ وَنَجِيَّتِهِمْ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (المائدة ٥٤/٥) (٣) .

٤ - إدغام الذال في الطاء والظاء والتاء

وقد جاء من ذلك قوله تعالى ﴿ لَنْ نَأْخُذَنَّهُمْ بِالْعَاجِلِ ﴾ (البقرة ٥١/٢) ، فقد قال الفراء : " وفي قراءة عبد الله (انختم العجل) (١) وكذلك قوله تعالى : ﴿ إِنِّي عَذْتُ رَبِّيَ وَرَبِّكُمْ ﴾ (غافر ٢٧/٤٠) ، فقد قراها عبد الله بن مسعود كما في معاني الفراء - (واني عتُ بريي) (٥) وقد قال الفراء بعد ذكره هاتين القراءتين : " فادغمت الذال أيضاً عند التاء ، وذلك انهما متناسبتان في قرب المخرج ، والتاء والذال مخرجها ثقيل ، فأنزل الإدغام بهما لثقلهما ؛ الا ترى أن مخرجهما من طرف اللسان ، وكذلك الظاء تشاركهن في الثقل ، هما اتاك من هذه الثلاثة الأحرف فادغم ، وليس تركك الإدغام بخطأ ، إنما هو استثقال... " (٦) .

(١) معاني الزجاج ٤٥٤/١ .

(٢) معاني الزجاج ٢٨/٥ .

(٣) معاني الزجاج ٢٨/٥ .

(٤) هي قراءة الجمهور ، وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم بالإظهار : (انخذتم) ، والنظر السبعة ١١٤ و ١٥٤ والنشر ١٥/٢ .

(٥) القراءة بالإدغام والإظهار مختلف فيها بين السبعة ، كما في السبعة ٥٧٠ والنشر ١٦/٢ .

(٦) معاني الفراء ١٧٢/١ .

وقد قال الضراء^(١) - في موضع آخر - من هاتين القراءتين : " ... تظهر وتدغم، والإدغام أحب إلي لأنها متصلة بحرف لا يوقف على ما دونه...".
 وضرب الضراء بعض الأمثلة لإدغام الذال والطاء والظاء في التاء فقال^(٢): " والعرب إذا لقيت الطاء التاء فسكنت الطاء قبلها صيروا الطاء تاء ، فيقولون : (احت)^(٣) ، كما يقولون الظاء تاء في قوله : ﴿أَوْعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنْ آلِ الْوَاعِظِينَ﴾ (الشعراء ١٣٦/٢٦)^(٤) ، والذال والذال تاء مثل (اختم) ورأيتها في بعض مصاحف عبد الله (باختم)^(٥) " كما ذكر الزجاج^(٦) بعض الأمثلة صنعها عند حديثه عن قوله تعالى : ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ (المؤمنون ١١٠/٢٣): " الأجود : إدغام الذال في التاء لقرب المخرجين^(٧) ، وإن شئت اظهرت لأن الذال كلمة والتاء من كلمة والذال بينها وبين التاء في المخرج شيء من التباعد ، وليست الذال من التاء بمنزلة الدال من التاء... كما تحدث الزجاج من إدغام ذال (إذ) في تفسير لقوله تعالى : ﴿يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ﴾ (الشعراء ٧٦/٧٢).

(١) معاني الضراء ٣٥٤/٢.

(٢) معاني الضراء ٢٨٩/٢.

(٣) هي قراءة ابن محيصن ، انظر تخريجها في معجم القراءات ٤٩٨/٦.

(٤) القراءة بالإدغام قرأها عاصم والكسائي وابن محيصن وغيرهم ، انظر البحر ٣٣/٧.

(٥) لقوله تعالى : (وأخذتم على ذلكم إصرى) قرأ الجمهور بالإدغام (واختم) وأظهر الذال ابن كثير وحفص وورش كما في معجم القراءات ٥٣٧/١.

(٦) معاني الزجاج ٢٤/٤.

(٧) القراءة بالإدغام قراءة الجمهور ، وقرأ ابن كثير وحفص بالإظهار ، كما في معجم القراءات ٢١١/٦.

٥ - إدغام اللام ، ويتضمن ما يلي :

أ - إدغام لام هل ويل فى التاء والثاء :

ومن ذلك ما جاء عند الأخفش فى قوله تعالى : ﴿ هَلْ تُؤْتِبُ ﴾ (المطففين ٣٦/٨٣) ، حيث قال ^(١) : " إن شئت ادغمت ، وإن شئت لم تدغم " ^(٢) ؛ لأن اللام مخرجها بطرف اللسان ، قريب من أصول الثنانيا ، والثاء بطرف اللسان وأطراف الثنانيا إلا أن اللام بالشق الأيمن أدخل فى الفم ، وهى قريبة المخرج منها ، ولذلك قيل : ﴿ بَلْ تُؤْتِرُونَ ﴾ (الأعلى ١٦/٨٧) ^(٣) ، فادغمت اللام فى التاء ؛ لأن مخرج التاء والثاء قريب من مخرج اللام " .

وجاء عند الفراء فى قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبُّصُونَ بِنَاءً ﴾ (التوبة ٥٢/٩) " : والعرب تدغم اللام من هل ويل عند التاء خاصة ، وهو فى كلامهم عال كثير ، يقول : هل تدرى ، وهتدرى ، فقراها الفراء على ذلك ، وإنما استحبه فى القراءة خاصة تبيان ذلك ، لأنهما منفصلان ليسا من حرف واحد ، وإنما بنى القرآن على الترسل والترتيل وإشباع الكلام ، فتبيانه أحب إلى من إدغامه ، وقد ادغم الفراء الكبار ^(٤) ، وكل صواب " ^(٥) .

(١) معاني الأخفش ٥٧٣/٢ .

(٢) القراءة بالإظهار قرأها الجمهور ، وقرأ حمزة والكسائى وأبو عمرو - بخلاف عنه بالإدغام كما فى السبعة ٦٧٦ والإتحاف ٢٨ - ٢٩ و ٤٣٥ ، معجم القراءات ٣٥٣/١٠ .

(٣) القراءة بالإدغام قراءة حمزة والكسائى كما فى السبعة ١٢٣ .

(٤) ومنهم - فى هذا الموضع - حمزة والكسائى وخلف وهشام - بخلاف عنه - كما فى النشر ٦/٢ - ٧ ومعجم القراءات ٤٠١/٣ .

(٥) معاني الفراء ٤٤١/١ .

وفي معاني الزجاج : " ويقرا : (هثوب) بإدغام اللام في الثاء " (١)

ب - إدغام لام هل ويل مع الراء والنون :

قال الفراء في معانيه (٢) : " فاما قوله : ﴿كَلَّا بَلَّ رَانَ عَلَيَّ قُلُوبِهِمْ﴾

(المطففين ١٤/٨٣) (٣) فإن اللام تدخل في الراء دخولا شديداً ، ويثقل على اللسان إظهارها فادغمت ، وكذلك فافعل بجميع الإدغام؛ فما ثقل على اللسان إظهاره فادغم ، وما سهل لك فيه الإظهار فأظهر ولا تدغم " .

ويقول الفراء أيضا : " العرب تدغم اللام عند النون إذا سكنت اللام وتحركت النون ، وذلك أنها قريبة المخرج منها " (٤) وكلام الفراء هذا يجب قول أبي حيّان : " والمخارج ستة عشر ، خلافاً لقطرب ، والجرمي ، والفراء ، وابن دريد ، في زعمهم أنها أربعة عشر ، ومحل الخلاف هو : مخرج اللام والنون والراء ، فذهب هؤلاء إلى أن مخرجها واحد ، ومذهب الجمهور أنها ثلاثة مخارج " (٥) .

(١) معاني الزجاج ٣٠١/٥ .

(٢) معاني الفراء ٣٥٤/٢ .

(٣) تقرأ عند حفص بسكنة لطيفة - مقدار حركتين - بين لام بل والراء ، وذلك لإظهار ألفها كلمتان ، وهناك قراءات أخرى بالإدغام والإظهار دون سكت الظرف في معجم القراءات ٣٤٧/١٠ .

(٤) معاني الفراء ٣٥٣/٢ .

(٥) هم الهوامع ٢٢٨/٢ ، والنشر لابن الجزري ٢٨٦/١ . والعجيب أن الدكتور أحمد مكي الأنصاري ردد هذا الكلام أيضاً في كتابه : أبو زكريا الفراء ٤٧٢ ، واعتمده كأنه حقيقة مسلمة ، مع أنه لو عاد لنص الفراء السابق لوجده يفرق بين اللام والنون ويقول " وذلك ألفا قريبة المخرج منها " .

وقد تحدث الزجاج عن هذه الآية أيضاً فقال^(١) : " ... والإدغام أجود .
لقرب اللام من الراء ولغلبة الراء على اللام ، كما تحدث الضراء عن إدغام لام
هل ونحوها في النون فقال^(٢) : " العرب تدغم اللام عند النون إذا سكنت اللام
وتحركت النون وذلك أنها قريبة المخرج منها ، وهي كثيرة في القراءة ، ولا
يقولون ذلك في لام قد تتحرك في حال ، مثل ادخل وقل ؛ لأن (قل) قد كان
يرفع وينصب ويدخل عليه الجزم^(٣) ، وهل ويل وأجل مجزومات أبداً ، فشبهن
إذا ادغمن بقوله (النار) إذا ادغمت اللام من النار في النون منها ... " .

٦ - إدغام النون الساكنة والتنوين :

تدغم النون الساكنة والتنوين عند حروف (يرملون) وهذا الإدغام
يصاحبه غنة (مع حروف كلمة ينمو) وبدون غنة مع اللام والراء .
وقد ذكر الضراء مثلاً لذلك ، ولكنه أطلق على الإدغام - فيما يبدو -
وصف الإخفاء^(٤)

فقال^(٥) : قوله عز وجل: ﴿ ن وَالْقَلَمِ ﴾ (الْقلم ١/٦٨) تخفى النون الآخرة ،
وتظهرها ، وإظهارها أعجب إلى ؛ لأنها هجاء ، والهجاء كالموقوف عليه وإن
اتصل ، ومن أخفاها بني على الاتصال ، وقد قرأ القراء بالوجهين ، كان
الأعمش وحمة^(٦) يبينانها ، وبعضهم يترك التبيان "

(١) معاني الزجاج ٢٩٩/٥ .

(٢) معاني الضراء ٣٥٣/٢ .

(٣) يعني أنها ليست مبنية مثل هل ويل ، وإنما تتصرف ويتغير آخرها .

(٤) وكثير من المتقدمين كان يعبر عن الإدغام بالإخفاء ، الظر معجم القراءات ٢٦/١٥ .

(٥) معاني الضراء ١٧٢/٣ .

(٦) وكثيرون غيرها يظهران النون كما في النشر ١٨/٢-١٩ والإتحاف ٤٢١ .



وقد ذكر الزجاج من هذا النوع بعض الأمثلة لذلك ، الأول : في قوله تعالى : ﴿ طَسَمَ ﴾ (الشعراء ١/٧٦) حيث قال^(١) : " وقرئت بإدغام النون في الميم ، ووصل بعض الحروف ببعض ، وقرئت : طسين ميم ، بتبيين النون ، والوقف على النون " ^(٧) .

والثاني : ما ذكره الفراء حول ﴿ نَبَّ وَأَقْلَمَ ﴾ (القلم ١/٦٨) حيث قال^(٢) " قرئت بإدغام النون في الواو ، وقرئت بتبيين النون عند الواو ، وقرئت (ن والقلم) بفتح النون^(١) ، والذي اختار إدغام النون في الواو ، كانت النون ساكنة أو متحركة " . والثالث : في قوله تعالى : ﴿ عَمَّ ۝ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ (النبأ ١/ ٧٨) حيث قال^(٥) : " أصله : عن ما يتساءلون ، فادغمت النون في الميم لأن الميم تشرك النون في الأنف " .



(١) معاني الزجاج ٨١/٤ .

(٢) قرأ نافع وابن مسعود ويعقوب عن أبي جعفر بالوقف على كل حرف من (طسم) ، انظر الإنحاف ٣٣١ والسبعة ٤٧٠ .

(٣) معاني الزجاج ٢٠٣/٥

(٤) وهي قراءة سعيد بن جبير وعيسى بن عمرو اللؤلؤي كما في معجم القراءات ٢٧/١٠ .

(٥) معاني الزجاج ٢٧١/٥ .

الفصل الثالث

السمات التحيرية

وتشمل :

- الوقف

- الإمامة

تَمْهِيدٌ

دأب كثير من الباحثين على ترجمة مصطلح Prosody الذي شاع شيوعاً كبيراً في الدراسات اللغوية الغربية . نقلاً عن اللغوي الإنجليزي Firth . بالفونيمات التطريزية^(١) ، ويقصد بهذا المصطلح عند العرب والغربيين معا : مجموعة الملامح الصوتية التي يصنعها المتكلم بنفسه على المستوى الفردي ، مثل النبر والتنغيم والوقف ، ويمكن أن نضيف الإمالة أيضا . إلى جوار الملامح الصوتية الخاصة بالوحدات الصوتية وهي السمات التي تصاحب الكلام عادة من مثل : درجة الصوت من حيث الحدة والغلظة ، وقوة الصوت من حيث العلو والانخفاض ، وصفة الصوت من حيث الارتباط بالمتكلم ذكرا أو أنثى ، ومعدل الأداء الكلامي ... إلخ .

وقد رفض الدكتور سعد مصلوح هذه الترجمة لهذا المصطلح . حيث يقول " شاعت ترجمة هذا المصطلح بعبارة (الظواهر التطريزية) ولا أدري للتطريز مورداً في هذا السياق " ^(٢) ورأى أن الصواب ترجمته بالظواهر الإيقاعية؛ لأن مصطلح التطريز بعيد الدلالة عن الظواهر الصوتية .

وقد اقترح الدكتور كريم زكي حسام الدين مصطلح (التحبير) ترجمة لهذا المصطلح الغربي ، لأنه يتضمن بدلالته معنى التطريز من ناحية

-
- (١) ومنهم على سبيل المثال الدكتور : تمام حسان في كتابه : مناهج البحث في اللغة ١٤١ .
والدكتور : كمال بشر في كتابه : علم الأصوات ٢٥ . والدكتور حسام البهنساري في كتابه : الفونيمات التطريزية ، والعنوان دالٌّ على اختياره .
(٢) دراسة السمع والكلام ١٥٦ .

، كما يتضمن المعنى الصوتي من ناحية أخرى ، واستأنس الدكتور كريم لرايه بمجموعة من النصوص التي تفيد أن هذا المصطلح قديم في دلالاته على السمات الصوتية^(١)، وعلى الرغم من أنه لا مشاحة في الاصطلاح ؛ فإن اختيار المصطلح الدقيق في موضعه المناسب أمر مريح تماما ، وبخاصة إذا كان المصطلح شاعرا - أو مستخدما - في تراثنا العربي الشريف، ولأن هذا المصطلح يتعلق بالملامح الصوتية للمتكلم كان طبيعيا ألا يتعرض أهل المعاني لكل ما يحويه ذلك المصطلح؛ لأنهم كانوا يتعاملون مع نص مكتوب لا مسموع .

ولذلك فسوف أتناول فيما يأتي ظاهرتين احتفى بهما أهل المعاني ، نظراً لارتباطهما بالقرآن الكريم من ناحية التلاوة ، وهي توقيفية ، وهما :
أولا : الوقف . ثانياً : الإمالة .

(١) انظر : الدلالة الصوتية ١٩٤ - ١٩٥ .

الوقف

تعريف الوقف : PAUSE

أولاً. لغة :

يقول ابن فارس : " الواو والقاف والفاء ، أصل واحد يدل على تمكث في شيء ثم يقاس عليه " (١) .

وتدور مادة (وقف) في اللسان حول الحبس والسكوت ، والإمساك والإفلاق والكف (٢) ، والوقف مصدر قولك وقففت فتقول : وقففت وقفاً ووقوفاً ، وفي المعجم الوسيط : " ويقال : وقف على الكلمة : نطق بها مسكنة الآخر قاطعاً لها عما بعدها " (٣) وفي القاموس المحيط : " وقف : سكت ، وعنه أمسك وأقلع " (٤) ، وعند الفقهاء : " وقف العين أي حبسها على ملك الواقف أو على ملك الله

تعالى " (٥)

ثانياً. الوقف اصطلاحاً :

١ - الوقف في اصطلاح النحويين :

عرّفه ابن الحاجب بقوله : " قطع الكلمة عما عداها " (١) ، وهذا يوهم أن الوقف لا يكون على كلمة إلا وبعدها شيء ، ولذلك كان تعريف أبي حيان

(١) مقاييس اللغة (وقف) ٦ / ١٣٥

(٢) النظر للسان (وقف) ٦ / ٤٨٩٨ - ٤٨٩٩

(٣) المعجم الوسيط (وقف) ٢ / ١٠٥١ - ١٠٥٢

(٤) القاموس المحيط ٣ / ١٩٩

(٥) المعجم الوسيط (وقف) ٢ / ١٠٥٢

(٦) الشافية ١٩٦ .

للووقف أدق منه إذ يقول " قطع النطق عند إخراج آخر اللفظة " (١)

٢ - الوقف عند القراءة :

هو قطع (٢) النطق على الكلمة الوضعية زمنًا يتنفس فيه عادة بنية

استئناف القراءة ، إما بما يلي الحرف الموقوف عليه أو بما قبله (٣) .

والعلاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي واضحة ، إذ إن قطع النطق

على آخر الكلمة ، هو مكث وإمساك من القارئ وإقلاع عن النطق لمدة معينة ،

وفيه حبس عن القراءة ، وسكوت عنها كما جاء في المعنى اللغوي .

٢ - في اصطلاح اللغويين :

عرفه الدكتور رمزي البعلبكي بأنه : " فاصل يقع بين أجزاء الكلام ،

وهو إما وقف صامت لا يتخلله الأصوات ، أو وقف غير صامت ، وهو الذي

يتخلله إصدار أصوات تعرف بصيغة التردد " (٤) .

الفرق بين الوقف والقطع والسكت :

لم يكن المتقدمون قبل عصر ابن الجزري يفرقون بين هذه المصطلحات

الثلاثة ، لكن ابن الجزري فرق بينها (٥) ، وقد وافقه من جاء بعده ، كما وافقه

علماء اللغة المعاصرون ، ونستطيع أن نتلمس ذلك الفرق عن طريق تعريف

(١) ارتشاف الضرب (د. رجب عثمان) ٢/٧٩٨ .

(٢) بعض المصنفين يسمي الوقف قطعاً ، ويسمى الابتداء : التناً ، ومنهم أبو جعفر النحاس

الذي سمي كتابه الذي يتناول فيه هذه الظاهرة باسم : القطع والانتاف .

(٣) انظر النشر ١/٢٤٠ .

(٤) معجم المصطلحات اللغوية ٣٨٠ .

(٥) انظر النشر ١/٢٤٠ - ٢٤٣ .



كل مصطلح على حدة ، فأما القطع فيعني توقف القارئ عن قراءته ، وانتهاءه منها ، بحيث تشرع الاستعاذة عند استئناف القراءة ، كالذي يقطع قراءته على حزب أو ورد معين ثم يركع مثلاً ، ولا يكون إلا على رأس آية تفيد معنى تاماً ، فعن عبد الله بن أبي الهذيل انه قال : " إذا افتتح احدكم آية يقرؤها فلا يقطعها حتى يتمها " ^(١) .

وأما الوقف Pause فهو قطع الصوت زمنياً يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة ، وليس بنية الاكتفاء والإنهاء ، ولا يأتي وسط الكلمة . ولا فيما اتصل رسماً ، ولا بد من التنفس معه ^(٢) .

وأما السكت Cuesura فيختلف عن الوقف في انه أقصر زمنياً ، وانه غير مصحوب بتنفس ، وهو مقيد بالسمع والنقل ^(٣) .

وهكذا يتضح الفرق جلياً بين هذه المصطلحات الثلاثة ، وانها ليست مترادفة ، وليست متباعدة المعنى في آن ^(٤) .

موقف علم الصوتيات المعاصر من ظاهرة الوقف :

يرى العلماء المعاصرون ان الوقفات تعد من العناصر الأدائية المهمة التي يصطنعها المتكلم ، للتعبير عن الدلالات المتنوعة ، فهي وسيلة يستطيع بها المتكلم ان ينقل إلى السامع تأكيداً لفكرة معينة ، وان يرسم او يخطط

(١) النشر ٢٣٩/١

(٢) النظر : الإتحاف ٣١٣/١

(٣) النظر : الوقف اللازم والمنوع للدكتور محمد مختار المهدي ١٨-١٩ .

(٤) ومن الغريب أن صاحب كتاب (الوقف في القراءات القرآنية وأثره في المعنى والإعراب)

يرى أن هذه المصطلحان بينها اشتراك لفظي ، النظر ص ١٧ .

للفكرة التالية لها ، وان يصنع مواقف من التوتر جسمانية ونفسية ، وهي أيضاً من أهم الوسائل التي عن طريقها يقسم كلامه إلى مجموعات معنوية ، ويسهم بها في صنع السلسلة الإيقاعية .

والوقفات - عندهم - عبارة عن فترات من الصمت ، تحدث في أثناء الجمل المنطوقة ، وتأتي عادة بعد إنهاء جزء من المنطوق ذي مضمون فكري مستقل إلى حد ما^(١) .

ومن خلال دراسة المقاطع الكلامية العربية : تبين أن للوقف تأثيره الواضح عليها ؛ فقد يؤدي إلى إطالتها أو تقصيرها ، وقد يؤدي إلى تداخلها واندماجها ، وعلى سبيل المثال فإن ما يعرض لإحدى الهمزتين حال الوقف عند التقائهما في نحو قوله تعالى (ماؤلاء إن كتم) (البقرة ٣١/٢) . يؤدي إلى تداخل الكلمتين ، وعدم وضوح التمييز بينهما^(٢) .

وعند الوقف على لفظ (نستعين) الذي يتكون من :

نَسْتَعِي نُ = أربعة مقاطع .

فإن ذلك سوف يحدث تغيراً في عدد مقاطعه لتصبح ثلاثة مقاطع فقط هي :

نَسْتَعِيْنُ = ثلاثة مقاطع .

أي أن المقطعين الأخيرين اندمجا معاً ، وأصبحا مقطعاً واحداً ، من النوع الأول المغلق ، ويجوز إطالة زمن العلة في هذا المقطع ، لتصبح بمقدار علتين طويلتين أو ثلاث ، وذلك خاص بقراءات القرآن الكريم^(٣) .

(١) النظر علم الصوتيات ٢٩١ .

(٢) النظر الأصوات اللغوية ١٦٢ ، والوقف ووظائفه عند النحويين والقراء ٣٤ .

(٣) الأصوات اللغوية ١٦٤ بتصرف .



وأما الكم الزمني للوقف في غير القرآن فقد حاول بعضهم أن يجيب عن هذا التساؤل : هل طول الوقفة أو قصرها مرتبط بطول زمن الكلام أو قصره ؟ أو أنه مستقل عنه ؟ فيرى بعضهم أن النسبة بينهما ليست ثابتة ، بينما يرى كثيرون ثباتها ، بحجة أن الشخص الذي يتحدث ببطء ، وبصورة خطابية ، يصنع وقفات طويلة ، وينطق الكلمات ببطء .

لكنهم متفقون على أن هناك وقفات أقصر زمناً ، وهي التي سماها علماءنا بالسكتات ، ويرون أنها يمكن أن تقع داخل الكلمة الواحدة ، وتقع في الشعروي في الكلام ، أما في الشعر فإنه تفصل بين الكلمات التي تقسم بيت الشعر إلى وحدات عروضية ، وبذلك تنشأ ثغرات أو فراغات في الحديث ، تتعاقب ، ولكنها مؤثرة في الإيقاع Rhythm .

وأما في الكلام ، فإنها - كذلك - لها وزنها ، فعن طريقها تتكون مواقف من التوتر ، تثب من المتكلم إلى السامعين فتؤثر فيهم^(١) .

ويرى الدكتور أحمد مختار عمران الوقف قد يؤثر على كل من النغمة والتنغيم ، فتنخفض نغمة الكلمة التي هي في نهايات الجمل ، ويتنوع التنغيم ليشكل الملامح الصوتية المرتبطة بحدود ما بين الكلمات بطريقة تمييزية ، للتفريق بين المعاني دون أي تغيير في الشكل^(٢) ، ويفضل الدكتور تمام حسان في هذه النقطة ؛ إذ يرى أن كل جملة أو كلمة يوقف عليها تمثل سلسلة متصلة من الأصوات اللغوية ، اصطلاح على تسميتها بالمجموعة الكلامية ، وقد تكون هذه المجموعة مستقلة صوتياً ومعنوياً ، أو صوتياً فقط ، فنحو : قام محمد ، مجموعة صوتية ومعنوية ؛ لأن المعنى قد تم ، ونحو : إن

(١) علم الصوتيات ٢٩١-٢٩٢ بتصرف .

(٢) النظر دراسة الصوت اللغوي ١٩٣-١٩٥ .

قام محمد ، مجموعة صوتية ، وليست معنوية : لأن المعنى لم يتم ، وفي الحالين يختلف التنغيم اختلافاً بيننا : فهو ينتهي في المجموعات المعنوية بنغمة هابطة إذا كان الكلام تقريراً ، أو طلباً ، أو استفهاماً غير مبدوء بالهمزة أو هل ، بينما ينتهي بنغمة صاعدة إذا كان الكلام غير تام ، أو كان استفهاماً مبدوءاً بالهمزة أو هل ^(١) .

وقد ربط الدكتور سعد مصلوح بين الوقف والتنغيم أيضاً في الفصل الرابع (التنغيم) من كتابه : دراسة السمع والكلام ، واكتفى هنا بإيراد آخر ما توصل إليه في نهاية هذا الفصل ، إذ يقول : " ... أما تنوعات النمط التي تعكس الحالة الشعورية للمتكلم فلا تتحدد خصائصها بمتغيرات تردد نغمة الأساس فحسب ، بل يدخل كذلك في تحديدها : العلو ، والمدة ، ومواضع الوقف ، ونبر الجملة ... " ^(٢) .

أقسام الوقف :

اختلف القراء والنحاة في أقسام الوقف ، فبعضهم يقصرها على ثلاثة : تام وحسن وقبيح ، كابن الأنباري ، أو تام وكاف وناقص عند علي بن عيسى النحوي (ت ٣١٢هـ) ، وبعضهم يجعلها أربعة : تام وكاف وحسن وقبيح ، كالسخاوي (ت ٦٤٣هـ) والزرکشي (ت ٧٩٤هـ) وبعضهم يزيد بها إلى خمسة وبعضهم إلى ستة ... الخ ^(٣) .

(١) مناهج البحث في اللغة ٢٠٢ .

(٢) دراسة السمع والكلام ٢٢٦ .

(٣) النظر الإلتقان ١/ ٢٨٤ ، والوقف اللازم والمنوع بين القراء والنحاة ٢٠-٢١ .



ولكني هنا سأعرف أهم هذه الأقسام من وجهة نظري^(١)، وهي :

١ - الوقف التام :

هو الذي يحسن الوقف عليه ، والابتداء بما بعده ، لأن ما بعده غير متعلق بما قبله ، ويكثر عند الفواصل ورءوس الأبي، وعند تمام القصص، كقوله: ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (البقرة: ٥/٢) ، والابتداء بقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (البقرة: ٦/٢) ، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَلْفٌ مَّعَاذِيرُهُ ﴾ (القيامة ١٥/٧٥) والابتداء بقوله: ﴿ لَا تَحْرَجْ بِهِ لِسَانُكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾ (القيامة ٧٥/١٦).

٢ - الكافي :

ما يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده ، غير أن ما بعده متعلق به من جهة المعنى ، دون اللفظ ، مثل قوله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَجِلُّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ ﴾ (المائدة: ٥/٥) ، فإن ما بعدها ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ ﴾ (المائدة: ٥/٥) ، وكلا الجملتين يتحدث عما أحل للمؤمنين ، غير أن كلا منهما تستقل بشيء مما أحل ، وليس هناك تعلق لفظي بين الجملتين.

٣ - الحسن :

ما يحسن الوقف عليه ، ولا يحسن البدء بما بعده لتعلقه به من جهتي اللفظ والمعنى جميعاً ، مثل قوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ (الفاتحة ٢/١) ، تقف

(١) اعتمدت في هذه التعريفات على كتاب : المكفى لأبي عمرو الداني ١٠٧-١١٥ ، والنشر لابن الجزري ١/٢٢٥-٢٣٠ ، والوقف اللازم والمنوع للدكتور محمد مختار المهدي ١٩-٣٠ ولكني تصرفت في عباراتهم جميعاً.

ثم : ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الفاتحة ٢/١)، وتقف ، ثم : ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ (الفاتحة ٣/١) ... فكل هذه صفات لاسم الجلالة تابعة له لفظاً ومعنى ، فالوقف عليها حسن ، ولكن البدء بما بعدها غير مستحب .

٤ - القبيح : وهو أنواع :

ا - ما لا يحسن السكوت عنده ، ولا يتحدد به المراد ، كان يقف بين الفعل وفاعله ، مثل قوله تعالى : ﴿ تَبْرَكَ ﴾ (الملك: ١/٦٧) ويقف ، ثم يأتي بالفاعل بعد الوقف وهو ﴿ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ (الملك: ١/٦٧)، او يقف بين المضاف والمضاف إليه ، كان يقف على ﴿ مَلِكٍ ﴾ (الفاتحة ٤/١) من قوله تعالى ﴿ مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ (الفاتحة ٤/١).

ب - ما يوهم خلاف المقصود ، مثل قوله تعالى ﴿ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ ﴾ (النساء: ١١/٤) فإن الوقف هنا يوهم ان الأبوين شريكان في النصف مع البنت.

ج - ما يؤدي الاعتقاد في مدلول ظاهره إلى الكفر ، مثل الوقف على قوله : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا ﴾ (آل عمران من ١٨١/٣) ثم يبدأ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ ﴾ (آل عمران ١٨١/٣) ، وقوله : ﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ ﴾ (البقرة: ٢٥٨/٢).

وهذه الأنواع الثلاثة مرتبة في القبح ، واقبحها الأخير.

٥ - الوقف اللازم :

هو ما لو وصل طرفاه لأوهم معنى غير مراد ، ويرمز له في المصحف بحرف الميم (م) وهو بذلك يقابل النوعين الأخيرين في القبيح ، والوقف اللازم لا يقتضي ان المعنى لا بد ان يتم عنده ، فقد يكون اللازم تاماً ، وقد يكون كافياً :

فاما اللازم التام ، فمثل قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ (يونس ٦٥/١٠) ، فإن الوقف في هذه الآية لازم عند كلمة ﴿ قَوْلُهُمْ ﴾ ، لأن الوصل يوهم أن الجملة التي بعدها واقعة مفعولاً به للقول ، أي أن المشركين هم الذين قالوا: إن العزة لله.. مع أن الواضح أنها من كلام الله. واما اللازم الكافي ، فمنه : الوقوف على كلمة (بعض) في قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ ﴾ (البقرة ٢٥٣/٢) ، حتى لا يتوهم السامع أن الذين كلمهم الله من المفضل عليهم فقط لا من المفضلين ، والوقف هنا كاف ؛ لأن الجملة (مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ) - متصلة اتصالاً معنوياً بالجملة السابقة ، وهما متفتتان خبراً .

الوقف عند أهل المعاني :

اهتم أكثر أهل المعاني بالوقف كظاهرة صوتية من ناحية ، وكظاهرة لها اثر دلالي من ناحية أخرى ، وسأقتصر - هنا - على الحديث عن الوقف كظاهرة صوتية ، مرجئاً الحديث عن اثرها الدلالي إلى موضعه من هذا البحث بإذن الله .

١ - الوقف بالحذف :

وهذا الوقف له أمثلة متعددة ، ومنها :

١ - حذف ياء المتكلم التي تلحق الأفعال والأسماء في رءوس الآي :

ذكر الأخفش أن من العرب من يحذف هذه الياء في رءوس الآي في

الوقف " كما تحذف العرب في أشعارها من القواي: نحو قوله : (الطويل)

حَتَانِيكَ بَعْضُ الْمَشْرِءْهُونَ مِنْ مَنَحْنُ (١)

وقوله : (الوافر)

وَلَا تُبْقِي حُمُورَ الْأَنْدَرِينَ (٢)

إذا وقفوا : فإذا وصلوا قالوا : (الأندرينا) و (ومن بعضي) ؛ وذلك في

رءوس الآي كثير ، نحو قوله : ﴿ بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابَ ﴾ (سورة ص ٨/٣٨) ،

﴿ وَإِنِّي فَأَتُقُونَ ﴾ (البقرة ٤١/٢) فإذا وصلوا أثبتوا الياء " (٣) .

وقد التفت الزجاج إلى العلة من وراء هذا الحذف ، وهي اتساق النظم

القرآني ، إذ يقول (١) : " ... حذفت الياء ، وأصله : (فارهبوني) ، ولكن الاختيار

(١) البيت لطرفة في ديوانه ق ٦٢٣/٣٩ ص ٢٠٨ ، صدره : أها منذر أفنيت فاستبق

بعضنا ، وفيه : بعض بكسر الضاد ، وهو كذلك في كتاب سيبويه ٣٤٨/١ ، وابن

يعيش ١١٨/١ .

(٢) البيت لعمرو بن كلثوم من مطلع معلقته الشهيرة ، صدره كما في الديوان (ميدان) ق

١/٣٥ ص ٤١ : ألا هي بصحنك لأصبحنا ، وفيه : الأندرينا ، وفي الخصالص ٩٨/٢

الأندرين .

(٣) معاني الأخفش ٧٨/١ .

في الكلام والقرآن والشعر: ﴿وَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ﴾ (البقرة ٤٠/٢) حذف الياء ،
واصله (فارهبوني) لأنها فاصلة ، ومعنى فاصلة : رأس آية ، ليكون النظم على
لفظ متسق ، ويسمى أهل اللغة رعوس الأبي : الفواصل ، وأواخر الأبيات :
القوايف .

وقد ذكر الأزهري مثلاً آخر للوقف بالحذف ، في قوله تعالى : ﴿فَبَشِّرْ
عِبَادِ﴾ (الزمر ١٧/٣٩) ، حيث قال : " وروي عبيد عن أبي عمرو : إن كانت
رأس آية وقففت (عباد) ، وإن لم تكن رأس آية قلت : (عبادي الذين) ، قال :
وقراءته القطع ، وهي آية في عدد أهل الكوفة ، وأهل البصرة ، وأهل المدينة ...
وقرأ الباقر (عباد الذين) محذوفة الياء " (٧) .

ولو نظرنا إلي رعوس الأبي التي تلت قوله تعالى : ﴿وَإِنِّي فَأَتَّقُونَ﴾
(البقرة ٤١/٢) لوجدنا أنها : (تعلمون - الراكعين - تعقلون... الخ)

فهذه كلمات - أسماء كانت أو أفعالاً - تنتهي بالنون المسبوقة
بحركة طويلة (Long vowele) لتحقيق الاتساق الإيقاعي والصوتي .
ويلاحظ أن نون الوقاية المكسورة أغنت عن ذكر الياء ، ومع ذلك قرأ
بعضهم بإثبات هذه الياء وقفاً ووصلاً ، لأنه الأصل (٣) في جميع الأمثلة التي
ذكرها أهل المعاني .

(١) معاني الزجاج ١٢١/١ .

(٢) معاني القراءات ٣٣٧/٢ .

(٣) انظر معجم القراءات ٩١/١ ، والوقف في القراءات القرآنية ١٦٦ .

كما يلاحظ أن الزجاج في هذا النص فرق بين القرآن وغيره من كلام البشر؛ كالنثر الذي سماه الكلام . والشعر ، وهي التفاتة دقيقة منه ، تابعه عليها كثير من البلاغيين^(١) ، كما أنه ميز المصطلحات الخاصة بالقرآن عن غيره ، كمصطلح الفاصلة القرآني ، وهو يقابل مصطلح القافية في الشعر ، والسجع في النثر^(٢) وربما كان قد تأثر بالتراث البلاغي السابق عليه .

ويبقى أن أشير إلى أن هذا الحذف ورد قليلاً في غير الفواصل ، وله ما يبرره - كما ذكرت - من وجود كسرة الحرف التي أغنت عن الياء ، ومن امثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ إِذَا دَعَانِ ﴾ (البقرة ١٨٦/٢) (حيث يقول عنها أبو بكر ابن إدريس : " فمن أثبت الياء في الوصل والوقف فعلى الأصل ، ومن حذف - وصل أم وقف - اتبع الخط " ^(٣))

ب - حذف ياء المنقوص :

أكثر الزجاج من ذكر نماذج لحذف ياء المنقوص في الوقف في كثير من المواضع في كتابه ، ومن ذلك عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ (الأعراف ٤١/٧) حيث يقول^(٤) : " ... وكان سيبويه يذهب إلى أن التنوين عوض من ذهاب حركة الياء ، والياء سقطت لسكونها وسكون التنوين ، فإذا وقفت ، فالاختيار أن تقف بغير ياء ، فتقول : غواش ، لتدل أن الياء كانت تحذف في الوصل ، وبعض العرب إذا وقف قال : غواشى ، بإثبات

(١) الظر علي سبيل المثال : العمدة (تحقيق د. النبوي شعلان) ١٠/١-١١ .

(٢) الظر : إعجاز القرآن للبالقي (السيد صقر) ٦١ ، والفاصلة في القرآن ٢٩ .

(٣) المختار في معاني قراءات أهل الأمصار ل ١١ (ب)

(٤) معاني الزجاج ١٠/٥ .



الياء ، ولا أرى ذلك في القرآن؛ لأن الياء محذوفة في المصحف ، والكتاب علي الوقف " ويقول الزجاج أيضا في تفسيره ﴿ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ حَازٍ عَنِ الْوَيْءِ شَيْئًا ﴾ (لقمان ٣١/٣٣) : " جاز في المصحف بغير ياء والأصل جازي ، وذكر سيبويه والخليل ان الاختيار في الوقف هو جاز ، بغير ياء ، والأصل جازي بضمه وتنوين ، فحذفت الضمة في الياء ، فحذفت وسكنت الياء والتنوين ، فحذفت الياء لالتقاء الساكنين ، وكان ينبغي أن يكون في الوقف بياء ؛ لأن التنوين قد سقط، ولكن الفصحاء من العرب وقضوا بغير ياء، ليعلموا أن هذه الياء تسقط في الوصل...^(١) . ويواصل الزجاج اهتمامه بهذا النوع من الوقف ، فيقول عند تفسيره : ﴿ وَجِفَانٍ كَأَجْوَابِ ﴾ (سبا: ١٣/٣٤) : " أكثر القراءة على الوقف بغير ياء ، وكان الأصل الوقف بالياء ، إلا ان الكسرة تنوب عنها ، وقد ذكر الأزهري القراءات في قوله تعالى : ﴿ سَوَاءٌ أَلْعَكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ﴾ (الحج ٢٢/٢٥) فقال : ^(٢) " قرأ ابن كثير : (والبادي) بالياء في الوصل والوقف ، ووصلها أبو عمر بياء ... وروى قالون والمسيبي وابنا أبي أويس عن نافع بغير ياء في وصل ولا وقف ، ... قال أبو منصور: من قرأ بغير ياء فلاكتفاء بالكسرة الدالة على الياء، ومن قرأ بالياء فهو الأصل".

وكذلك قال الأزهري في ﴿ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ ﴾ (سورة ق ٥٠/٤١) ، ويقول

أبو بكر ابن إدريس : " هاما الياء في قوله : (الداعي) فلام الفعل.... فمن ثبت

(١) معاني الزجاج ٤/٢٤٦ .

(٢) معاني القراءات ٢/١٧٩ .

الياء فعلى الأصل ، ومن حذفها في الوصل اتبع المصحف ، وكانت الكسرة في الوصل دلالة على الياء ^(١) .

ج - حذف ياء الفعل المعتل او واوه :

جاء عند الأخفش في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ ﴾ " ... وإذا وقفت قلت : (ياب) ؛ فتقف بغير ياء " . وهذا واضح لأن الفعل مجزوم ، غير أن الزجاج أورد بعض الأمثلة التي تحذف فيها ياء الفعل او واوه دون أن يكون في محل جزم ، ومن ذلك قوله : " الأكثر في الوقف : (نبغ) على اتباع المصحف ، ... ويجوز وهو أحسن في العربية (ذلك ما كنا نبغي) في الوقف ، أما الوصل ، فالأحسن فيه (نبغي) بإثبات الياء ، وهذا مذهب أبي عمرو ، وهو أقوى في العربية " وفي قوله تعالى : ﴿ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ ﴾ (الشورى ٤٢ / ٢٤) يقول ^(٢) : وكتبت في المصحف بغير واو ؛ لأن الواو تسقط في اللفظ لالتقاء الساكنين ، فكتبت على الوصل ، ولفظ الواو ثابت " .

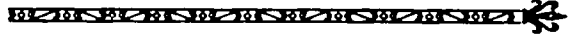
٢ - الوقف بإحاق هاء السكت :

أولاً : إحاق هاء السكت في الوقف جوازاً :

أ - الوقف على الضمان المنفصلة (هو أنا . هي)

(١) المختار في معاني قراءات أهل الأمصار ل ٦ (ب).

(٢) معاني الزجاج ٣٩٩/٤ .



جاء عند الأخفش في معانيه ^(١) : " وحروف الإعراب : الذى يقع عليه الرفع والنصب والجر ، ونحو : (هو ، هي) ، فإذا وقفت عليه فأنت بالخيار . إن شئت ألحقت الهاء وإن شئت لم تلحق " .

وفى موضع آخر يقول الأخفش : " وأما قوله : ﴿ مَا هِيَ ﴾ (القارعة ١٠/١٠١) بالهاء . فلأن السكت عليها بالهاء ، لأنها راس آية " ^(٢) وقد أطلق أبو بكر بن إدريس على هذه الهاء مصطلح هاء الاستراحة بعد أن ذكر القراءات فيها ^(٣) وفى الآية نفسها يقول الزجاج : " الوقف (هيه) ، والوصل : هى نار حامية ، إلا أن الهاء دخلت فى الوقف تبين فتحة الياء ، والذى يجب : اتباع المصحف ، فيوقف عليها ولا توصل ، فيقرأ ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴾ (نار حامية) لأن السنة اتباع المصحف والهاء ثابتة فيه " ^(٤)

وقد ذكر الأزهرى ما يؤيد موقف الزجاج حيث يقول : " وقرا حمزة ويعقوب (ما هي) فى الوصل بغير هاء قال أبو منصور : الاختيار : الوقف على " ماهيه " لأن الهاء مثبتة فى المصاحف ؛ فلا يجوز إسقاطها وأنت تجد إلى إثباتها سبيلا . ^(٥) ويرى الفارسي أن هذه الهاء فى " ماهيه " لا تثبت فى الإدراج وإن ثبتت فى الوقف عليها " ^(٦) أما (أنا) فيقول عنها الضراء " ومن العرب من يقول إذا وقف : أنه ، وهى لغة جيدة ، وهى فى عليا تميم وسفلى قيس " ^(٧)

(١) معاني الأحفش ١/١٧٥ .

(٢) معاني الأخفش ٢/٥٨٣ .

(٣) النظر المختار فى معاني قراءات أهل الأمصار " اللوحة قبل الأخيرة من المخطوطة " .

(٤) معاني الزجاج ٥/٣٥٦ .

(٥) معاني القراءات ٣/١٥٩ .

(٦) الإغفال ٢/٥٤٢ .

(٧) معاني الفراء ٢/١٤٤ .

ب - ما الاستفهامية المجرورة بالحرف :

يرى الأخفش^(١) أن ما الاستفهامية المجرورة بالحروف ، يجوز في الوقف عليها الإتيان بهاء السكت بعدها، ويجوز عدم الإتيان بهذه الهاء وذلك كما في ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (النبا ١/٧٨) و ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا﴾ (النازعات ٤٣/٧٩) وضرب الزجاج بعض الأمثلة لذلك ، مثل قوله تعالى ﴿لِمَ تَكْفُرُونَ﴾ (آل عمران ٧٠/٣) و ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف ٢/٦١) و ﴿فِيمَ تَبْشِرُونَ﴾ (الحجر ٥٤/١٥) ثم قال فإذا وقفت على هذه الحروف وقفت بالهاء ، فقلت له ، وبمه ، لأن الألف حذفت في هذه الأسماء التي للاستفهام خاصة فجوز ذلك ولا يجوز ذلك في الموصلة ، لأن الألف فيهن ليست آخر الأسماء^(٢)

ويقول أيضا في ﴿لِمَ تَقُولُونَ﴾ : "الأصل : (لما) فحذفت الألف ؛ لأن

ما واللام كالشيء الواحد فكثرت استعمال (ما) واللام في الاستفهام ، فإذا وقفت عليها قلت : له"^(٣)

وكلام الزجاج لو ضمنا ما في الموضعين بعضهما على بعض يفهم منه التفرقة الدقيقة بين ما الاستفهامية ، وما الموصولة ، فالأولى اتصلت بما قبلها - وهو حرف الجر - اتصالا شديدا ، حتى صارا معا كالكلمة

(١) النظر معاني الأخفش ١/ ١٧٥ .

(٢) معاني الزجاج ١ / ٤٢٧-٤٢٨ .

(٣) معاني الزجاج ٥ / ١٦٣ .

الواحدة ، وهو ما لا يحدث مع الموصولة لأنها لا يوقف عليها وحدها ، لأنها لا تتم معنى إلا مع موصولها .

وقد ذكر الأزهرى أن يعقوب كان إذا وقف يقف على (عمّة) على هاء السكت ، والباقون إن وقفوا وقفوا على (ميم) ^(١) ثم قال أبو منصور : " ليس قوله (عمّ) موضع وقف ، وإن اضطر إلى الوقف قارئ لم يجز أن يقف على (عمه) بالهاء " ^(٢) .

ج - الوقف على الفعل المعتل ذى الأصل الواوى أو اليائى :

قال الأخفش ^(٣) : " وقال ﴿ فَبِهَدْنُهُمُ اقْتَدِهٖ ﴾ ^(٤) (الأنعام ٩٠/٦) وكل شئ من بنات الياء والواوى فى موضع الجزم ؛ فالوقف عليه ب (الهاء) ، ليلفظ به كما كان " أي إن هذه الهاء تعويضية في نظر الأخفش .

وقال الزجاج ^(٥) " وهذه الهاء التى فى (اقتده) إنما تثبت فى الوقف ، تبين بها كسرة الدال فإن وصلت قلت ؛ (اقتدر) . وذكر الأزهرى أن ابن عامر - وحده - لم يجعل هذه الهاء للسكت ، وقرا (فبهدهم اقتدهى) ^(٦) ثم نقل كلام الزجاج السابق ورجحه ^(٧) .

(١) معاني القراءات ١١٥/٣ .

(٢) معاني القراءات ١١٥/٣ .

(٣) قال الأخفش ٣٠٧/١ .

(٤) معاني الزجاج ٢٧٠/٢ .

(٥) وقد علق ابن خالويه على هذه القراءة بقوله : " فأما من كسر هذه الهاء فى الوصل فقد

وهم ، لأنها إنما جيء بها فى الوقف ، ليبين بها حركة ما قبلها ، وليست بماء كناية "

الحجة ١٤٥ والنظر معجم القراءات ٤٨٢/٢ .

(٦) معاني القراءات ٣٧٠/١

وفى قوله تعالى : ﴿ لَمْ يَتَسَنَّهٗ ﴾ (البقرة ٢٥٩/٢) ذكر الفراء ما يشير إلى أن الهاء فيه زائدة للسكت فى قوله ^(١) " ومن وصله بغير هاء جعله من المساناة ، وتكون زائدة صلة ، بمنزلة قوله : ﴿ فَيَهْدُهُمْ أَقْتَدِهٖ ﴾ .

وقد ذكر جامع العلوم النحوى الرايين فى هذه الهاء أيضا ، ثم قال : " فمن قال : ﴿ لَمْ يَتَسَنَّهٗ ﴾ فالهاء للوقف " ^(٢) وكذلك فعل بيان الحق النيسابورى فى كتابيه فقال " إن قلت ساينته مساناة ، فالهاء للوقف ... " ^(٣)

د - الوقف على نون المثنى والجمع :

انفرد الأخفش بذكر جواز إلحاق هاء السكت بالنونات التى ليست بحروف إعراب ، وذلك مثل نون الجمع ونون الاثنين ؛ ونسب ذلك للعرب ؛ فقال : " وقد قالت العرب فى (نون الجمع) ونون الاثنين فى الوقف بالهاء ؛ فقالوا : هما رجلانه ، مسلمونه " ^(٤)

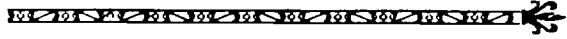
وهو هنا يتابع سيويه الذى عقد بابا لهاء السكت سماه : (هذا باب ما تلحق الهاء لتبين الحركة) جاء فيه : " فمن ذلك النونات التى ليست بحروف إعراب ، ولكنها نون الاثنين والجميع ، وكان هذا أجدر أن تبين حركته ، و حيث كان من كلامهم أن يبينوا حركة ما كان قبله متحركا

(١) معاني الفراء ١/١٧٢ .

(٢) الكشف ١/٢٩٩ .

(٣) باهر اليرهان ١/٢٥٦ وانظر إيجاز البيان ١/٣٠١ و ١٦٧ .

(٤) معاني الأخفش ١/١٧٥ .



مما لم يحذف من آخره شيء لأن قبله مسكن وذلك : هما ضاربانه ،
وهم مسلمونه ، وهم قائلونه^(١)

ولكني لم أجد من تابع هذين الشيخين الكبيرين من علماء المعاني على
هذا الرأي !

(١) الكتاب ١/١٦١ .

ثانياً : الحاق هاء السكت وجوباً :

أ - بعد ألف الندبة أو النداء :

في تفسيره لقوله تعالى ﴿ قَالَتْ يَنْوَيْلَتِي ۚ أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ ﴾ (هود ٧٢/١١)

يقول الأخفش ^(١) " فإذا وقف قلت : (يا ويلتاه) ؛ لأن هذه الألف خفية ، وهي مثل الف الندبة ، فلطفت من أن تكون في السكت ، وجعلت بعدها الهاء ؛ ليكون أبين لها ، وأبعد للصوت ، وذلك أن الألف إذا كانت بين حرفين كان لها صدى ، كنحو الصوت يكون في جوف الشيء فيتردد فيه ، فيكون أكثر وأبين . ولا تقف علي هذا الحرف في القرآن كراهية خلاف الكتاب ، وقد ذكر انه يوقف على الف الندبة ، فإن كان هذا صحيحاً ووقفت على الألف " .

وفي تفسيره لهذه الآية يقول الزجاج أيضاً ^(٢) : " المصحف فيه (يا ويلتي) بالياء ، والقراءة بالألف... ويجوز الوقف بغير الهاء ، والاختيار أن يوقف عليه بالهاء : يا ويلتاه ، فأما المصحف فلا يخالف ، ولا يوقف عليه فإن اضطر واقف وقف بغير الهاء " .

ويزيد الزجاج رايه وضوحاً في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ قَالَ يَنْوَيْلَتِي ۚ

أَعَجَزْتُ ﴾ (المائدة ٣١/٥) فيقول : " فأما يا ويلتا ، فالوقف عليها في غير

القرآن : يا ويلتاه ، والنداء لغير الأدميين فعلى هذا كلام العرب " ^(٣)

(١) معاني الأخفش ٣٨٥/١ .

(٢) معاني الزجاج ٦٣/٣ .

(٣) معاني الزجاج ١٦٧/٢ - ١٦٨ .



وفى كلمة اخرى يؤكد الأخفش رايه هذا ، فيقول في ﴿ وَقَالَ يَا سَفَى عَلَى يُوسُفَ ﴾ (يوسف: ٨٤/١٢): " فإذا سكت الحقت في آخره الهاء ؛ لأنها مثل الف الندية " (١).

وقد بني الأخفش والزجاج رايهما هذا على ان الألف (صوت الحركة الطويلة) فيه خفاء وضعف ، عبر عنه الأخفش باللفظ ، وهذا لا يتناسب مع قوة النداء وطلب الغوث في الندية ، وهو ما يتفق مع رأي سيويه إذ يقول : "وقد يلحقون في الوقف هذه الهاء الألف التي في النداء ، والألف والواو والياء التي في الندية ؛ لأنه موضع تصويت وتبيين ، فأرادوا ان يمدوا فالزموها الهاء في الوقف لذلك ، وتركوها في الوصل... وذلك مثل قولك : يا غلاماه ، ووازيدها... " (٢)

ولعل هذا القول يفسر لنا ما جاء في نصّ الأخفش الأول من قوله : " وقد ذكر أنه يوقف على الف الندية ، فإن كان هذا صحيحا وقفت على الألف " .

ب - إلحاق هاء السكت بالكلمة التي أخل بها الحذف :

وذلك مثل كلمة (ابت) التي يقول عنها الأخفش: "وقال: ﴿ يَا بَتَّابِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ﴾ (مريم: ٤٤/١٩) ؛ فإذا وقفت قلت : (يا ابه) ، وهي (هاء) زيدت كتحو قولك : (يا امه) ، ثم قال : (يا ام) إذا وصل ، ولكنه لما كان

(١) معاني الأخلص ١/٣٩٩.

(٢) الكتاب ٤/١٦٥.

الأب) على حرفين كان كأنه قد اخل به ، فصارت الهاء لازمة ، وتقف في القرآن : (يا ابت) ؛ وقد يقف بعض العرب على هاء التانيث " (١) .

وقد ذكر الفراء احتمالات القراءة في هذه الكلمة فقال " وقوله (يا ابت) لا تقف عليها بالهاء ، وانت خافض لها في الوصل ؛ لأن تلك الخفضة تدل على الإضافة للمتكلم ، ولو قرأ قارئ (يا ابت) لجاز ، وكان الوقف على الهاء جائزاً ، ولم يقرأ به أحد نعلمه " (٢) ، ولو قيل : (يا ابت) لجاز الوقوف عليها بالهاء من جهة ، ولم يجز من أخرى ، فأما جواز الوقوف على الهاء ، فإن تجعل الفتحة فيها من النداء ، ولا تنوي ان تصلها بالفاء الندية ، فكأنه كقول الشاعر : [الطويل]

كَلَيْبِنِي لَهُمْ يَا أُمَيْمَةَ ناصِبٍ (٣)

وأما الوجه الذي لا يجوز الوقف على الهاء ، فإن تنوي : يا ابتاه ، ثم تحذف الهاء والألف ؛ لأنها في النية (٤) متصلة بالألف ، كاتصالها في الخفض بالياء من المتكلم " (٥)

(١) معاني الأخفش ٤٣٨/٢ .

(٢) النظر القراءات في هذه الكلمة وفقاً ورسلاً في معجم القراءات ١٧٢/٤-١٧٦ .

(٣) البيت للناطقة الذهباني في ديوانه ق ١/٣ ص ٤٠ ، وقد جاءت الرواية : أميمة بالفتح ، قال

الأصمعي : أراد (يا أميم) فلم يمكنه ، فأدخل الهاء وفي نيته الترخيم ، فحركها بحركة

الميم ، وهذا كثير في الكلام والشعر " انظر الديوان (الموضوع السابق).

(٤) هكذا في النص ، ولعل الصواب (الندبة) .

(٥) معاني الفراء ٢١٠/٢ .



٢ - الوقف بالسكون أو الروم أو الإشمام :

الوقف بالسكون أكثر أنواع الوقف شيوعاً ، فصي دراسة إحصائية أجراها صاحب (الفاصلة في القرآن) تبين له أن عدد فواصل الوقف على الروي الساكن (٥١٩٧)^(١) ، وهو رقم كبير جداً بالنسبة لعدد أي القرآن . ولذا فإن أكثر أهل المعاني لا يذكر هذا الوجه من أوجه الوقف ، لأنه عندهم لا يحتاج إلى التنبيه عليه أو الإشارة إليه ، إلا في مواضع قليلة ، لعل من أبرزها :

أ- الوقوف على الهمزة :

فقد تعرض لهذا الوقف علّمان كبيران هما الأخفش والفاء ، وإن كان الأخفش أكثر إيراداً للنماذج في هذا الباب من الفراء .

ففي تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ ﴾ (المائدة ٢٩/٥) يقول الأخفش : " فإذا وقفت قلت : (تبوا) ؛ لأنها : أن تفعل ، فإذا وقفت علي تفعل ، لم تحرك ، قال ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبُوءَا ﴾ (يونس ٨٧/١٠)) إذا وقفت عليه ؛ لأنه (ان تفعلا) ، وانت تعني فعل الاثنين ، فهكذا

(١) انظر الفاصلة في القرآن ٢٩٦ ، وهذا على النقيض تماماً من الشعر ، فقد ذكر الدكتور إبراهيم أنيس أن نسبة القوالي المقيدة (الساكنة) لا تزيد عن ١٠% من مجموع القوالي التي يستخدمها الشعراء بينما تمثل القوالي المطلقة (المتحركة) نسبة ٩٠% تقريباً ، انظر موسيقي الشعر له ٢٨١ . وصدق الله إذ يقول : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ﴾ (يس : ٦٩/٣٦)

الوقف عليه ، قال : ﴿ وَالْقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُوءًا صَدَقِ ﴾ (يونس ٩٣/١٠) فإذا وقفت قلت : (مبوا) ، ولا تقول : مبوا لأنه مضاف " (١) .

كما أشار الأخفش إلى جواز الروم والإشمام في الوقوف على الهمزة الساكنة ، إذ يقول : " وإذا وقفت على ﴿ يَتَفَيَّؤُا ﴾ (النحل ٤٨/١٦) قلت : يتفياً ، كما تقول : تتضع جزماً ، وإن شئت اشممتها الرفع ورمته ، كما تفعل ذلك في : هذا حجر " (٢) .

أما الفراء فقد أشار إلى ضعف صوت الهمزة حين يكون ساكناً مسبوقاً بساكن إلى حد خفائه ، حيث يقول (٣) : " وقوله : لكم فيها دفء كتبت بغير همزة إذا سكن ما قبلها حذف من الكتاب ، وذلك لخفاء الهمزة إذا سكت عليها ، فلما سكن ما قبلها ، ولم يقدر على همزها في السكت كان سكوتهم كأنه على الفاء ، وكذلك قوله : يخرج الخبأ) و(النشأة) (٤) و(ملء الأرض) ، واعمل في الهمز بما وجدت في هذين الحرفين " .

والتفسير الصوتي الذي ذكره الفراء صحيح ، لأن الانتقال من نطق صوت الفاء الاحتكاكي (وهو صوت شفوي اسناني) إلى نطق الهمزة (وهي

(١) معاني الأخفش ١٧٦/١ .

(٢) معاني الأخفش ٤١٦/٢ ، وانظر الفراءات في الوقف على الهمزة في معجم القراءات ٦٣٨/٤ .

(٣) معاني الفراء ٩٦/٢ .

(٤) كلمة النشأة هنا لا ينطبق عليها كلام الفراء ، لأن الهمزة فيها ليست ساكنة حال الوقف ، ولعلها مقحمة على النص سهواً ، لأن الفراء يقول في النص نفسه : (واعمل في الهمز بما وجدت في هذين الحرفين) يشير بذلك لكلمتين التين لا غيرا



صوت انفجاري) صعب ، قال سيبويه عن الهمزة (نبرة في الصدر ، تخرج باجتهاد ، وهي أبعد الحروف مخرجاً " (١)

بد الوقف على الاسم المنون غير المنصوب :

الأصل في المنون بالجر أو الرفع أن يوقف عليه بالسكون ، ولذا فإن هذا النوع من الوقف لم يحتج إلي معالجة طويلة لعلماء معاني القرآن . ولذا صعب علينا إيجاد نماذج له في كتبهم ، غير أن من تلمس الشيء وجده . فقد عثرت علي نصين في هذا لعالمين كبيرين ، هما الزجاج والأزهري . فاما الزجاج فإن كلامه مختصر ، وقد اشار محقق كتابه إلى وجود خرم في المخطوطة في هذا الموضع ، حيث يقول الزجاج : " قوله عز وجل " ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (الله الصمد) (الإخلاص ١/١١٢-٢) بتنوين احد ، وقرئت بترك التنوين : (أحد الله الصمد) . وقرئت بإسكان الدال ، وحذف التنوين.... فمن اسكن أراد الوقف ثم ابتدا : (الله الصمد) (الإخلاص ٢/١١٢) " (٢)

اما الأزهري ؛ فقد ذكر القراءات في هذه الكلمة ، فقال : " قال ابو عمرو وحده (قل هو الله احد الله الصمد) يقف على احد ولا يصل ، والعرب لا تصل مثل هذا " (٣) ويعد أن ذكر قراءة غير أبي عمرو وجه هذه القراءات بقوله (٤) :

(١) الكتاب ١٦٧/٢ .

(٢) معاني الزجاج ٣٧٧/٥ ، وانظر قول الخقق في هامش هذه الصفحة .

(٣) معاني القراءات ١٧٢/٣ .

(٤) نفسه .

"من حذف التنوين ، فلا لتقاء الساكنين. ومن أسكن الدال أراد الوقف ثابتهاء : (الله الصمد) ، ومن نون فهو وجه الكلام.. " (١)

ويتبين من هذا ان الأزهري لم يضيف جديداً على قول الزجاج؛ فالمسألة لا خلاف فيها!

جـ. الوقف على الحروف المقطعة بالسكون :

تكاد كلمة أهل المعاني تتفق على ان الوقف على الحروف المقطعة في بداية السور إنما يكون بالسكون ، يقول الأخفش : " اما قوله ﴿ اَلَمْ ﴾ (البقرة ١/٢) فإن هذه الحروف أسكنت؛ لأن الكلام ليس بمدح ، وإنما يكون مدرجاً لو عطف بحروف العطف؛ وذلك أن العرب تقول في حروف المعجم كلها بالوقف ، إذا لم يدخلوا حروف العطف ، فيقولون : ألف با تا ثا ، ويقولون : ألف وباء وتاء وثاء ، وكذلك العدد عندهم ما لم يدخلوا حروف العطف ، يقولون : واحد. اثنان. ثلاثة " (٢)

وذكر الأخفش ان " قوماً قد نصبوا (يس) و(طه) و(حم) ... وذلك انهم جعلوها كالأسماء الأعجمية : (هابيل وقابيل) ... او جعلوها كالأسماء التي غير متمكنة ، فحركوا او اخرها حركة واحدة ، كفتح (اين) " (٣).

(١) انظر تفصيل هذه القراءات في معجم القراءات ١٠/٦٣٧-٦٣٨.

(٢) معاني الأخفش ١/١٩.

(٣) السابق ١/١٩-٢٠.



وقال الفراء : " الهجاء موقوف في كل القرآن ، وليس بجزم يسمى جزماً ؛ إنما هو كلام جزمه نية الوقوف على كل حرف منه ، فافعل ذلك بجميع الهجاء ، فيما قل أو كثر " .

أما الزجاج فقد عقد لهذه الحروف باباً - على غير عادته - سماه (هذا باب حروف التهجي) توسع فيه ، وتتبع هذه الحروف في مواضعها ، وتحدث عن موقف النحويين والقراء منها ، وكان مما قال ^(١) : " ... فإجمال النحويين أن هذه الحروف مبنية على الوقف لا تعرب ، ومعنى قولنا (مبنية على الوقف) أنك تقدر أن تسكت على كل حرف منها ، فالتنطق : الف لام ، ميم ، ذلك... "

وإذا كان الزجاج قد عقد باباً متوسطاً نسبياً - في هذه الحروف ؛ فإن تلميذه أبا علي الفارسي كان له بالمرصاد ، إذ تعقبه في بعض ما قاله من تفصيلات جزئية ، وخصص مسألتين كاملتين من مسائل كتابه لهذا التعقب ^(٢) ، مما لا يدخل الآن في موضوعنا ، غير أن الذي يعيننا اتفاق مع رأي جمهور النحويين على أن " هذه الحروف موضوعة على الوقف عليها دون الوصل بها ، والدليل على ذلك ، قولهم في التقطيع والتهجي : قاف ، صاد ، لام ، ونحو ذلك مما جاء على أكثر من حرفين فلم تحرك أو اخرهن " ^(٣) والتفت الفارسي - بدقته المعروفة - إلى كون هذه الحروف ، تظل حرفاً ، إلا إذا " أخبرت عنها فقد أخرجتها بذلك من حيز الأصوات ، وأدخلتها في جملة الأسماء المتمكنة ، واستحقت أن تعرب للإخبار عنها ... فدخلت بذلك

(١) معاني الزجاج ٥٩/١ .

(٢) الإغفال ٨٢/١ - ١١٢ .

(٣) الإغفال ٨٣/١ .

في حد المتكلمات، وخرجت من باب الأصوات... وكذلك إذا عطفت؛ لأن الأصوات ليس حكمها أن تعطف بحرف العطف؛ إذ حال العطف كالتثنية^(١) وهذا كلام نفيس لم يختلف أحد حوله.

ولم يخرج الأزهري في كتابه عما سبق ذكره من آراء، ويبدو أنه جاري الزجاج والفارسي (معاصره) في إطالة الحديث حول هذه المسألة، وما يعيننا هنا قوله: " وإجماع النحويين على أن هذه الحروف مبنية على الوقف "^(٢).

٤ - الوقف بالإبدال :

وهذا الوجه من أوجه الوقف التي اهتم بها علماء المعاني، وله عندهم صور، منها :

١- الوقف على تاء التانيث :

تبدل تاء التانيث عند الوقف عليها هاء، وقد جاء لذلك أمثلة كثيرة عند علماء المعاني، قال الأخفش^(٣) " وأما ما سمعنا في ﴿ أَلَلَّتْ وَالْعُرْيَى ﴾ (النجم ١٩/٥٣) في السكت عليها؛ (فاللاه)، لأنها (هاء) فصارت (تاء) في الوصل؛ وهي في تلك اللغة؛ مثل : (كان من الأمر كيت وكيت)، وكذلك (ميات) (المؤمنون ٢٣/٣٦) في لغة من كسر " ولم يكتف الأخفش بهذا الرأي، بل ذكر في هذه المسألة آراء أخرى، فقال^(٤) : " وسمعنا من العرب من يقول : (أفرايم اللات والعري) ويقول : (هي اللات)، (قالت) ذلك، فجعلها

(١) نفسه.

(٢) معاني القراءات ١/١٢٠.

(٣) معاني الأخفش ١/١١.

(٤) معاني الأخفش ١/١١.



(تاء) في السكوت " ، ويقول أيضاً : " إلا انه يجوز في (هيات) ان تكون جماعة ؛ فتكون التاء التي فيها تاء الجميع التي للتانيث ، ولا يجوز ذلك في (اللات) لأن (اللات) و (كيت) لا يكون مثلها جماعة ، لأن التاء لا تزداد في الجماعة إلا مع الألف ، فإن جعلت الألف والتاء زائدتين بقي الاسم على حرف واحد " (١) .

أما الفراء فقد اختصر كلامه في هذا الموضوع فقال : " ... وكان الكسائي يقف عليها بالهاء) (أفرايتم اللاه) قال وقال الفراء : وأنا أقف على التاء " (٢) ثم فصل في موضع آخر ، فقال (٣) : " فإذا وقفت على (هيات) وقفت بالتاء في كلتيهما ؛ لأن من العرب من يخفض التاء ، فدل ذلك على أنها ليست بهاء التانيث... ومنهم من يقف على الهاء ؛ لأن من شأنه نصبها فيجعلها كالهاء ، والنصب الذي فيهما أنهما أداتان جمعتا فصارتا بمنزلة خمسة عشر ، وإن قلت إن كل واحدة مستغينة بنفسها ، يجوز الوقوف عليها ، فإن نصبها كنصب قوله :

(قُمْتُ ثُمْتُ جَلَسْتُ) ، وبمنزلة قول الشاعر : [السريع]

مَا وَبَى بَلْ رُبَّمَا غَارَةٌ شَعْوَاء كَاللذَعَةِ بِالْمَيْسَمِ (٤)

(١) معاني الأخفش ١٢/١ .

(٢) معاني الفراء ٩٧/٣ .

(٣) معاني الفراء ٢٣٥/٢ - ٢٣٦ .

(٤) هذا البيت من شواهد النحو المعروفة ، وهو لضمرة بن ضمرة النهشلي (شاعر جاهلي)

في نوادر أبي زيد ٢٥٣ ، وبلا نسبة في الإنصاف (محي الدين) ١٠٥/١ ، و (د . جوده)

٩١ ، واللسان ٤٠٩/١ دار صادر ، وابن يمش ٣١/٨ ، والأشبه والنظائر للسيوطي

(د . عبد العال) ١٨٦/٣ والخزانة ٣٨٩/٩ ، وأمالى ابن الشجري (د . الطناحي)

. ٤١٣/٢

فنصب هيهات بمنزلة هذه الهاء التي في: ريت.... واختار الكسائي الهاء،
وأنا أقف على التاء " .

ومال أبو علي الفارسي إلى رأي الكسائي هذا فقال: " اعلم أن الأجود في
ذلك الوقف بالهاء" (١)

وأما في قوله: ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ فلم يزد الفراء على أن قال: " أقف
على (لا) بالتاء، والكسائي يقف بالهاء" (٢) على حين أطال الزجاج القول، فكان
مما قال: والوقف عليها (لات) بالتاء والكسائي يقف بالهاء (لاه) لأنه يجعلها
هاء التانيث، وحقيقة الوقف عليها بالتاء، وهذه التاء نظيره التاء في الفعل
في قولك: (ذهب و جلست)، وفي قولك: رايت زيدا ثم عمراً، فتاء
الحروف بمنزلة تاء الأفعال... " (٣)

أما الفارسي: فكعادته خص هذا الوجه من الوقف بمسألة خاصة
(المسألة الثانية والمائة) وقد وافق فيها الزجاج - علي خلاف المتوقع - في أن
الوقف على (لات) أرجح في القياس بالتاء، لأن (لات) حرف، " والحرف
بالفعل أشبه منه بالاسم" (٤)، ويستدل الفارسي لرأيه - مخطئاً رأي الكسائي
في هذا الموضوع - بأن تاء التانيث يوقف عليها في بعض اللغات بالتاء، كما
حكاه سيبويه عن أبي الخطاب، وكما أنشده أبو الحسن من قوله: (الرجز)

(١) الإغفال ٥٣٤/٢ .

(٢) معاني الفراء ٣٩٨/٢ .

(٣) معاني الزجاج ٣٢/٤ .

(٤) الإغفال ٥٢٣/٢ .

بل جوز تيهاء كظهر الحجفت^(١)

فان تترك تاء في الحرف ولا تقلب اجدر ، فبهذا يترجح هذا القول على قول الكسائي في القياس^(٢)

وقد مر بنا ان الفارسي وافق الكسائي من قبل في الوقوف على (اللات) بالتاء ، لكنه رجح هنا خلاف ذلك ، لأسباب دقيقة مقنعة ، ذلك ان (لات) حرف ، (واللات) اسم ، والتاء في اللات وقف على مثله اكثر العرب بالهاء ، لأنها للتانيث "والدليل ان التاء في (اللات) ... للتانيث : قوله تعالى : ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنْتَا ﴾ (النساء ١١٧/٤) وهي اللات والعزى ومناة ، ومعنى التانيث فيها : تانيث اللفظ ؛ إذ التانيث الحقيقي لا يصح فيها ؛ لأنها جماد ، فالأجود الوقف بالهاء " (٣) .

وهي تفسير تحول التاء إلى هاء يقول الدكتور رمضان عبد التواب : " ومن الملاحظ ان قولنا ان التاء تقلب هاء ، إنما هو بالنظر إلى النتيجة النهائية ، وإلا فإنه لا توجد علاقة صوتية بين التاء والهاء ، وإنما تطور المسألة ان التاء سقطت حين الوقف على المؤنث ، فبقى المقطع السابق عليها مفتوحاً

(١) البيهق من أرجوزة طويلة لسور الدلب ، في اللسان (حجف) ٣٩/٩ دار صادر ، وبلا نسبة في معاني الأخفش ٢٩٥/١ ، وسر الصناعة ١٥٩/١ ، والخصائص ٣٠٥/١ ، والمختص ٩٢/٢ ، والإنصاف (مجمي الدين) ٣٧/١ و (د. جودة) ٣٢٤ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٢٧٧/٢ والجوز : الوسط ، والتهاء الصحراء ، والحجفة : الترس .

(٢) الإغفال ٥٢٣/٢ .

(٣) الإغفال ٥٣٦-٥٣٧ .

ذا حركة قصيرة ، وهذا النوع من المقاطع تكرهه العربية في أواخر الكلمات ، فتجنبه بإغلاق المقطع عن طريق امتداد النفس بهاء السكت " (١) .

على انه يجب ان نتذكر ان بعض العرب تقف على تاء التانيث بالتاء لا بالهاء إجراءً للوقف مجرى الوصل ، قال الأخفش : " ولغة للعرب يسكتون علي ما فيه (الهاء) بالتاء ، يقولون : رأيت طلحت ، وكل شئ في القرآن مكتوب بالتاء ؛ فإنما تقف عليه بالتاء ، نحو : ﴿ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ ﴾ (الزخرف ٤٣/١٣) و ﴿ شَجَرَتِ الزُّقُومِ ﴾ (١١) (الدخان ٤٤/٤٣) . وذلك لديه لوجوب اتباع الرسم .

وقد عد الفارسي الوقوف علي تاء التانيث بالتاء لغة قليلة ؛ فقال : " وحكي سيبويه عن ابي الخطاب ان بعضهم يقول في الوقف (طلحت) ، وهذه اللغة اقل من الأخرى " (٣) وقد نسب الدكتور رمضان عبد التواب هذا الوقف إلى قبيلة طيء وحدها ، وذكر ان اللغتين الأكادية والحبشية تصنعان الصنيع نفسه (٤) .

الوقف على المنون المنصوب :

في تفسيره لقوله تعالى ﴿ لَوْ يَخْتَدُونَ مَلَجًا أَوْ مَغْرًا ﴾ (التوبة ٥٧/٩) قال الأخفش : " ، إذا وقفت على ملجأ قلت : (ملجأ ا) لأنه نصب منون ، فتقف بالألف ، نحو قولك : رأيت زيدا " . (٥)

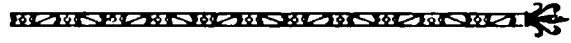
(١) مقدمة تحقيقه لكتاب البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث ٤٧ ، وانظر في اللهجات العربية ١٣٠ .

(٢) معاني الأخفش ٥٢٦/٢-٥٢٧ .

(٣) الإغفال ٥٣٤/٢-٥٣٦ .

(٤) انظر : الخصائص اللغوية لقبيلة طيء القديمة - مبحث ضمن كتاب بحوث ومقالات في اللغة ٢٥٩ ، وانظر أيضاً لغة اللغات السامية لبروكلمان ٩٦ .

(٥) معاني الأخفش ٣٦٠/١ وانظر أيضاً ٣٦٧/١ .



وهذا مما لاخلاف عليه بين النحويين والقراء^(١) ولذا لم يحتج علماء المعانى أن يشيروا إليه بعد الأخفش إلا الزجاج الذى ذكر إبدال نون التنوين الفا عرضاً فى أثناء حديثه عن نون التوكيد الخفيفة فقال : " ... فإذا وقفت قلت : اضربا ، كما ابدلت فى : رايت زيدا الألف من التنوين "^(٢) وقال النحاس فى إعراب القرآن فى (لويجدون ملجأً) : " كذا الوقف عليه ، وفى الخط بالفين ، الأولى همزة ، والثانية عوض من التنوين ، وكذا رايت (جزأ ١) " ^(٣)

بد الوقف على نون التوكيد الخفيفة :

ذكر الأخفش بعض أمثلة هذا الوقف ، عند تفسيره قوله تعالى : ﴿ وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴾ (يوسف ٣٢/١٢) فقال^(٤) : فالوقف عليها : (وليكونا) ؛ لأن النون الخفيفة إذا انفتح ما قبلها فوقفت عليها جعلتها الفأ ساكنة ، بمنزلة قولك : (رايت زيداً) ومثله : ﴿ لَتَسْفَعَا بِالْناصِبَةِ ﴾ (العلق ٨٧/١٥) ، الوقف عليها (لتسفعا) " وفى تفسيره لقوله تعالى : " وليكونا " أيضاً قال الزجاج^(٥) : " القراءة الجيدة تخفيف : ليكونا ، والوقوف عليها بالألف ؛ لأن النون الخفيفة تبدل منها فى الوقف الألف ، تقول : اضرباً زيداً ، فإذا وقفت قلت : اضربا " .

(١) إلا ما كان من قراءة حمزة فى الوقف بالتسهيل وهى قراءة هشام بخلاف عنه ، انظر معجم القراءات ٤٠٥/٣ .

(٢) معانى الزجاج ١٠٨/٣ .

(٣) إعراب القرآن ٢٢١/٢ .

(٤) معانى الأخفش ٣٩٧/١ .

(٥) معانى الزجاج ١٠٨/٣ .

٥ - الوقف بزيادة الألف :

هذا الوجه من أوجه الوقف له صور متعددة ، منها :

١- زيادة الف في الفواصل :

ومن ذلك ما أورده الزجاج في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ

الظُّنُونًا ﴾ (الأحزاب ١٠/٣٣) حيث يقول ^(١) : اختلف القراء فيها ، فقرأ بعضهم

بإثبات الألف في الوقف والوصل ، وقرأ بعضهم (الظنون) بغير الف في الوصل ،

وبألف في الوقف... والذي عليه حذاق النحويين والمتبعون السنة من حذاقهم

أن يقرأوا (الظنونا) ، ويقفون على الألف ولا يصلون.. ومثل هذا من كلام

العرب في القواي : [الوافر]

أقلى اللوم عاذل والعتابا ^(١)

فأثبت الألف ؛ لأنها في موضع فاصلة وهي القافية "

وقد ذكر الأزهرى وجوه القراءات في هذه الآية وأشباهها في القرآن

الكريم ، مقتبساً من كلام الزجاج كثيراً من العبارات ، بلا إشارة ، ثم قال :

"والاختيار عندي الوقوف على هذه الألفات ، ليكون القارئ متبعاً للمصحف ،

(١) معاني الزجاج ٢١٨/٤ .

(٢) هذا صدر بيت جرير ، من قصيدة يهجو فيها الراعي النميري ، وعجزه : ولولي إن

أصبت لقد أصابا ، وهي في ديوانه ق ١/٣ ص ٨١٣ ، وذكر البغدادي (في خزانة

الأدب ٧٤/١) أن العرب تسمى هذه القصيدة الفاضحة ، لأن جريراً ألدع فيها في

هجاء بني ثمر ، قوم الراعي ، حتى فُضحوا بها . والظر البيت في الخزانة ١/٣٣٨ .

محققاً لما كتب فيه ، مع موافقة كلام العرب ، والقرآن عربي ، نزل بلفتهم " (١) .

وتحدث جامع العلوم النحوي عن هذا الوقف أيضاً فقال : (الظنوننا) بالألف وتركها ، فمن الحق الألف فلأنها فاصلة ، والفواصل تلحقها الألف تشبيهاً بالقواي ، ومن لم يلحق الألف قال : إن الألف تكون بدلاً من التسوين من نحو : رأيت رجلاً " (٢) .

وغير خفي أن عبارة (والفواصل تلحقها الألف تشبيهاً بالقواي) لا تليق بكتاب الله عز وجل ، فكيف نقول إن القراء جعلوا القواي أصلاً يحتنونه ؟ وابن الرواية إذن ؟ ليست سنة متبعة ؟ والعجب من ابن جني أيضاً في تعليقه لوجود هذه الألف بقوله : " فإنما ذلك علي إشباع الفتحة للوقف " (٣) إذ معروف أن الوقف يكون بالتسكين ، فأين الفتحة التي تحتاج إلي إشباع ؟

وقد حاول بيان الحق النيسابوري أن يوجد تفسيراً من قبيله لهذا الإشكال فقال : ﴿ وَتَنْطُونُ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ : هذه الألف لبيان الحركة " (٤) وأضاف في إيجاز البيان : " إذ لو وقف بالسكون لخفي إعراب الكلمة ، وكما تدخل الهاء لبيان الحركة في (ماله) و (حاليه) " (٥) .

(١) معاني القراءات ٢/٢٧٨ .

(٢) الكشف ٢/٢٢٣-٢٢٤ .

(٣) سر صناعة الإعراب ٢/٤٧١ ، وانظر الوقف في القراءات القرآنية ١٧٦ .

(٤) باهر البرهان ٢/١١٢٧ ، وإيجاز البيان ٢/٦٦٩ .

(٥) إيجاز البيان ٢/٦٦٩ .

وهذا الكلام لا يصعب قبوله ، ولكن الأولي من ذلك ان نقول : ان اتساق الفواصل القرآنية علي نسق واحد هو الذي أدى لهذا ؛ لأن الفواصل قبلها (مسطوراً - غليظاً - بصيراً) ، وبعدها (شديداً - غروراً - فراراً...) فكان من المناسب طرد الباب على وتيرة صوتية واحدة ؛ لأن هذه من خصائص لغة العرب ، التي تظهر في الشعر والنثر ، وقد نزل القرآن بلسان عربي مبين .

ب- الف الضمير (انا) في ﴿ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ﴾ (الكهف ١٨ / ٣٨)

قال الفراء في تفسير هذه الآية : " معناه : لكن انا هو الله ربي ، ترك همزة الألف من انا ، وكثر بها الكلام ، فادغمت النون من (انا) مع النون من (لكن) ، ومن العرب من يقول : انا قلت ذلك ، بتمام الألف ، فقرئت (لكنا) على تلك اللغة ، واثبتوا الألف في اللغتين في المصحف : كما قالوا : رايت يزيداً وقواريراً ، فثبتت فيهما الألف في القولين إذا وقفت ، ويجوز الوقوف بغير الف في غير القرآن في انا " ^(١)

وهذا القول من الفراء يعني ان الألف عند من اثبتوها في المصحف زائدة ، كما زيدت في : رايت يزيداً وقواريراً فيزيد ، وقوارير ، كلمتان ممنوعتان من الصرف ، ومن اثبت فيهما الألف فمن باب صرف ما لا ينصرف ، وبخاصة ان العرب كما يقول الكسائي : " تقول : لكنّ والله ، يريدون : لكنّ انا والله ، وقال الكسائي : سمعت بعض العرب تقول : ان قائم ، يريد ان انا قائم ، هترك الهمز وادغم ، فهي نظير (لكن) " ^(٢) .

(١) معاني الفراء ١٤٤/٢ .

(٢) معاني الفراء ١٤٥/٢ .



وقد فصل الزجاج الأمر تفصيلاً كبيراً ، فقال^(١)... وحذفت الألف في الوصل لأنها تثبت في الوقف وتحذف في الوصل ، ومن قرأ : (لكنا) فأثبت الألف في الوصل ، كما كان تثبيتها في الوقف فهذا على لغة من قال : أنا قمت ، فأثبت الألف .. وإثباتها شاذ في الوصل ولكن من أثبت فعلى الوقف ، كما أثبت الهاء في قوله : (وما أدراك ما ميه) ، (وكاويه)... وفي (أنا) في الوصل ثلاث لغات أجودها : أنا قمت ، بغير الف في اللفظ ، ويجوز أنا قمت ، بإثبات الألف وهو ضعيف جداً ، وحكا : أن قمت ، بإسكان النون ، وهو ضعيف أيضاً .

فأما ﴿ لَيْكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ﴾ ، فهو الجيد بإثبات الألف ؛ لأن الهمزة قد حذفت من (أنا) ، فصار إثبات الألف عوضاً من الهمزة " .

وقد تعقبه أبو علي الفارسي - كالعادة - وعقد مسألة كاملة ، للرد على الجملة الأخيرة من كلامه وهي (المسألة الحادية والثمانون) ، وجاء فيها^(٢) : " ما أرى ما قاله من قول من قال : (إن إثبات الألف هو الجيد ؛ لأنه صار عوضاً من حذف الهمزة) ، كما قال ؛ وذلك أن هذه الألف تلحق في الوقف ، فلا يسوغ أن تلحق في الوصل ؛ لأن هذه مثل الهاء في ، (ما ميه) و (حسايه) و (كاويه) ، فالهاء في هذا الطرف مثل الف الوصل في ذلك الطرف ، كما أن إثبات الهمزة في الوصل خطأ ، كذلك إثبات الهاء والألف ، ولو جاز هذا لجاز أن تثبت الهاء في مثل : (أقتله) عوضاً من المحذوف... " ويسترسل أبو علي في سوق أدلته وحشدها ، فيقول : " ومما يؤكد أن العوض لا يجب : أن (أنا) علامة ضمير ، وعلامات الضمير لا ينكر كونها على حرف أو حرفين ، بل ذاك الأغلب فيها والأكثر " .

(١) معاني الزجاج ٢٨٦/٣-٢٨٧ بتصرف يسير .

(٢) الإغفال ٣٧٦/٢-٣٧٧ .

ولسنا في حاجة إلى مزيد من كلام الفارسي ، ففكرته واضحة ، وأدلتها قوية ، تقوم على أساس أن (أنا) ضمير ، في أصله (أن) ، ككثير من الضمائر مثل : هو ، وهي ، وهذه الضمائر قد يلتحق بها - أحياناً - عند الوقف هاء السكت ، فكذلك تلحق الألف (أنا) في الوقف ، دون حاجة إلي الزعم بأن الألف عوض عن شيء ، كما أننا لا نحتاج للزعم بأن الهاء عوض عن شيء .

أما الأزهري فقد ذكر القراءات في (لكن) على طريقته المعهودة^(١) ، ثم قال^(٢) : " من قرا (لكنا) فأثبت الألف في الوصل ، كما كان يثبتها في الوقف ، فهو على لغة من يقول : (أنا قمت) فأثبت الألف ، كما قال الشاعر : (الوافر)

أنا سيف العشييرة فاعرفوني حميداً قد تذريرت السننما^(٣)

(١) انظر القراءات في هذا الموضوع بتفصيل دقيق في معجم القراءات ٢١١/٥ - ٢١٦ ففيه ما يشبه البحث في هذه المسألة.

(٢) معاني القراءات ١١٠/٢ .

(٣) البيت ألبته العلامة عبد العزيز الميمني في ديوان حميد بن ثور الهلالي ، رضي الله عنه ، ص ١٣٣ ، وهو في أساس البلاغة (ذرى) ٢٩٨/١ منسوباً لحميد ، دون ذكر نسبته أو اسم أبيه ، وذكرته بعض المصادر لحميد بن حرب بن بحدل الكلبي ، وهو شاعر إسلامي ، كانت عمته ميسون بنت بحدل أم يزيد بن معاوية ، ومن تلك المصادر : خزالة الأدب ٢٤٢/٥ ، والبيت بلا نسبة في ضرورة الشعر للسراي (ت . د . رمضان) ٧٧ والنصف ١٠/١ وقد زعم محققا (معاني القراءات) للأزهري أن البيت في ديوان حميد بن حرب بن بحدل الكلبي ص ١١٣٣ ولا يوجد - إلى الآن - ديوان يحمل هذا العنوان ، كما أن رقم الصفحة الذي ذكره هو ذاته رقم الصفحة في ديوان حميد بن ثور ، بل إنهما أضالاً أن الذي حقق ديوان ابن بحدل الكلبي هذا هو العلامة عبد العزيز الميمني ، وذكرنا تاريخ الطبعة ، وهو ذاته تاريخ طبعة ديوان حميد بن ثور ، بما يعني أن المحققين خلطوا - عمداً أو سهواً - بين الاسمين ، وإن كان احتمال السهو بعيداً ، لأن التشابه بين الشاعرين في



ثمّ شرع الأزهرى بعد ذلك في نقل كلام الزجاج السابق بنصه وفصّه ،

بلا إشارة

وقد قال ابن جنّي في زيادة هذه الألف من (أنا) : " فأما الألف في (أنا) في الوقف فزائدة ، وليست بأصل ، ولم نقض بذلك فيها من قبل الاشتقاق ، هذا محال في الأسماء المضمرة ، لأنها مبنية كالحروف ، ولكن قضينا بزيادتها من حيث كان الوصل يزيلها ويذهبها ، كما يذهب الهاء التي تلحق لبيان الحركة في الوقف " (١) .

(ج) الألف في (بلى)

يري الفراء أن الألف في (بلى) زائدة ، وأن أصلها (بل) وأوجد نوعاً من التشابه بين عمل الحرفين ليبنى عليه هذا الحكم ، حيث يقول (٢) : " ... فإذا دخل الجحد في الاستفهام لم يستقم أن تقول فيه (نعم) فتكون كأنك مقرّ بالجحد وبالفعل الذي بعده ، ألا ترى أنك لو قلت لقائل قال لك : أما لك مال ؟ فلو قلت نعم كنت مقرّاً بالكلمة بطرح الاستفهام وحده ، كأنك قلت (نعم) مالي مال ، فأرادوا أن يرجعوا عن الجحد ويقرّوا بما بعده ، فاخترأوا (بلى) لأن أصلها كان رجوعاً محضاً عن الجحد إذا قالوا : ما قال عبد الله بل زيد ، فكانت بل كلمة عطف ورجوع لا يصلح الوقوف عليها ، فزادوا فيها الفأ يصلح فيها الوقوف عليه ، ويكون رجوعاً عن الجحد فقط وإقراراً بالفعل

= الاسم الأول فقط ، كما أن المحققين زعموا أيضاً أن البيت في التكملة ص ٢٨ ، وليس

هناك شيء في الطبعة التي أحالا عليها

(١) النصف ١ / ٩ .

(٢) معاني الفراء ١/٥٢-٥٣ .

بعد الجحد ، فقالوا : (بلى) فدللت على معنى الإقرار والإنعام ، ودل لفظ (بل)
على الرجوع عن الجحد فقط "

وهذا الذي ذكره الضراء اختلف فيه النحويون من بعده ، وذهبوا فيه
كل مذهب ، فمنهم من وافقه ومنهم من خالفه ، فممن يفهم من كلامه
الموافقة : المألقي ، إذ يقول ^(١) : " اعلم أن ا بلى) تعطي من الإضراب ما تعطي
(بل) ، إلا أنها لا تكون أبداً جواباً للنفي " وكذلك ابن منظور ، إذ يقول ^(٢) :
وإذا قال الرجل للرجل ألا تقوم؟ فقال له : بلى ، آزاد : بل أقوم ، فزادوا الألف
علي بل ليحسن السكوت عليها "

وممن رفض هذا الرأي : المرادي . حيث يقول ^(٣) : " بلي حرف ثلاثي
الوضع ، والألف من أصل الكلمة ، وليس أصلها (بل) التي للعطف... خلافاً
لزاعمي ذلك "

وذكر ابن هشام الرايين ، ولكنه صدر كلامه بما يشير لرفض زيادة
الألف ، فقال ^(٤) : " بلى حرف جواب اصلي الألف ، وقال جماعة : الأصل : بل ،
والألف زائدة " . وكذلك فعل السيوطي في همع الهوامع ^(٥) .



(١) رصف المباني في شرح حروف المعاني ١٥٧ .

(٢) لسان العرب (بلا) ٨٨/١٤ دار صادر .

(٣) الجني الداني في حروف المعاني ٤٢ .

(٤) معني اللبيب ١/١١٣ .

(٥) النظر همع الهوامع (تحقيق د. عبد العال سائ) ٤/٣٧٢-٣٧٣ .

الإمالة

مفهومها :

الإمالة مصدر أمال يُميل ، وأصله في اللغة : العدول إلى شيء ، والإقبال عليه^(١) ، قال ابن فارس : " الميم والياء واللام كلمة صحيحة ، تدل على انحراف في الشيء إلى جانب منه^(٢) .

والإمالة في اصطلاح أهل العربية : " عدول بالألف عن استوائه ، وجنوح به إلى الياء ، فيصير مخرجه بين مخرج الألف المقخمة وبين مخرج الياء^(٣) .

وأول من تحدث عنها سيبويه حيث عقد لها باباً بعنوان : (هنا باب ما تمال فيه الألفات) ، جاء في مستهله : " فالألف تمال إذا كان بعدها حرفاً مكسور ، وذلك قولك : عابد ، وعالم ، ومساجد ، ومفاتيح ، وعناقر ، وهابيل . وإنما أمالوها للكسرة التي بعدها ، أرادوا أن يقربوها منها ، كما قربوا في الإدغام الصاد من الزاي حين قالوا : صدر ، فجعلوها بين الزاي والصاد " (٤) .

وهذا النص الرائد في بابه يدل على أن الإمالة لون من ألوان المماثلة الصوتية ، ولذا قال الدكتور محمود فهمي حجازي . في معرض تعليقه على كلام سيبويه السابق : " الإمالة ظاهرة من ظواهر المماثلة ، وتعنى المماثلة أن صوتاً من الأصوات من كلمة أو ما يشبه الكلمة أثر في صوت آخر في نفس الكلمة ، فجعل نطقه قريباً من نطقه ، أي جعل نطقه مماثلاً لنطقه ، وفي

(١) اللسان (ميل) ٦٣٦/١١ دار صادر .

(٢) مقاييس اللغة (ميل) ٢٩٠/٥ .

(٣) شرح المفصل لابن عمش ٥٤/٩

(٤) الكتاب ١١٧/٤ .

شرح سيبويه لهذه الظاهرة تعليل بأن إمالة الفتحة إنما حدث لقربها من الكسرة ، فيتحدث سيبويه عن الألف ، وتحدث نحن عن الفتحة الطويلة ، ويعتبر سيبويه الألف غير المائلة أصلاً ، والمائلة فرعاً ، وتحدث نحن عن اختلاف اللهجات^(١) .

أقسام الإمالة ودرجاتها :

يقسم القراء الإمالة على درجات ، ويذكرون لها أسماء عرفت بها هي :

- ١ - الإمالة ، مطلقة .
- ٢ - بين اللفظين ، أو بين بين ، أو التقليل ، أو التلطيف ، أو الصغرى .
- ٣ - الإمالة البليغة ، وتسمى الشديدة ، والإضجاع ، والبطح^(٢) .

نسبة الإمالة :

يرى الدكتور أنيس أن علماء العربية اجمعوا على نسبة الإمالة لقبائل نجد ، والفتح لأهل الحجاز^(٣) ، ويُعكر على دعوى الإجماع هذه أن سيبويه يقول : " ومما يميلون ألفه كل شيء كان من بنات الياء والواو مما هما فيه عين ، إذا كان أول فعلت مكسوراً ... وهي لغة لبعض أهل الحجاز^(٤) ، ويقول

(١) أسس علم اللغة العربية ٢٣٠ .

(٢) النظر النشر ٣٠/٢ والإتحاف ٧٤ ، ومخارج الحروف وصفاتها لابن الطحان الإشبيلي ١٠٠ .

(٣) النظر في اللهجات العربية ٦٠ .

(٤) الكتاب ١٢٠/٤ .

الأخفش^(١) في معرض حديثه عن قوله تعالى: ﴿قَرَأَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾
(البقرة ١٠/٢).

"فناس من العرب يميلون ما كان من هذا النحو؛ وهم بعض أهل
الحجاز" وهذا يعني أن الإمامة كانت فاشية في القبائل العربية، وإن تفاوتت
نسبة انتشارها من قبيلة لأخرى.

أما من القراء، فقد عرف بالإمالة ثلاثة يطلق عليهم الأصحاب، وهم
حمزة والكسائي وخلف، وربما وافقهم الأعمش^(٢).

الإمالة عند أصحاب معاني القرآن:

عرض علماء معاني القرآن للإمالة في كتبهم كظاهرة صوتية،
مرتبطة أشد الارتباط بقراءة القرآن الكريم، غير أنني لم أجد من عرفها منهم
سوي أبي علي الفارسي حيث يقول: "إن معنى قولنا: (أمال الألف) هو أن
ينتهي بالفتحة التي قبل الألف المراد إمالتها نحو الكسرة انتحاء خفيفاً؛
كأنه واسطة بين الفتحة والكسرة، فتميل الألف من أجل ذلك نحو الياء....
فهذه الألف المائلة هي كالواسطة بين الألف والياء"^(٣).

ويختلف علماء الأصوات المعاصرون مع هذا التعريف بناء على
اختلافهم مع القدماء في وجود ما أسموه بالفتحة قبل الألف. إذ يري
الأصواتيون المعاصرون - محقين - أنه لا وجود لهذه الفتحة المزعومة قبل

(١) معاني الأخفش ٤١/١ .

(٢) النظر معجم القراءات ٥٨١/١١ .

(٣) الإغفال ١٦٣/١ .

الألف ، وإنما صوت الألف نفسه هو حركة الفتحة الطويلة^(١) ، وهو خلاف شائع معروف ، لم يعد في أمر تفصيله هنا كبير فائدة .

على أية حال فإن الصواب في تعريف الفارسي في أمر الإمالة : أن الألف (الفتحة الطويلة) تميل نحو الياء (الكسرة الطويلة) ، فهذا حق لا يختلف عليه أحد ، كما أن وصفه لهذه الألف المائلة بأنها (كالواسطة بين الألف والياء) صحيح لا غبار عليه ، إذ يري الدرس الصوتي الحديث أن الناطق إذا فتح فاه إلى أقصى حد ، وازسب لسانه في الحنك الأسفل ، فإن الصوت الذي ينتج عن هذه الحالة ، هو ما سماه علماء المعاني ، وعلماء التجويد بالألف التفخيم ، وكلما ضيق الناطق درجة الانفتاح تغير الصوت ، حتى إذا بلغ أقصى درجات التضيق كان الصوت الناتج هو ياء المد ، وبين ألف التفخيم وياء المد أنواع من الأصوات هي التي سماها العلماء بالألف الخالصة المعتادة ، وبالإمالة المتوسطة ، وبالإمالة الشديدة ، وسواء عددنا تلك الأصوات فروعاً للألف ، أو عددناها أصواتاً مستقلة ، فإنها تندرج في المقياس الذي اهتدي إليه علماء الأصوات المحادثون ، وسموه بالحركات المعيارية (Cardinal Vowels)^(٢)

بين الإمالة والمائلة :

الذي لا مرية فيه أن الإمالة - في كثير من حالاتها - نوع من المائلة ، التفت إلى هذه الحقيقة بعض القدماء ، والعجيب أن أول من تحدث عن هذا

(١) انظر علي سبيل المثال : الأصوات اللغوية ٣٩ وعلم الأصوات ٤٣٩ .

(٢) انظر : علم الأصوات ٢٢٥ ، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٣٧٥



من اهل المعاني أبو علي الفارسي أيضاً - وهو أوسعهم حديثاً عن الإمالة بصفة عامة - إذ يقول^(١) : " إلا أنه يجب أن نفهم أن هذا الحد يشبه حد الإدغام ؛ لأنه يقرب فيه حرف من حرف مشابه ، كما أن الإدغام يقرب فيه الحرف من الحرف المشابه به... فكما أن الإدغام يقرب فيه تارة الحرف الأول من الثاني ، وتارة الحرف الثاني من الأول ، فكذلك قد يقرب الألف من الياء ومن الكسرة ، إذا وقعتا قبلها أو وقعتا بعدها " . وهذا في نظري نص نادر وعجيب في دقته في هذا الوقت المبكر غير أنني وجدت عند الفارسي أعجب من هذا ، وهو أنه يسمى المماثلة - التي درج المحدثون على استخدامها كمصطلح من بدايات القرن الماضي - بالاسم نفسه الذي عرفه المحدثون ، أعني :

المماثلة

وبذا يكون - كما أرى - أول من استخدم مصطلح المماثلة على الإطلاق؛ إذ يقول في معرض حديثه عن بعض أنواع الإمالة^(٢) : " إن الإمالة مع هذه المستعلية لا تجوز من حيث جاز غير الفتح في ، هذا الضرب من المضارع؛ لأن المشاكلة والمماثلة بالفتح في عين المضارع أقل منها في الألف مع المستعلي؛ ألا ترى أن الفتحه بعض الألف ، فلا يلزم إذا لم تحتفل بيسير الخلاف ألا تحتفل بكثيره " .

ولو تركنا الفارسي ، وإبداعاته ، وعدنا إلى الإمالة والمماثلة ، لرأينا ابن جني ، وهو تلميذ الفارسي ، يسير على نهج أستاذه حين يعد الإمالة نوعاً من تقريب الحرف من الحرف^(٣) ، وكذلك رأي كثير من المحدثين ، ولذا رأيت أن

(١) الإغفال ١/١٦٤-١٦٥.

(٢) الإغفال ١/١٧٨.

(٣) النظر الحصانص ٢/١٤٣.

أتحدث عن الإمامة في مكانها الذي غابت عنه في كتابات الكثيرين علي الرغم من إقرارهم بأن الإمامة لونها من المماثلة.

أسباب الإمامة عند علماء المعاني :

أشار بعض علماء المعاني إلي أسباب الإمامة ، لكنها إشارات عجلي ، ليست محيطة ولا مستوعبة لجملة تلك الأسباب ، كقول الزجاج مثلاً^(١) : " والإمامة لغة بني تميم وغيرهم من العرب... فالعرب تقول : هذا عابد وهو عابد ، فيكسرون ما بعدها ، إلا أن تدخل حروف الإطباق وهي الطاء والظاء والصاد والضاد ، لا يجوز في قولك : فلان ظالم : ظالم ممال... وكذلك حروف الاستعلاء ، وهي : الخاء والعين والقاف ، لا يجوز في غافل : غافل ممال... "

فهذا النص - كما ترى - لا يصلح لمن يريد أن يستنبط منه أسباب الإمامة إلا بشق الأنفس، والأمر كذلك في كتابات غيره من أهل المعاني ، لا أكاد أستثني منهم أحداً سوى المبدع المتفرد في هذا الباب أبي علي الفارسي ، حيث جمع أسباب الإمامة كما يراها في قوله^(٢) : " وعد تلك الأسباب التي تمال لها هذه الألف نحو الياء ستة ، فيما أخذناه عن أبي بكر ، وهي : أن يكون قبل الحرف أو بعده ياء أو كسرة ؛ فإن الألف تمال لكل واحد منهما ، أو تكون الألف منقلبة إلى ياء نحو : رمى وحبلى ، أو تكون مشبهة بالمنقلبة عن الياء ، وإن كان الانقلاب عن الواو ، نحو : غزا واستغزى ، أو يكون الحرف الذي قبل الألف قد يكسر في حال ، أو لإمامة ، فهذه هي الأسباب الموجبة للإمامة ما لم يقارنها حرف مستعل ، أو راء غير مكسورة " .

(١) معاني الزجاج ١/١٢٤ .

(٢) الإغفال ١/١٦٤ .



وهذه الأسباب ذكرها كثير من القدماء والمحدثين^(١) ، غير أننا نستطيع أن نرجعها جميعاً لسببين اثنين ، كما يري الدكتور إبراهيم أنيس ، إذ يقول : " فإمالة الفتح إلى الكسر يجب في الحقيقة أن تعزي بصفة عامة إلى أحد عاملين :

١ - الأصل اليائي .

٢ - الانسجام بين أصوات اللين " ^(٢) .

وقد رفض الدكتور أنيس ما يراه بعض النحاة والقراء من جواز الإمالة فيما أصله واو ، قائلاً : " غير أنه من الصعب مع هذا أن نبرر من الناحية الصوتية ما زعمه بعض النحاة من جواز الإمالة فيما أصله واو مثل (خاف) لأن الإمالة في مثل هذه الحالة كان حقها أن تكون من الفتح إلى الضم ، لا من الفتح إلى الكسر " ^(٣) .

وكلام الدكتور أنيس مؤسس علي طريقة إنتاج أصوات العلة التي ذكرتها فيما سبق .

(١) النظر علي سبيل المثال الأصول لابن السراج ١٦٠/٣ والنشر ٣٢/٢-٣٤ وشرح شافية

ابن الحاجب للرضي الاسترأبادي ٤/٣ وما بعدها و معجم القراءات ٥٨/١١-٥٩

(٢) في اللهجات العربية ٦٨ .

(٣) في اللهجات العربية ٦٨-٦٩ .

نماذج للإمالة عند أصحاب المعاني.

(أ) في الأسماء :

١ - إمالة الألف الزائدة :

♦ يقول الأخفش : " وأمالوا كل ما كان نحو : (فَعَلِي) و (فَعْلِي) : نحو : (بشري) و (مرضي) و (سكري) ؛ لأن هذا لو ثني كان (بالياء) فمالوا إليها " ^(١) .

وهذا ما يراه جامع العلوم النحوي ، إذ يقول : " واعلم ان إمالة (موسى) حسنة جائزة ؛ لأنه (فَعْلِي) ، وألفها تنقلب ياء في التثنية ، إذا قلت (موسيان) ، كذلك (فَعْلِي) نحو عيسى ، إذا قلت (عيسىان) ، وكذلك (فَعْلِي) ، نحو تقوى ، تمال ألفها ، لأنها تنقلب في التثنية ياء " ^(٢) .

♦ وجوز أبو علي الفارسي الإمالة في لفظ الجلالة (الله) بناء على ترجيحه أن يكون أصله (إلاه) ، ومما قاله في هذا : " فأما الإمالة في الألف من اسم (الله) تعالى ، فجاز في قياس العربية ، والدليل علي جوازها فيه أن هذه الألف لا تخلو من أن تكون زائدة لـ (فعال) ، كالتي في (إزار) وعماد ، أو تكون عين الفعل ، فإن كانت زائدة لـ (فعال) جازت فيها الإمالة من جهتين : أحدهما : أن الهمزة المحذوفة كانت مكسورة ، وكسرها يوجب الإمالة في الألف... ويجوز إمالتها من جهة أخرى ؛ وهي أن لام الفعل منجرة ، فتجوز الإمالة لا نجرها... فإن كانت الألف في الاسم عيناً ليست بزائدة ، جازت إمالتها وحسنت فيها ؛ إذ كان انقلابها عن الياء ، بدلالة قولهم : (لَهِي أبوك)

(١) معاني الأخفش ٤٢/١ .

(٢) الكشف ١٩٢/١ .



، وظهور الياء لما قلبت إلى موضع اللام " (١) .

٢ - إمالة الاسم المقصور :

يري الأخفش أن المعول في إمالة المقصور على تثنيته ، فإن كانت تثنيته بالياء جازت إمالته ، وإن كانت بالواو فلا إمالة ، ولذلك يقول عن (شفا) و(قفا) : " وتثنيته بالواو... فلما لم تجئ فيه الإمالة عرفت أنه من الواو " (٢) ، وجاء عند الزجاج في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ ﴾ (الكهف ٦٠/١٨) : " وإن شئت قلت بالإمالة والكسر ، وهي لغة تميم وأهل الحجاز يفتحون ويفخمون " (٣) .

وجاء في مفاتيح الأغاني للكرماني (٤) : " وقرا أبو عمرو ﴿ فِي هَذِهِ أَعْمَى ﴾ (الإسراء ٧٢/١٧) بكسر الميم ، ﴿ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى ﴾ (الإسراء ٧٢/١٧) يفتح الميم ، أراد أن يفرق بين ما هو اسم ، وبين ما هو فعل منه ، فغاير بينهما بالإمالة وتركها " .

ويري جامع العلوم النحوي أن الإمالة في الموضعين جميعاً حسنة ، إذ يقول : " بترك إمالتها ، وإمالتها جميعاً ، وكلتاها حسنة ، والزيات يميل الأولي دون الثانية ، لأن الثانية لما كان من عمي القلب ، وكان بناء المبالغة ، وكان في التقدير : فهو في الآخرة أعمى من غيره ، رأي الألف وسط الكلمة

(١) الإغفال ٧١/١-٧٢ .

(٢) معاني الأخفش ٢٢٨/١ .

(٣) معاني الزجاج ٢٩٨/٣ .

(٤) مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني ٢٥٠-٢٥١ .

عنده ، فلم ير إمالتها " ^(١) كما رأي الجامع جواز الإمالة في ﴿حَجْرْنَهَا﴾ (هود ٤١/١١) لأصلها اليائي ^(٢) .

وجواز الإمالة في (أسارى) " لأن الألف وقعت حيث يمال مثلها ، نحو :
(حبالى) و(صحارى) ^(٣) في جمع حبلى وصحراء " ^(٤) .
٢ - إمالة ألف (فاعل) :

جاء عند الزجاج في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرٍ بِهِ﴾ (البقرة ٤١/٢) " اللغة العليا والقدمي الفتح في الكاف ، وهي لغة أهل الحجاز ، والإمالة في الكاف أيضاً جيد بالغ في اللغة ؛ لأن فاعلاً إذا سلم من حروف الإطباق ، والحروف المستعلية ، كانت الإمالة فيه سائغة إلا في لغة أهل الحجاز ، والإمالة لغة بني تميم وغيرهم من العرب... فالعرب تقول هذا عابد ، وعابد ، فيكسرون ما بعدها ، إلا أن تدخل حروف الإطباق ، وهي الطاء والصاد والضاد.... وكذلك حروف الاستعلاء ، وهي : الخاء والعين والقاف " ^(٥)

وقد تعقب الفارسي أستاذه الزجاج في قوله هذا بكلام طويل ، نقتطف منه قوله : " فأما قول أبي إسحاق : (الإمالة في كافر جيدة ؛ لأن فاعلاً إذا

(١) الكشف ٤٤/٢ .

(٢) النظر الكشف ٥٢٥/١ .

(٣) يجوز في جمع حبلى وصحراء : حبالى وصحارى ، بفتح اللام وكسرها ، كذلك السراء ،

النظر لسان العرب (محر) ٤٤٤/٤ دار صادر ، وجموع التكسير في القرآن الكريم

للدكتور مفرح سفيان ٣٣١ .

(٤) الكشف ٢١١/١ .

(٥) معاني الزجاج ١٢٣/١ - ١٢٤ .



سلم من حروف الإطباق والحروف المستعلية كانت الإمالة فيه سائغة ، ففاعل تسوغ فيه الإمالة ، وإن كان فيه حرف مستعل ، نحو طارد وغارم ونحو هذا ، وقد لا تسوغ فيه الإمالة ، وإن سلم من حروف الإطباق ، نحو : راشد وراتب ورازو ﴿ زَبَدًا رَابِيًا ﴾ (الرعد ١٣/١٧) ونحو هذا مما أوله الراء ، وإذا كان كذلك لم يكن في قوله : (إذا سلم من حروف الإطباق) كبير إفادة ، ولا توصل إلي إصابة الا ترى أنك لو املت : (راشداً) ونحوه مستمسكاً بقوله : (إن فاعلاً إذا سلم من حروف الإطباق ساغت إمالته) لأذاك ذلك إلى غير الصواب ، واجزت غير جائز ، وكذلك لو امتنعت من إمالة (طارد) وبابه ، فقلت : إنه غير سالم من الإطباق ، لمنعت جائزاً... " (١)

وهذا كما ترى - تعقب علمي محض ، بحثاً عن دقة العبارة ، وانضباط الأسلوب ، وإن شابه بعض الحدة ، وعدم الاستقصاء لكلام الزجاج في المواضع المختلفة ، ذلك أن الزجاج أشار إلي ما ذكره ابو علي في مواضع أخرى من كتابه ومنها قوله : " لا تقول : هذا صالح ، بإمالة الصاد إلى الكسر ، فإن كان موضع اللام راء جاز الكسر ، تقول هذا صارم ، ولا تقول : مررت بضابط - بإمالة الضاد - ولكن تقول : مررت بضارب ، فتسهل الراء المكسورة كسرة الصاد والضاد المطبقتين " (٢) ولو جمع الفارسي كلام الزجاج هنا إلى كلامه هناك لخفف من لهجته كثيراً لأن الزجاج ذكر في هذا الموضع زوال مانع الإمالة لوجود الراء المكسورة ، وهذا ما كان يظن الفارسي أنه فاته فتعقبه فيه!

(١) الإغفال ١/١٦٩.

(٢) معاني الزجاج ٥/١٦٧.

ومن إمالته اسم الفاعل أيضاً ما جاء عند الأزهري^(١) في قوله تعالى ﴿جُرْفٍ هَارٍ﴾ (التوبة ١٠٩/٩) : " قرأ ابن كثير وحفص عن عاصم وحمزة ويعقوب (هار) مفخماً ، وقرأ نافع وابن عامر ويحيى عن أبي بكر عن عاصم والكسائي مما لا ، قال الأزهري : هما لغتان ، والتفخيم أفصح اللغتين " .
وواضح ان الذي سوغ الإمالة هنا هو مجيء الراء مكسورة ، كما اشار الزجاج والفارسي من قبل .

٤ - إمالة الأسماء من غير صيغة فاعل :

ذكر الزجاج بعض الأمثلة للإمالة في الأسماء ، التي ليست علي صيغة فاعل ، مثل : ﴿إِذْ وَقُفُوا عَلَى النَّارِ﴾ (الأنعام ٢٧/٦) ، و﴿ كَمَثَلِ الْجَمَارِ تَمَلُّهُ ﴾ أسفاراً^(٢) (الجمعة ٥/٦٢) ، حيث يري ان الإمالة في (النار) و(حمار) حسنة جيدة " لأن الراء بعد الألف مكسورة ، وهي حرف ، كانه مكرر في اللسان ، فصارت الكسرة فيه كالكسرتين " ^(٣)

وقال في موضع آخر : " وقرأ أبو عمرو : (كمثل الحمار) بكسر الألف ، وهذه الإمالة ، كسر الراء ، كثير في كلام العرب " ^(٤) .

وفي قوله تعالى : ﴿ ضِعْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ ﴾ (النساء ٩/٤) قال الأزهري :

أمال حمزة وحده (ضعافا خافوا) وقرأها الباقون بالتفخيم ، قال أبو منصور : الإمالة فيها غير قوية عند النحويين ، فلا يقرآن إلا بالتفخيم " ^(٥)

(١) معاني القراءات ٤٦٥/١ .

(٢) معاني الزجاج ٢٣٩/٢ .

(٣) معاني الزجاج ١٧٠/٥ .

(٤) معاني القراءات ٢٩٢/١ .



والأزهري يقصد بكلمة (فيها) كلمتي : ضعافاً وخافوا معاً . وقد ضعف الإمالة فيها وجود حرف مضخم في الكلمة الأولى (الضاد) ، وحرف مستعمل في الثانية (الخاء) .

وفي الكشف : " ومن امال ﴿ وَعَلَىٰ أَبْصَرِهِمْ ﴾ (البقرة ٧/٢) ، فلاجل كسرة الراء ، امال الألف ليقربها من كسرة الراء ، وهي لغة تميمية . ارادوا بها المشاكلة والمطابقة ، ومن لم يملها اجراها على الأصل ، وهي الحجازية " (١)

ويرى الجامع جواز الإمالة في ﴿ أَلْتَوَزَنَ ﴾ : " لأن الألف في (التوراة) بدل من الباء " (٢) .

ويضع الفراء قاعدة مهمة في هذا الصدد ، وهو يتحدث عن كلمة (تتري) إذ يقول : " ... ويكون الوقوف حينئذ عليها بالياء وإشارة إلى الكسر ، وإن جعلتها ألف إعراب لم تشر ، لأنك لا تشير إلى ألفات الإعراب بالكسر ، ولا تقول رايت زيدي ولا عمري " (٣) .

أي أن الإمالة عنده لا يجوز أن تدخل ألف الإعراب في نحو قولك : رايت زيذاً ، لأن هذا قد يوهم بأن الكلمة مكسورة ، مما يخل بقواعد الإعراب كلها . وذكر أبو بكر بن إدريس بعض مواضع الإمالة عند القراءة في مواضع متعددة من كتابه ، منها علي سبيل المثال قوله : " قوله ﴿ مَرَضَاتِ اللَّهِ ﴾ أمالها الكسالي في جميع القرآن ، والجميع على التفخيم علي الأصل " (٤) .

(١) الكشف ١/١٧٩ .

(٢) الكشف ١/٣١٧ .

(٣) معاني الفراء ٢/٢٣٦ .

(٤) المختار في معاني قراءات أهل الأمصار ل ٣ (أ)

بد في الأفعال :

في قوله تعالى : ﴿ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ (البقرة ١٠/٢) يقول الأخفش :
 " فمن فخم نصب (الزاي) فقال : (زادهم) ، ومن امال كسر (الزاي) فقال :
 (زادهم) ؛ لأنها من (زدت) اولها مكسور " (١) .

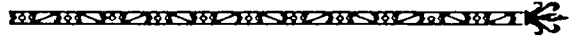
ويبين الأخفش منهجه في شروط الإمالة في الأفعال قائلاً : (٢) " ...
 وكما كان من نحو هذا ، من بنات الواو ، وكان ثالثاً نحو : ﴿ وَالْقَمَرَ إِذَا
 تَلَّنَهَا ﴾ (الشمس ٢/٩١) ، ونحو : ﴿ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحْنَهَا ﴾ (الشمس ٦/٩١) ،
 فإن كثيراً من العرب يضحمه ولا يميله ؛ لأنها ليست ب (ياء) هتميل إليها ،
 من (طحوت) و (تلوت) . فإذا كانت رابعة فصاعداً أمالوا ، وكانت الإمالة هي
 الوجه ؛ لأنها حينئذ قد انقلبت إلى الياء ، ألا ترى أنك تقول : (غزوت)
 و (اغزيت) ، ومثل ذلك : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴾ (الشمس ٤/٩١) ، و ﴿ قَدْ أَفْلَحَ
 مَنْ تَزَكَّىٰ ﴾ (الأعلى ١٤/٨٧) ، و ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾ (الليل ٩٢/٢) ، أمالها لأنها
 رابعة " .

وأبان الزجاج عن منهجه أيضاً في قوله : " تقرا (جاءهم) بفتح الجيم
 والتفخيم ، وهي لغة أهل الحجاز... والإمالة إلى الكسر لغة بني تميم وكثير
 من العرب ، ووجها أنها الأصل من ذوات الياء ، فأمليت لتدل على ذلك " (٣) .

(١) معاني الأخفش ٤٠/١ .

(٢) معاني الأخفش ٤١/١ .

(٣) معاني الزجاج ١٧٠/١ .



وعاد الزجاج فأكد قوله مرة أخرى فقال : " وأما (جاءهم) بالكسر ،
فلغة تميم ، وكثير من العرب ، وهي جيدة فصيحة أيضاً ، فالذي يميل إلى
الكسر يدل على أن الفعل من ذوات الياء ، والذي يفتح : فلان الياء قد انقلبت
صورتها إلى الألف ، وفي الألف حظها من الفتح ، وكل مصيب " (١) .
ومن هذا القبيل إمالة كلمة (خافوا) التي ذكرها الأزهري فيما
مضى (٢) .

أما جامع العلوم النحوي فقد قال (٣) في قوله تعالى : ﴿ فَرَأَاهُ حَسَنًا ﴾
(فاطر ٨/٣٥) : "وقرئ : (فرأه) بالإمالة وفتح الراء وبالإمالة وإمالة فتحة
الراء فمن أمال فتحة الهمزة فلأن الألف بدل من الياء ومن أمال الراء فهو
تبع لإمالة الهمزة " ، وهذا كلام دقيق ؛ لأن أصل الألف هنا ياء ، فالضعل (راى)
مصدره رؤيا ، وأما إمالة الراء فمن باب الإمالة للإمالة ، وهي سمة صوتية
مطرودة نبه عليها القدماء كثيراً ، ومنهم الفارسي في كلامه الطويل الذي
سقته آنفاً .

ومن الإمالة أيضاً ما ذكره الكرمانى في كتابه حيث يقول (٤) :
" وقرأ حمزة (ونأى) بإمالة الفتحين ، أمال فتحة الهمزة ؛ لأن الألف منقلبة
عن الياء التي في (النأى) أراد أن ينحو نحوها ، وأمال فتحة النون ؛ لإمالة
فتحة الهمزة " .

(١) معاني الزجاج ٣٨٦/١-٣٨٧ .

(٢) النظر معاني القراءات ٢٩٢/١ .

(٣) الكشف ٢٤٣/٢ .

(٤) مفاتيح الأغاني ٢٥٢ .

وقد جاء في معاني الضراء^(١) رسم للضعل بالحروف المنفصلة لبيان الإمالة، إذ يقول: "لئن أنجانا" قراءة أهل الكوفة - وكذلك هي في مصاحفهم - (ان ج ي ن الف)، وبعضهم بالألف (انجانا)، وقراءة الناس (انجيتنا) بالتاء "فرسمها هكذا بالياء، للدلالة على أنها تقرأ بالإمالة.

جـ- الإمالة في الحروف:

١- الإمالة في فواتح السور:

أجاز بعض أهل المعاني الإمالة في فواتح السور، ومن هؤلاء الزجاج حيث يقول في ﴿كَيْهَيْصَ﴾ (مريم ١/١٩): "فيها في القراءة ثلاثة أوجه: فتح الهاء والياء، وكسرهما، وقراءة الحسن بضم الهاء: كهيعص، وهي أقل اللغات، فأما الفتح فهو الأصل... ومن العرب من يقول: ها يا، بالكسر.."^(٢). ويقول أيضاً في (طَهَ): "يقرا طه" بفتح الطاء والهاء، وتقرأ (طِه) بكسرهما"^(٣).

وأوضح الكرمانى ما أبهمه الزجاج من أسباب جواز هذه الإمالة في فواتح السور دون غيرها فقال: "وقرا ابو عمرو: (ها) (يا) بالتفخيم والإمالة، وإمالة هذه الحروف لا تمتنع؛ لأنها ليست بحروف معني، وإنما هي من أسماء ما يتهجى به، فلما كانت أسماء غير حروف، جازت فيها الإمالة، ويدل على أنها أسماء إذا أخبرت عنها أعربت، كما أن أسماء العدد إذا أخبرت عنها أعربت"^(٤).

(١) معاني الضراء ١/٣٣٨.

(٢) معاني الزجاج ٣/٣١٧.

(٣) معاني الزجاج ٣/٣٤٩.

(٤) مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني ٢٦٦.

٢ - الإمالة في بقية الحروف :

نقل الزجاج في معانيه رأي سيبويه والخليل في عدم جواز الإمالة في الحروف ، وسكت عنه ، بما يعني أنه يوافقهما ، حيث يقول ^(١) : زعم سيبويه والخليل ان (حتى) و(إما) و(إلا) لا تجوز فيهن الإمالة، لا يجيز (حتى) إذا جاءتهم) ولا يجيز (إما) ولا (إلا) (لا إله إلا الله) هذا لحن كله ، وزعم ان هذه اللفات الفتح لأنها اواخر حروف جاءت لمعني ، ففصل بينها وبين اواخر الأسماء التي فيها الألف نحو حبلي وهدى؛ إلا ان حتى كتبت بالياء ؛ لأنها على أربعة احرف ، فاشبهت سكرى ، و(إما) التي للتخيير شبهت بإن التي ضمت إليها (ما) ، مثل قوله : ﴿إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ﴾ (الكهف ١٨/٨٦) كتبت بالألف لما وصفنا ، و(إلا) ايضاً كتبت بالألف ؛ لأنها لو كتبت بالياء لأشبهت إلى " .

د الإمالة في رموس الآي :

ذكر الفراء في معانيه ان الإمالة في الفواصل القرآنية تأتي احياناً لمشكلة الفواصل التي تتقدمها ؛ وان كان اصل بعضها بالواو حيث يقول ^(٢) : " وقوله عز وجل ﴿وَالشَّسِ وَضُحُكُهَا﴾ من ذلك : تلاها ، وطحاها ، ودحاها ؛ لما ابتدئت السورة بحروف الياء والكسر اتبعها ما هو من الواو ، ولو كان الابتداء للواو لجاز فتح ذلك كله... " .

وهذا ما ذكره ابن الجزري بعد ذلك في النشر ، حيث رأي ان إمالة الضحي والقوي وضحاها ، وتلاها ، من قبيل الإمالة للإمالة ، لأنها بسبب إمالة رموس الآي قبل وبعد ^(٣) .

(١) معاني الزجاج ٢/٢٣٥ .

(٢) معاني الفراء ٣/٢٦٦ .

(٣) النشر ٢/٣٤ .

هـ- نوع آخر من الإمالة :

ذكر بعض علماء المعاني إلى جوار إمالة الفتحة نحو الكسر ، نوعاً آخر من الإمالة ، وإن لم يكن شائعاً كسابقه ، وهو إمالة الكسرة نحو الضمة ، ومن ذلك قول الأخفش ^(١) : " وإذا قيل لهم : فمنهم من يضم أوله ؟ لأنه في معنى (فعل) ... ومنهم من يقول في الكلام : (قد قُول له) ، (وقد بُوع المتاع) إذا أراد : (قد بُيع) و (قِيل) ، جعلها وأوأ حين ضم ما قبلها ؛ لأن الياء الساكنة لا تكون بعد حرف مضموم . ومنهم من يروم الضم في (قيل) مثل رومهم الكسر في (رد) . لغة لبعض العرب أن يقولوا : (رد) فيكسرون الراء ، ويجعلون عليها حركة الدال التي في موضع العين ، وبعضهم لا يكسر الراء ، ولكنه يشيّمها الكسر ، كما يروم في (قيل) الضم " وهذه الكسرة المشوبة بالضمّة ، والضمّة المشوبة بالكسرة في معاني الزجاج أيضاً ، حيث يقول : " والأصل في (قيل) : (قول) ولكن الكسرة نقلت إلى القاف ؛ لأن العين من الضعل في قولك (قال) نقلت من حركة إلى سكون ، فيجب أن تلتزم هذا السكون في سائر تصرف الفعل . وبعضهم يروم الضمه في (قيل) ، وقد يجوز في غير القرآن ؛ قد قول ذلك ، وأفصح اللغات (قيل) ، و (غَيْض) ، و (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ) (الزمر ٧٣/٣٩) وإن شئت قلت : قيل ، وغيض وسيق ، تروم في سائر أوائل ما لم يسم فاعله الضم في هذا الباب " .



(١) معاني الأخفش ٤٣/١ - ٤٤ .

الفهرس

رقم الصفحة	الموضوع
٢	الفصل الأول : المخالفة الصوتية والإبدال
٥	المخالفة الصوتية
١٢	أمثلة المخالفة الصوتية في كتب المعاني
١٣	المخالفة بإبدال احد جزئي المضعف ياء أو الفاء أو واو
١٧	المخالفة بقلب الهمزة الثانية الفاء أو ياء أو واو
٢٢	المخالفة بالحزب بين الهمزتين
٢٤	المخالفة بالإبدال الموطن للإدغام
٢٧	المخالفة بالإدغام
٢٠	المخالفة بالحذف
٦	المخالفة المدبرة
٦	المخالفة المقبلية
٣٧	المخالفة المزدوجة
٥٢	مخالفة الحركات بالإسكان
٥٦	الإبدال
٦٠	الإبدال عند أصحاب المعاني
٦٠	أولا : الإبدال بين الصوامت

رقم الصفحة	الموضوع
٩٢	ثانيا : بين الحركات
٩٩	نماذج من الإبدال بين الضمة والكسرة في كتب المعاني
٩٩	أولا الإبدال في الأسماء
١٠٧	الإبدال في الأفعال
١١١	أنصاف الحركات
١١٥	الفصل الثاني : المماثلة الصوتية والإدغام
١٢٢	أمثلة المماثلة الصوتية في كتب المعاني
١٢٢	التأثير المقبل الكلي في حالة الاتصال
١٢٤	التأثير المقبل الكلي في حالة الانفصال
١٢٦	التأثير المقبل الجزئي في حالة الاتصال
١٢٨	التأثير المقبل الكلي في حالة الانفصال
١٢٩	التأثير المدبر الكلي في حالة الاتصال
١٣٧	التأثير المدبر الجزئي في حالة الاتصال
١٤٠	التأثير المدبر الكلي في حالة الانفصال
١٤٢	التأثير المتبادل
١٤٤	الإدغام
١٥٠	الإدغام عند أصحاب المعاني
١٥٠	أولا : الإدغام الكبير
١٧٠	ثانيا : الإدغام الصغير
١٨١	الفصل الثالث : السمات التعبيرية
١٨٥	الوقف
١٩٢	الوقف عند أهل المعاني

رقم الصفحة	الموضوع
١٩٤	الوقف بالحدف
١٩٨	الوقف بالحاق هاء السكت
٢٠٧	الوقف بالسكون أو الروم أو الإشمام
٢١٢	الوقف بالإبدال
٢١٨	الوقف بزيادة الف
٢٢٥	الإمالة
٢٢٧	الإمالة عند أصحاب المعاني
٢٢٨	بين الإمالة والمائلة
٢٣٠	أسباب الإمالة عند أصحاب المعاني
٢٣٢	نماذج للإمالة عند أصحاب المعاني
٢٣٢	أ. في الأسماء
٢٣٨	ب. في الضعال
٢٤٠	ج. في الحروف
٢٤١	د. الإمالة في رموس الأي
٢٤٢	هـ. نوع آخر من الإمالة
٢٤٤	الفهرس

انتهت بعون الله الدراسة الصوتية
 ويليها بأذن الله الدراسة الدالية

منتدی سور الازبکیہ

WWW.BOOKS4ALL.NET